# موسوعة
# التربية الجهادية وأهدافها
# عند الإمام علي

تقديم الكاتب الكبير
**جورج جرداق**
مؤلف موسوعة الإمام علي صوت العدالة الإنسانية

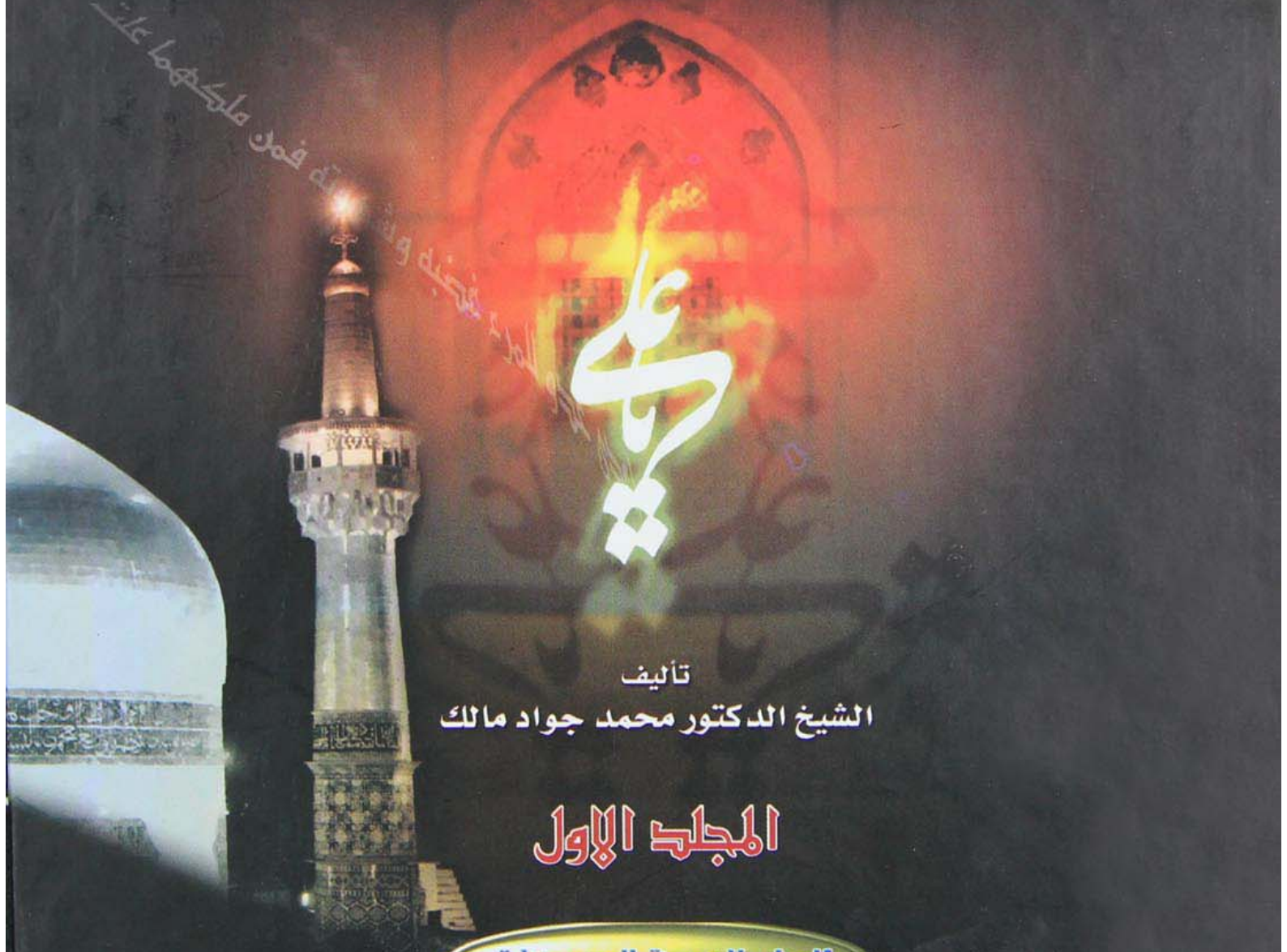


تأليف
**الشيخ الدكتور محمد جواد مالك**

**المجلد الأول**

الدار العربية للموسوعات

www.haydarya.com

# موسوعة
# التربية الجهادية وأهدافها
# عند الإمام علي

اسم الكتاب: موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الإمام علي

المؤلف: الشيخ الدكتور محمد جواد مالك

الطبعة الأولى: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-614-424-025-0 (أربع مجلدات)
ISBN 978-614-424-026-7 (المجلد الأول)

الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

# موسوعة
# التربية الجهادية وأهدافها
# عند الإمام علي

تقديم الكاتب الكبير

جورج جرداق

مؤلف موسوعة الإمام علي صوت العدالة الإنسانية

تأليف

الشيخ الدكتور محمد جواد مالك

**المجلد الأول**

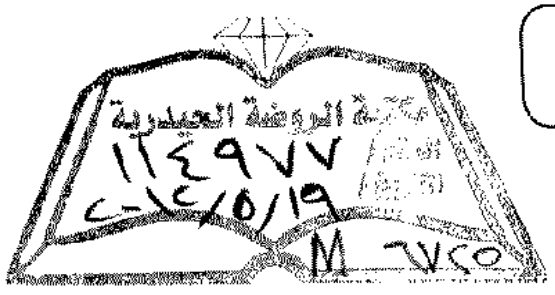


الدار العربية للموسوعات

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

سورة التوبة ٩/ ١٩-٢٢

# الإهداء

## إلى صاحب الرسالة الهادية.. إلى الحبيب المصطفى ﷺ

*سيدي يا رسول الله، يا محمد بن عبد الله.. أضع بين يديك ما توصلتُ إليه من فهم وتحليل وتوجيهٍ لكلمات أخيك وابن عمّك وصهرك، ووصيّك وخليفتك[1]، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك بكلّ ما أوتيتُ من توفيقٍ في سبر أغوار المعاني والدلالات، وقوّةٍ في اختراق الزمن، وقدرةٍ في معايشة الظروف آنذاك، في محاولة جادّة للكشف عن الذخائر الثمينة المكتنزة في*

---

(١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري: قال رسول الله ﷺ: فأتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد ربك يقول: «إن علي بن أبي طالب وصيك وخليفتك على أهلك وأمتك والذائد عن حوضك..». الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠هـ): الأمالي، ص١٩٠ رقم الحديث ٣٢١/ ٢٣. وكذلك المفيد: أبو عبد الله محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣هـ: كتاب الأمالي - ص١٦٧/ ٣. وبهذا المعنى راجع الهيثمي، الحافظ نور الدين: مجمع الزوائد ٩/ ١١٣-١١٤. وكذلك راجع ينابيع المودة للقندوزي بهذا الاتجاه ج١، ص٢٣٥، عن موفق بن أحمد عن أم سلمة. هذا وأن المصادر الحديثية والتفسيرية والتاريخية حافلة بالدلالة على أن علياً هو وصي رسول الله وخليفته فلتراجع في مواقعها.

*عمق تلك النصوص، التي رسمتْ أساسيات التربية الجهادية بوعي وقناعة وتجربة، والتي هي بالفعل مصدر الانطلاق نحو صياغة العملية التربوية والإصلاحية في المسيرة الجهادية للإنسان والأمة معاً، على ضوء الإسلام.*

*سيدي، يا شفيع الأمة يوم الحساب، أعترف بالعجز والقصور أمام بحر كلمات ابن عمّك المرتضى، ولكن ثقتي عالية بأن يشملني كرمك وصفحك، فإن أخطأتُ الفهم والتوجيه، فليس قصدي إطلاقاً، لأني على يقينٍ تام بأن رضاك من رضا عليٍّ، كما أن رضاك من رضا ابنتك الطاهرة فاطمة*[1].

*طموحي أن أنال رضاك، وبه يتحقق رضا الله سبحانه.*

---

(١) قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة: «إن الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ». أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين عن علي: ١١/ ٣٨ رقم الحديث ٤٧١٣، باب ذكر مناقب فاطمة وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩،ص٢٠٣، رواه الطبراني واسناده حسن. وقال ﷺ أيضاً: «.. فمن رضيتْ عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه، ومن رضيتُ عنه ﷻ، ومن غضبتْ ابنتي فاطمة عليه غضبتُ عليه، ومن غضبتُ عليه غضب الله عليه..». القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم: ينابيع المودّة، ٢/ ٣٣٢، حديث رقم ٩٧٠. عن الصحابي سلمان الفارسي - رض- راجع كذلك، المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٢٧/ ١١٦ رقم الحديث ٩٤ عن سلمان.

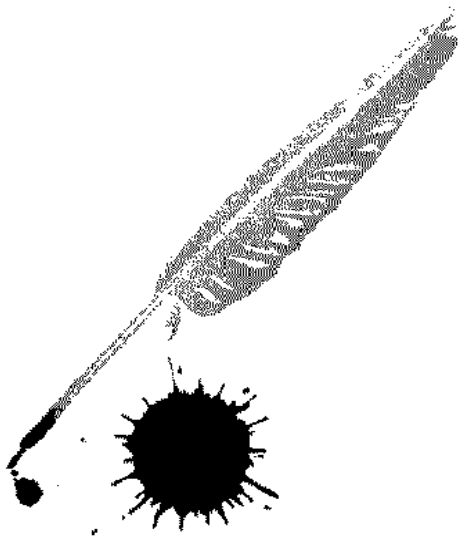

# مقدمة

## الكاتب الكبير

# جورج جرداق

# مقدمة الكاتب الكبير

# جورج جرداق

لعلّ أبرز ما يميّز عظماء الخلق الحقيقيين **وفي طليعتهم الإمام الأعظم عليّ بن أبي طالب**، ويجعل منهم منارات في معابر التاريخ المظلمة، هو التماسك في شخصية كلّ منهم تماسكاً يشبه ما بين عناصر الكون من ترابط، والتكامل في سيرته بين الروح الكلّية التي يلازمه وما حوله من واقع الناس وأحوال الزمان والمكان مما يكسب هذه الشخصيّة صفة الشمول والتنوّع في الوحدة موازنةً بذلك ما في الكون من شموليّة وما يمتاز به من وحدة لا تنقصها التنوّعات الجزئيّة، وكأنّ صاحب هذه الشخصية يجمع الكون كلّه في كيانه هو ويعمل تلقائياً على أن يعكس ذاته على المجتمع الآدمي.

**الإمام عليّ عملاق العقل والقلب والضمير**، الذي اخترق بعبقريته حدود كل مكان وكل زمان، والذي وصفه الفيلسوف اللبناني شبلي الشميّل بقوله: «**الإمام عليّ عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير الشرق لها ولا الغرب صورة طبق الأصل، لا قديماً ولا حديثاً!!**» ليكن فخرنا في غدنا انساناً وقائداً، كما هو فخرنا في ماضينا. والنظر الى الماضي هو شيء من النظر الى المستقبل.

**وللمناسبة أقول:**

لديّ كتاب موسوعي باللغة الفرنسية يتألف من (٥) مجلّدات للمستشرق الفرنسي البارون كارّا ديغو بعنوان «**مفكّروا الإسلام**» وقد طبع في باريس بأوائل القرن التاسع عشر.

ما أصدق مؤلف هذه الموسوعة عندما تحدّث طويلاً وفي موضوعيّة خالصة عن المثالية السامية والكمال الإنساني في شخصية الإمام علي، وأنهى الفصول الطوال بهذا القول الذي يوجز به رأيه في الإمام:

**«وعليّ هو ذاك البطل الموجع المتألم والفارس الصوفي، والإمام الشهيد، والروح العميقة القرار التي يكمن في مطاويه سرّ العذاب الإلهي!»**

إن «**موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الإمام علي التي ألّفها**: الشيخ الدكتور محمد جواد مالك» تعد إضاءة عامة على الجهاديّة بصيغتها ومعانيها والجزئيات المتنوّعة في كلّيتها الانسانية الشاملة. وهي وليدة جهد شاقّ لم يُلجأ الى مثله، وفق ما أعلم مؤلّف هذه الموسوعة التي ستغني بلا شك المكتبة العربية بهذه الموسوعة الشاملة في عرض الكنوز الفكرية والروحية والتربويّة للإمام علي.

ما أجدر أبناء هذا الزمان، في كل أقاليم الأرض بأن يعْشوا الى النهج السليم العظيم المتمثّل بسيرة عملاق العقل والضمير، وملجأ المحبّة والرحمة والحنان، الإمام الأعظم علي بن أبي طالب، وبكلّ ما فعله وقاله ودوّنه وأن يعوه ويطأطئوا رؤوسهم إجلالاً وتعظيماً!

**لقد كان الإمام عليّ بخصائصه جميعاً وسوف يبقى في كل عقل قويم وقلب كريم ووجدان سليم! ففي كل انسان حقيقيّ وسويّ شيءٌ من الإمام عليّ!**

جورج جرداق

# كلمة المؤلف

«نهج البلاغة» اسم وضعه الشريف الرضي المتوفى عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م، على كتابٍ جمع فيه ما اختاره من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد احتوى هذا الكتاب على عدد غير قليل من خطبه ورسائله ووصاياه ومواعظه وحِكمه.

والإمام علي عليه السلام هو أول القوم إسلاماً وإيماناً بالرسالة التي بلّغها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فهو الذي يقول: «بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، وأسلمتُ يوم الثلاثاء»[1]. وهو صهر النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الهيثمي، الحافظ نور الدين: مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠٥، (باب إسلامه (علي) -رضي الله عنه-) عن سلمان قال: أول هذه الأمة وروداً على نبيها صلى الله عليه وآله أولها إسلاماً علي بن أبي طالب رضي الله عنه. رواه الطبراني ورجاله ثقات. وعن ابن عباس قال: أول من أسلم علي رضي الله عنه، رواه الطبراني وفيه عثمان الجزري، لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح، واخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١١٢ كتاب معرفة الصحابة، عن أنس بن مالك قال: نبئ النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء. وذكر الحديث بلفظ (وصلى علي يوم الثلاثاء)، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ الذهبي: صحيح.

وخليفته، وتشهد أحداث التاريخ بعلمه ومواقفه وشجاعته وتربيته وجهاده وإدارته.

وقد جسّد الإمام عليه السلام تعاليم الإسلام في سلوكه وعبادته وسياسته وجهاده، وكيف لا يكون كذلك، فهو بالإضافة إلى التسديد الرّباني والعناية الإلهية له، كان أقرب المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وآله روحاً وعملاً، لذلك تلقّى من الحبيب المصطفى، الرعاية التربوية المباشرة في طول أيام حياته صلى الله عليه وآله، وقد وصف موقعه من الرسول بقوله: «وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء، والذِّراع من العضُد»[1]. يقول الدكتور صبحي الصالح: «شبّه الإمام نفسه من الرسول بالذراع من العضد، كناية عن شدة الامتزاج والقرب بينهما»[2].

فلذلك جاءت كلماته ومواقفه متوافقة مع أحكام ورؤى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. والملاحظ في المجال التربوي، ان الإمام عليه السلام وازن بين ضوابط الحكمة العقلية، واندفاعات العاطفة الإنسانية، وفق الشريعة الإسلامية، وعليه جاءت توجيهاته في الإعداد التربوي والمحاسبة الإدارية -لعمّاله وقادة جيشه وعموم الأمة- وهي تحمل صفة الصرامة المبدئية، والحزم في التطبيق، والشدة في المحاسبة، إلى جانب حنانه الإنساني، وعاطفته الدافئة، وهذا ما يلاحظه المتتبِّع لسيرته الكريمة، حتى في أحلك الظروف وأقساها، كما في وصاياه الإنسانية للجيش الإسلامي، أثناء القتال وبعده. وبالفعل لم يخرجه حزنه العميق، وأسفه الشديد، على حالة

---

(١) نهج البلاغة، باب الرسائل، رقم ٤٥.

(٢) الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٩٣، رقم ٣٩٠٦.

الأمة وما يحيط بها من أحداث مأساوية متلاحقة كقطع الليل المظلم، من عزيمته في قيادة العملية البنائية والإصلاحية، عبر مواصلته في بث الوعي الإيماني والجهادي في النفوس بروح ايجابية متفائلة. فكان يسخّر إمكانيات السلطة السياسية لدولة خلافته، في سبيل خدمة حقوق الأمة، وبالفعل لم يسجل التاريخ فرحة له وابتهاجاً بوصول السلطة إليه، وهي زاحفة إليه على ركبتيْها، لتسلِّمه قيادها بفخر واعتزاز، بينما حدّد هدفه منها في إقامة الحق وإبطال الباطل، وقد قال بوضوح لعبد الله بن عباس، حينما دخل عليه وهو يخصف نعله، وسأله عن قيمة النعل، فأجابه ابن عباس: لا قيمة لها، قال الإمام: «والله لهي أحبُّ إليَّ من إمرتكم، إلّا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً»[١].

من هنا جاءت أهمية كتاب «نهج البلاغة» على الصعيد التربوي بالتحديد، لأن كلمات الإمام نابعة عن واقع عملي قائم، وليست في إطار النظرية، ونحن بحاجة ماسّة للتوجيهات التربوية العملية، التي تشكل المنبع الإسلامي الصافي، الذي يضمن شفاء غليلنا اليوم.

إن الإمام عليه السلام وهو الخليفة الحاكم لم يتخذ البروج العاجية مقرّاً له، وإنما شارك الفقراء والمحرومين والمستضعفين مكاره الدهر، فهو القائل: «أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر»[٢]. ووجّه الأمة لبناء رصيدها عند الله، في خالص العبادة والسلوك السوي، والاستقامة الدائمة، والجهاد الصادق، فلذلك أصبح اسمه يذكّرنا بالله سبحانه، وبالمحكمة الإلهية الدقيقة،

(١) نهج البلاغة، باب الخطب، رقم ٣٣.
(٢) نهج البلاغة، باب الرسائل، رقم ٤٥.

ويذكرنا بالآخرة، من هنا قال الرسول الأكرم ﷺ: «ذكرُ عليٍّ عبادة»[١]. لأنه رفض المداهنة على حساب الحق، والمساومة على حساب الإسلام في طول الطريق، فلذلك بقي صوته مدويّاً خالداً يرنّ في مسمع الدهر، عصيّاً أمام محاولات الطمس والاندثار، مهما اشتد الطغاة والناصبون له العداء في حربه والتآمر ضده. رحم الله أستاذنا الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، الذي خاطب الإمام في قصيدته «على ضفاف الغدير» بقوله: [الكامل]:

وسيبقى يهزُّ سمع الليالي ... منبرٌ من بيانه مسحورُ
وسيبقى لك الخلود وللغافين ... في ناعم الحرير الغمورُ
وستُبنى لك الضمائرُ عُشّاً ... ولدنيا سواك تبنى القصورُ[٢]

والمسألة ليست عاطفية فقط، وإنما هي نابعة عن دراسة واعية لكلام الإمام الذي يتجاوز الحالة الوعظية والإرشادية، ليكشف للمتلقي المسلم مشكلاته، وللأمة أزماتها الحياتية، وللدولة

---

(١) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ١/ ١٠٢٤. راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢، ص٣٥٧. باب علي بن أبي طالب واسمه عن أم المؤمنين عائشة قالت: أخبرنا أبو أسعد المطرّز وأبو علي الحداد وأبو القاسم غانم محمد بن عبد الله. وكذلك راجع سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج٢، ص٢٦، باب علي كرمّ الله تعالى وجهه، الحديث الأربعون ومائة، رواه الخطيب والديلمي عن عائشة أم المؤمنين. وكذلك قال ﷺ: «النظر في وجه علي عبادة» أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وشواهده عن عبد الله بن مسعود صحيحة.

(٢) جمال الدين، السيد مصطفى: الديوان، من قصيدة (على ضفاف الغدير)، ص٢٢٢، ٢٢٤.

معضلاتها السياسية، وللجيش والمقاومة أساليب الثبات والتطور في المواجهة العسكرية، كل ذلك ليتحمل الإنسان والأمة معاً المسؤولية الشرعية في بناء الحياة الإسلامية الكريمة.

فكانت تربيته الهادفة ترمي إلى تحمل المسؤوليات الكبيرة باتجاه مصالح الأمة ووحدتها وتماسكها، ولو على حساب حقّه الشخصي، فقد قال في خطبة له: «لقد علمتم أني أحقّ الناس بها من غيري، والله لأسُلمنّ ما سلمت أمورُ المسلمين، ولم يكن فيها جوْرٌ إلّا عليَّ خاصّةً..»[1].

إن كلمته هذه بمثابة الصرخة المدوّية في عالم الحركة التصحيحيّة والعملية الإصلاحية والمبادرة الجهادية، لكافة علماء المسلمين والحركات الإسلامية وعموم الأمة، لكي يتعرف الواعون على زمان ومكان المعركة المصيرية للأمة الاسلامية، مترفّعين عن الحسابات الشخصية، والاندفاعات الفئوية، والتوجهات الطائفية، لضمان قوة الوحدة الإسلامية، وسلامة مسيرتها الجهادية.

من هنا اكتسب كتاب «نهج البلاغة»أهمية كبيرة في حياة الأمة، مما دفع العلماء والمفكرين والباحثين -قديماً وحديثاً- بالاعتناء به، ودراسة نصوصه، وبيان معانيه في شروح متنوعة الأغراض، ومتعددة الاهتمامات، وذلك في محاولات حثيثة لتوضيح مراد الإمام عليه السلام، ولتبيان الجوانب العلمية والفقهية والأدبية في تلك النصوص، وكذلك لتسليط الأضواء بدقة على أحداث التاريخ، وذلك ليتم ربطها بالواقع المعاصر عمليّاً، وهكذا احتوت المكتبة الإسلامية على

(١) نهج البلاغة، باب الخطب، رقم ٧٤.

الكثير من الكتب والدراسات التي شرحت وحلّلت وحققّت في نصوص كتاب (نهج البلاغة)، يمكن أن نشير إلى أهم أصنافها وهي:

**أ- الصنف الذي اعتنى بالجانب اللغوي والتاريخي والمعرفي، وذلك عبر استعراض المؤلف للأحداث التاريخية بتفاصيلها من خلال النصوص، ومن أمثلة هذا الصنف:**

١• ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، في عشرين جزأً، بعشرة مجلدات. وهو شرح ذو أهمية بالغة، وله موقع مهم بين الكتب الشارحه، -قديماً وحديثاً- فالمؤلف عاش ما بين (٥٨٦-٦٥٦هـ، ١١٨٩-١٢٥٨م)، وامتاز باطلاع واسع في الأدب والتاريخ والمعارف الإنسانية، إلا أن الملاحظ عليه إنه يستغرق -أحياناً - في نقل الأحداث التاريخية بتفصيل قد يخرجه من إطار شرح النص، وقد يكون التفصيل نافعاً أيضاً، كما في ذكره للخوارج مثلاً[١].

والملاحظة المهمة حول المؤلف، إنه يتماشى في شرحه مع أفكار مدرسة الاعتزال، ومع كل ذلك يعدّ من أهم وأوسع الشروح القديمة، وقد أشار في صدر شرحه، أنه لم يسبقه أحد في شرح الكتاب سوى سعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه، المعروف بالقطب الراوندي[٢].

---

(١) راجع ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج١، ج٢، في شرح الخطبة رقم ٣٥، تحت عنوان (التحكيم وظهور الخوارج)، ص٤٠١-٤٤٠. وكذلك في شرح الخطبة ٣٦، ص٤٤٠-٤٥٢. كما يتناولهم في مواقع أخرى.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، المرجع ذاته، مج١، ج١، في تصدير المؤلف، ص١٤. =

٢• البحراني، العلامة كمال الدين بن ميثم المتوفى سنة ٦٧٩هـ: شرح نهج البلاغة، في خمسة أجزاء، وهو شرح فريد في بابه، وافٍ في أهدافه، دقيق في بيان المعاني، إلّا انه يميل في شرحه كثيراً نحو الجدل المنطقي والمباحث الكلامية في الأسباب والنتائج، وهذه الملاحظة عامة وواضحة في عموم شرحه.

٣• الخوئي، العلّامة ميرزا حبيب الله المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، في واحد وعشرين مجلداً. وقد يترجم النصوص وشرحه لها أيضاً إلى اللغة الفارسية في الوقت ذاته.

٤• مغنية، الشيخ محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، في أربعة أجزاء، يركز المؤلف في شرحه على الاستفادة العصرية من توجيهات الإمام ويعرضها بشكل عصري هادف.

٥• الشيرازي، السيد محمد الحسيني: توضيح نهج البلاغة، في

---

= راجع: الراوندي، الشيخ قطب الدين [أبو الحسين سعيد بن هبة الله]: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني. في ثلاثة أجزاء، طبع الأفسيت في مدينة دهلي عاصمة الهند سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م. وهو من علماء الإمامية وفقهاء الشيعة، متوفى سنة ٥٧٣هـ-١١٧٦م. ويعتبر هذا المحقق إن أول الشارحين هو الشريف الرضي حيث شرح الألفاظ الغريبة، وأبو الحسن علي ابن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥هـ - ١١٦٨م، وهذا الشرح موجود ضمن المخطوطات النادرة في المكتبة الرضوية في مشهد طوس - إيران. كما ويذكر عدة من الشروح المعروفة. راجع الراوندي: المرجع ذاته، في مقدمة المحقق، ص١٢-١٩.

أربعة أجزاء، يتناول كلام الإمام كلمة كلمة وجملة جملة، موضحاً أبعاد المعاني بشكل هادفٍ ومؤثر.

**ب- الصنف الذي امتاز بالشرح اللغوي للمفردات الصعبة، وسعى نحو بيان مراد الإمام، ودلالة النص التاريخية والأهداف المعنوية بشكلٍ مضغوط. نذكر بعض الأمثلة:**

١• الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة، وقد أورد الفهرس بالأرقام في نهاية الكتاب، بعد ضبط الكلمات وتحقيق النصوص، في سعي علمي دقيق يشكر عليه.

٢• عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، تناول النصوص بشكلها المذكور، شارحاً ما يراه مناسباً.

٣• البحراني، كمال الدين بن ميثم: اختيار السالكين، شرح نهج البلاغة الوسيط، في مجلد واحد.

٤• التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، في مجلد كبير واحد. جمع المؤلف بين الشروح الثلاثة باختصار. ابن أبي الحديد المعتزلي، والدكتور صبحي الصالح، والشيخ محمد عبده، في طباعة فنية مميزة.

**ج- الدراسات التحقيقية: وهي التي اعتنت بالمصادر الأساسية للنصوص الواردة في كتاب (نهج البلاغة)، وقد أسندتها إلى أصولها في بطون الكتب التاريخية المعتبرة، وذلك في محاولة جادّة لدفع الشكوك والطعون من حولها، وبذلك قدّمت هذه الدراسات خدمة جليلة في إطار توثيق تلك النصوص، بل**

**فتحت باب الاستدراك على كتاب (نهج البلاغة). ومن أبرز تلك الدراسات التوثيقية هي:**

١• الخطيب، السيد عبد الزهراء الحسيني: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، في أربعة أجزاء.

٢• كاشف الغطاء، الهادي: كتاب مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه، وكتاب مستدرك نهج البلاغة. - في مجلد واحد -

٣• المحمودي: محمد باقر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، في ثماني أجزاء.

**د- الدراسات الموضوعية في كتاب نهج البلاغة، وهي على نوعين:**

النوع الأول: هو الذي تناول المؤلف فيه خطبة معينة أو رسالة محددّة، بالشرح والتحليل، على المستوى التاريخي، أو الثقافي، أو القانوني، بما يتناسب مع متطلبات المرحلة التي يشخصها المؤلف. والأمثلة على هذه الدراسات كثيرة منها:

١• الفكيكي، توفيق: الراعي والرعية، دراسة حول عهد الإمام لمالك الاشتر.

٢• الموسوي، عباس علي: الوصية الخالدة، شرح لوصية الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام.

٣• شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: عهد الاشتر.

٤• فضل الله، السيد عبد المحسن: نظرية الحكم والإدارة في عهد الإمام للاشتر.

النوع الثاني: أن ينتزع المؤلف عناوين مناسبة من النصوص المذكورة في النهج، فيقتطعها من موقعها ليشرحها ويحلّلها في اتجاه هدفه المقصود. ومن أمثلة هذا النوع نذكر ما يلي:

١• التستري، العلّامة المحقق الشيخ محمد تقي: بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة، في ١٤ مجلداً. وهو من أبرز الأمثلة وأوسعها، فقد اختار المؤلف ستين عنواناً لدراسته الموضوعية. وقد جاء اختياره للعناوين حسب الأهمية التي يراها. فمثلاً في الفصل الثالث والعشرين، في المجلد الثامن، تحت عنوان «عتاباته لعمّاله وغيرهم»، وفيه ١١ مطلباً، يتحدث من خلال نصوص الإمام عن مقاطع تاريخية طويلة، فينقل من عدة مصادر ومراجع ذات الصلة ليوضّح مطلبه منها، فهو يعدُّ شرحاً تاريخياً موثقاً بالأدلة الوافية. وهذا إنجاز مهم، إلّا انه ونتيجة لاستغراقه المتواصل في نقله من الآخرين، يجعله ناقلاً ورابطاً ما بين الأحداث، قليل الاهتمام بهدف النص ودلالته -أحياناً-.

٢• شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: دراسات في نهج البلاغة، ينتقي المؤلف موضوعات مهمة، فيوجهها نحو أهداف توعويّة وتوجيهيّة للإنسان والأمة والدولة، وذلك من خلال شرحه وتحليله لكلمات الإمام برؤية عصرية. وبهذا الانجاز الموضوعي يفتح آفاق الحلول للأزمات أمام المتلقين، عبر تقليد الإمام في طريقة فهمه للأحداث

وأسلوب معالجته لها إسلامياً، فقد قال المؤلف في مقدمة كتابه: «وفي نهج البلاغة الذي يمثل الإسلام في صفاته ونقائه كما فهمه الإمام علي -عليه السلام- وعاشه وطبقه، في نهج البلاغة أجوبة مبدئية على كل هذه الأمور التي نعاني منها، وغيرها»[١]. وبالفعل تناول موضوع المجتمع والطبقات الاجتماعية، وكذلك موضوع الحاكم وشروطه، موضحاً آراء الإمام في الاجتماع والاقتصاد والسياسة، بطريقة تلامس الحاجة المعاصرة.

وله كتاب آخر بعنوان «حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، دراسة في نهج البلاغة». يدعو من خلاله إلى وعي تجارب التاريخ في توجيه مسألة المعروف والمنكر والأكثرية الصامتة، لغرض اتقاء الفتنة، بقطع أسبابها أو بمعالجتها عند نشوبها.

٣• وقد برزت دراسات تخصصيّة حول موضوعات محددّة، من خلال نصوص نهج البلاغة، للمثال نذكر منها:

أ • المعلّم، محسن علي: العقائد في نهج البلاغة. ركّز في هذا الكتاب على دراسة أصول العقيدة من التوحيد وصفات الله سبحانه، وصفة العدل، والنبوة العامة والخاصة، والإمامة والمعاد. شارحاً أقوال الإمام في هذا الاتجاه.

---

(١) شمس الدين، محمد مهدي: دراسات في نهج البلاغة، ص٦، في مقدمة المؤلف للطبعة الثانية.

ب • الموسوي، د. محسن باقر: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، تناول فيه الاقتصاد بصورة عامة، والسياسيات الاقتصادية، ومعالجة مشكلة الفقر، ومسألة التنمية الاقتصادية، من خلال نصوص الإمام. وله كتاب آخر بعنوان «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي عليه السلام» معتمداً على نصوص الإمام في نهج البلاغة وسيرته الإدارية.

ج • الغروي، محمد: «الأمثال في نهج البلاغة». وقد رتبها على ضوء الحروف الهجائية. للمثال نذكر قوله عليه السلام: «مثل الدنيا كمثل الحيّة ليّنٌ مسُّها، قاتلٌ سمُّها..»[1]. و«المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[2] وهكذا..

د • جابر، د. قاسم حبيب: الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة. تناول المؤلف فيه المسائل العقدية وهي: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد يوم القيامة. موضحاً منهج المعتزلة - غالباً- في بحوثه العقلية، لذلك اعتمد على شرح ابن أبي الحديد كثيراً. وعلى العموم، لقد قدّم المفكرون والباحثون والشارحون، الكثير من الدراسات والشروح والتحليلات لنصوص الإمام الواردة في كتاب نهج البلاغة، وقد أحسنوا بما قدّموا في

(١) نهج البلاغة، باب الرسائل، رقم ٦٨.

(٢) باب الرسائل، رقم ٣١. مقطع (الرأي في المرأة).

سبيل تطوير المعرفة والأدب وأساليب التربية والإدارة، وأنهم بأعمالهم تلك ساهموا في بث الوعي الإيماني والإداري والجهادي في الأمة.

أما موسوعتنا هذه «التربية الجهادية وأهدافها عند الإمام علي». فقد جاءت تلبية لحاجة الأمة الملحّة اليوم أكثر من أي وقت آخر، بالعودة الصادقة إلى الأصالة الإسلامية للتزود بالوعي والمعرفة، لغرض المواجهة الجادة ضد القوى العدوانية المتربصة بالأمة الإسلامية لغرض إضعافها والسيطرة عليها، وذلك عبر الاقتناع بمنهجية البناء الإيماني والجهادي للإنسان المؤمن والأمة الواعية والدولة الإسلامية، برؤية تربوية متكاملة.

وقد قسّمت الموسوعة إلى ستة فصول:

**الفصل الأول** وقد تناولت فيه ثلاثة مباحث، وهي:

١• معنى التربية الجهادية، وأقسامها.

٢• أسس التربية الجهادية في القرآن الكريم.

٣• الرسول الأعظم ﷺ والتربية الجهادية.

**الفصل الثاني**: «وسائل التربية الجهادية وأساليبها». تناولت الفصل في مبحثين هما: الوسائل، والأساليب، ففي **المبحث الأول**: خصّصت خمس وسائل في خمسة مطالب وهي: الخطابة العامة. الوعظ والإرشاد الشخصي. الرسائل والحِكم. القدوة الحسنة. ومظاهر الأداء.

**وفي المبحث الثاني**: تناولت أربعة أساليب في أربعة

مطالب وهي: إثارة الحمية والنخوة في النفوس. رسم معالم عطاءات النفس الكبيرة. الدعاء إلى الله سبحانه. ترويض النفس لغرض تحمل الصعاب، وحب الآخرين.

**أما الفصل الثالث، وهو بعنوان:** «أهداف التربية الجهادية عند الإمام». فقد تناولت هذا الفصل في ثلاثة مباحث هي:

١• بناء الإنسان المؤمن المجاهد والأمة المؤمنة المجاهدة.

٢• بناء الدولة الإسلامية القوية.

٣• حماية وتطوير البناء الإيماني والجهادي، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعاون الاجتماعي.

**أما الفصل الرابع:** «السياسة الجهادية عند الإمام عليه السلام، في إدارة شؤون القتال، وتعليم فنون الحرب». وقد تناولت هذه السياسة ميدانياً من خلال المعارك الثلاث في عهد خلافته عليه السلام، ضمن ثلاثة مباحث وهي:

١• معركة الجمل.

٢• معركة صفين.

٣• معركة النهروان.

**أما الفصل الخامس:** «فئات المتلقين للتربية الجهادية». فقد تناولته - أيضاً - **في ثلاثة مباحث هي:**

١• الأمة الإسلامية.

٢• الجيش الإسلامي.

٣• قادة الجيش.

وفصّلت هذه المباحث بمقاربات عصرية.

**الفصل السادس:** «التعرّف على كتاب نهج البلاغة». **وفيه ثلاثة مباحث هي:**

١• ما هو كتاب نهج البلاغة؟ تناولت فيه تعريف الكتاب، وجمع نصوصه، وأهم الطعون عليه والردود عليها.

٢• ما ورد في نهج البلاغة من علوم ومعارف. وقد ذكرت أهمها، وشرحت ما اخترته منها في ثلاثة مطالب وهي: في النظام الاقتصادي، وعلم الإدارة، وعلم القضاء.

٣• ما ورد في نهج البلاغة حول التربية الجهادية. وذكرت فيه نصوص الإمام عليه السلام التي بينت فضل الجهاد والمجاهدين، وصفات المجاهدين، والتعبئة الجهادية العامة.

وقد اختتمت الدراسة في نهاية المطاف، بنتائج البحث. ثم رتبت الفهارس المهمة، ومنها القائمة التفصيلية للمصادر والمراجع.

وأخيراً أستطيع القول بأني عشت زمناً مهماً مع نصوص الإمام وسيرته، وقد انتابتني ساعات من التأثر العاطفي الشديد إلى حدّ البكاء العفوي بما أحسست من مظلومية الإمام، وهو يسعى بكل قوة لحماية الإسلام ومصالح المسلمين، ولكن كثيراً من الناس من لا يفهم رسالة الإمام علي وأهدافه السامية، والمفارقة أن من كبار أعدائه المحاربين له يفهمونه حقّ الفهم، ولكنهم يحاربونه لدنياهم أو لدنيا غيرهم!!.

وعشت مع الإمام في ساعات الجهاد الأكبر مع التربية النفسية وآمنت بأن الإنسان السعيد في حياته هو المؤمن بالله والإسلام حقّ الإيمان، وهو سر النجاح، حتى لو سلبت منه المواقع المرسومة لكفاءته ونزاهته، فالسعادة الحقيقية لا تمنحها المواقع السياسية أبداً.

وعشت أيضاً مع الإمام في تضحياته وجهاده وسلوكه المتوازن حتى مع أعدائه وفي ساعات النصر والظفر أيضاً. وإني - كباحث موضوعي إن شاء الله- لشديد الإعجاب برباطة جأشه وصبره وهو يواجه برحابة صدر أنواع المؤامرات الجاهلية، والأساليب العدوانية الماكرة، التي حيكت ضدّ دولة الخلافة في عهده وبالفعل تجاوز تلك العقبات بروح إسلامه الصادق، أي بتسليمه المطلق لله ﷻ، وصلابة إيمانه، وعميق يقينه، فمضى في طريق العمل والبناء بشجاعة واقتدار، وأنجز مهامه الصعبة في وقت قياسي، وسط أجواء خطيرة في حياة المسلمين، سادت فيها لغة المصلحية والانتهازية بشكلٍ عام. وقد قال عليه السلام: «.. **الإسلامُ هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداءُ هو العمل**»[1].

هذا، وكان لثقتي بالله سبحانه، ولاندفاعي الذاتي للوصول إلى تحقيق رضا النبي ﷺ من خلال حبّي وموّدتي لأهل بيته، وعلى رأسهم سيدنا الإمام علي، الدور الأكبر في تجاوزي لصعوبات إعداد هذه الموسوعة، رغم تزاحم أعمالي اليومية ونشاطاتي الفكرية الأخرى، وبالفعل عالجتها بحرارة المحبة وأجر المودة، كما أمرنا سبحانه

(١) نهج البلاغة، باب الحِكم، رقم ١٢٥.

وتعالى بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1]. ومع ذلك يمكن أن أسجّل أبرز تلك الصعوبات التي كانت تأخذ مني وقتاً طويلاً، وهي مسألة تعدّد الطبعات للشرح الواحد، خصوصاً الشروح الطويلة كشرح ابن أبي الحديد المعتزلي، مما كان يربك متابعتي وتدقيقي أحياناً، فآثرت الاعتماد على طبعة واحدة، وأرجعت الطبعات المتعددة إليها. كما وإن بعض الشارحين لكتاب النهج لا يستخدم أرقام الخطب والرسائل أثناء الشرح، ولا في الفهرس، ممّا يعسّر الوصول إلى مراد الشارح بسرعة وسهولة. ومن الطريف ذكره إنني في بعض الأحيان كنت أصاب بخيبة أمل حينما أبذل وقتاً طويلاً لغرض التعرف على مراد الشارح، وإذا به يتناول النص بشكل بسيط وعابر!!، وقد تجاوزت هذه الصعوبات وغيرها ببركات النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام[2].

---

(١) سورة الشورى ٤٢، /٢٣.

(٢) «ذكروا أن أبا حنيفة [النعمان] أكل طعاماً مع الإمام جعفر بن محمد [الصادق] فلما رفع الصادق عليه السلام يده من أكله قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم هذا منك ومن رسولك -ﷺ- فقال أبو حنيفة: أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً!!
فقال له الإمام: ويلك! فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ التوبة٩/ ٧٤
ويقول في موضع آخر: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾ سورة التوبة ٩/ ٥٩. فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتهما قط من كتاب الله ولا سمعتهما..». هذا ما نعنيه ونقصده من بركات النبي وآله. راجع الكراجكي، أبو الفتح: كنز الفوائد ص١٩٦.

# الفصل الأول

## التربية الجهادية

## وفيه ثلاثة مباحث

* المبحث الأول : معنى التربية الجهادية وأقسامها *

* المبحث الثاني : أُسس التربية الجهادية في القرآن الكريم *

* المبحث الثالث : الرسول الأعظم ﷺ والتربية الجهادية *

# المبحث الأول

## معنى التربية الجهادية وأقسامها

## وفيه ثلاثة مطالب

★ المطلب الأول : معنى التربية، والتربية الجهادية - لغة واصطلاحاً - ★

★ المطلب الثاني : أ - أهمية التربية الجهادية في حياة المسلمين.

ب- نبذة عن تعاليمها ووظائفها ★

★ المطلب الثالث: أقسام التربية الجهادية:

١- التربية النفسية.

٢- التربية العقلية.

٣- التربية الجسدية ★

# المطلب الأول

## معنى التربية، والتربية الجهادية
## - لغةً واصطلاحاً -

● **التربية لغةً:**

مأخوذة أصلاً من حرفي الراء والباء. «والرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبّر، والمربّي والقيّم المنعم. . . ولا يطلق غير مضاف إلّا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غيره أُضيف. . . ويكون الرب المصلح، رَبَّ الشيءَ إذا أصلحه. . وربّ ولدَه والصبيَّ يَرُبُّه ربّاً، وربَّبَهُ تربيبا وتربةً: بمعنى ربّاهُ.

وفي الحديث الشريف «لك نعمةً تربُّها»[1] أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجلُ ولَدَه. . . وربّاه تربية على تحويل التضعيف وتربّاه. . . : أحسن القيام عليه، ووَليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أو لم يكن، وأنشد اللحياني: [الطويل]:

تُـربّـبـهُ مـن آلِ دودانَ شـلّـةٌ  تَربّة أمٍّ، لا تضيعُ سخِالها

وقال أحمد بن يحيى للقوم الذين استُرضع فيهم النبي ﷺ: أربّاء

---

(١) ابن حنبل، الإمام أحمد: مسند، ج٢ص٤٦٢ رقم الحديث ٩٩٥٩، عن أبي رافع عن أبي هريرة، بهذا النص: «. . هل له عليك من نعمةٍ تربُّها؟».

النبي ﷺ، كأنّه جمع رَبيب، فَعيل بمعنى فاعل. والرَّبّيُّ والربّانيُّ: الحَبْر، وربُّ العلم، وقيل الربّانيّ الذي يعبد الرب. . . زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب. . . قال محمد ابن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - اليوم مات ربّانيُّ هذه الأمة. وروي. . عن الإمام علي عليه السلام إنه قال: «الناس ثلاثة: عالم ربّانيُّ، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع أتباع كل ناعق»[١].

. . . وقيل هو من الرب، بمعنى التربية، كانوا يربّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها. والربّاني هو العالم الراسخ في العلم والدين أو الذي يطلب بعلمه وجه الله. . . ، والربيبة واحدةُ الربائب من الغنم التي يربيها الناس في البيوت لألبانها: تُربط قريباً من البيوت وتعلف لا تُسأم، وهي التي ذكر إبراهيم النخعي أنه لا صدقة فيها. .

والسحاب يَرُبّ المطر أي يجمعه وينميه. . . والمطر يَرُبّ النبات والثرى ويُنميّه. .»[٢]

«وتربّب الرجل والأرض: ادّعى أنه ربّهما. وربَّ: جمع، وزاد، ولزم، وأقام، والأمر: أصلحه.

والدُّهن: طيّبه، والشيء ملكه. . . والصبيَّ: ربّاه حتى أدرك. . والربيبة الحاضنة. .»[٣].

«وربَّ الأمر، يَرُبّهُ ربّا ورِبابةً: أصلحه ومتّنه، أنشد ابن الأنباري: [الطويل]:

---

(١) نهج البلاغة، باب الحِكم، رقم ١٤٧.

(٢) ابن المنظور، جمال الدين: لسان العرب، ط١، ٣/ ١٤-١٧. وفي ط٢، ٥/ ٩٥-٩٨.

(٣) الفيروز آبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، ١/ ١٦٥.

يَرُبّ الذي يأتي من العُرف إنهُ إذا سُئل المعروف زاد وتمما

. . . ورَبَّ ولده والصبي يَرُبّه ربّاً (ربّاه): أي أحسنَ القيام عليه وَوَليهُ حتى أدرك أي فارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن. . »[١].

وعلى ما يظهر من المعاني اللغوية - المارة الذكر - هنالك عدة معان للتربية، ويمكننا أن نشير إلى ثلاثة منها، وهي مترابطة فيما بينها بشكل معين، تصبّ نحو هدف الالتزام والرعاية للإنسان الناشئ. وهذه المعاني هي:

أولاً • الحفظ والرعاية، وتوفير الحماية للإنسان من التيه والضياع، حتى يفارق مراحل الطفولة والضعف.

ثانياً • النمو والزيادة، وكذلك المواصلة في العملية الإصلاحية، وقد جاء في الذكر الحكيم قوله سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[٢].

فالذي نفهمه من النمو أو التطور إنه يأخذ الحالة الطبيعية في التدرّج، ولا يتحقق ذلك عبر قفزات مفاجئة، وهذا واضح في قولهم غذّاهُ ونشّأهُ أي شيئاً فشيئاً، كما وأن المربين يعلموهم صغار العلوم قبل كبارها، وقولهم أيضاً أربّاءُ النبي ﷺ للقوم الذين استرضع عندهم.

---

(١) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس ٢/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) سورة الحج ٢٢ آية ٥.

ثالثاً • المباشرة والملازمة والاحتضان، حيث تتم التغذية التربوية على مختلف الأصعدة بإشراف مباشر. وهذا ما يوضحهُ قولهم: الربيبة، الحاضنة، ويُربى الصبي: أي يحسن القيام عليه حتى يفارق الطفولة ويدرك الحياة.

كل ذلك لتتكرس الجهود والخبرات في عمليات التزويد والإنماء للناشئين الصاعدين، حيث تستقر تلك الجرعات التربوية في ذوات المتلقين، ومن ثم لتنمو وتتطور عبر الزمن، لتنبع منها - بالنتيجة المرجوة - آثار نبيلة وقيم سامية، فترفد الحياة بمناهج الإصلاح وسبل الرشاد وأسس العدل والمحبة.

● **المعنى الاصطلاحي للتربية:**

لما كانت التربية - أسلوباً ومنهجاً وهدفاً - من الاهتمامات الإنسانية الأولى، تركز الاهتمام على دلالاتها وآثارها، فقد عُنيت الرسالات السماوية بها عناية فائقة لأنها المحور الارتكازي في تنظيم شؤون الحياة بكل تفاصيلها. كما واحتلت - أيضاً - موقعاً بالغ الأهمية لدى المدارس الفكرية والفلسفية - قديماً وحديثاً - ومن هنا نلاحظ التنوّع والتطور الذي تعرّض له مصطلح التربية، وذلك لتعددّ وجهات النظر على ضوء تطورات الواقع الحياتي والمعيشي، حيث يستلزم تطوير مفهوم التربية وأساليبها وأهدافها.

وهنا نشير إلى بعض تلك التعريفات - قديمها وحديثها - مع بيان أهدافها، ومناقشتها بشكلٍ إجمالي، يقول أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ق.م) إن: «التربية إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال، وكل ما

يمكن من الكمال»[١]. ويشمل هذا التعريف التربية الجسدية والروحية معاً. «وقالوا قديماً أيضاً: «إن التربية هي عملية يُلقّن بها المتعلم معلومات في مختلف مواد التعليم، وكلما غزُرت معلوماته هذه ارتفع مستوى تربيته». و«إن التربية عملية تتفتّح بها قابليات المتعلم الكامنة، كما تتفتح النباتات والأزهار، أي إن الطفل مجموعة من القابليات، وما وظيفة التربية إلّا العمل في سبيل تفتح هذه القابليات ونموّها. .»[٢]. وهذه النظرية أبْطلها العلم الحديث وذلك لأن الطفل - محور العملية هنا - لا يرث عن أسلافه تلك القابليات بالصورة التي ترسمها هذه النظرية، وإنّما يرث قابلية التكيّف في مواجهة الظروف، ليشق طريقه في الحياة، بأسلوب علمي متطور، «فالتطور والتكيّف هما سرّ الحياة، وما العملية التربوية إلّا المحرك المنظم لعملية التكيف، فعمل المربّي إذن هو أن يعين المتربّي على أن يتكيف ويكيّف محيطه ليناسبه وأن يتكيّف هو نفسه ليتناسب مع محيطه وظروفه»[٣].

والملاحظ على التربية اليونانية القديمة إنها أكّدت على تغذية الجانب العقلي وترويضه لإعداد المواطن الصالح الحر، وبهذه التربية ستتحقق السعادة في الحياة[٤]، وعلى ذلك تركزت هذه التربية وكذلك التربية الرومانية في إطار النظام المدني في الحياة الدنيوية. بينما أدخلت المسيحية أهداف روحية وأخروية في تربيتها، فاعتنت بالسلوك والترويض الأخلاقي. «ولقد كانت الحاجة الأهم

---

(١) القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام - دراسة مقارنة-، ص ٣٦.

(٢) شهلا، جورج و(آخران): الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، ص ٣٥-٣٦.

(٣) عاقل، د. فاخر: معالم التربية، ص ٢٢.

(٤) عبد العزيز، صالح: التربية الحديثة، ج٣، ص١٦-١٧.

بالنسبة للمجتمع في القرون الوسطى.. حاجة سلوكية أخلاقية يكفيها مثل أعلى جديد، ودوافع سلوك غير التي كانت سائدة، لا سيما بعد أن عجزت التربية وعجز الدين عند اليونان والرومان عن تلبية تلك الحاجة. أما الدين المسيحي فقد نفخ في التربية روحاً جديدة، ووجه المجتمع توجيهاً جديداً كان من نتائجه أن وجهت العناية إلى السلوك أكثر من العقل، وحلّ الترويض الأخلاقي محل الفلسفة الأخلاقية، وصارت التربية نمطاً حياتياً قاسياً غايته التحضير لحياة أخرى، وكان هذا الانضباط الأخلاقي يرى وجوب كبت كل ما ينشأ عن الرغبات الطبيعية.. ولذلك فقد كانت التربية في هذه الأثناء معادية لنظرية اليونان الفردية، ونظرة الرومان الاجتماعية»[1].

- **جولة عامة مع آراء المفكرين في ميدان التربية:**

نلتقط بعض الآراء في هذا الشأن، لنستكمل الصورة التاريخية لتطور المعنى الاصطلاحي للتربية بالدلالات والأهداف.

١- المفكر فرانسوا رابليه[2] Rabelais, Francois (١٤٨٣-١٥٥٣م)، طالب «بأن يستعاض عن التربية اللغوية الشكلية القديمة بتربية تشمل على عناصر اجتماعية وأخلاقية ودينية وجسدية، تربية تقود إلى حرية الفكر والعمل عوضاً من الخضوع للسلطة، سلطة المدرسين أو الإنسانيين، أو رجال

(١) عاقل، د. فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص٧-٨.

(٢) وهو من المفكرين الفرنسيين، بدأ حياته راهباً ثم توجه نحو الطب والتربية والأدب، وتميّز بأسلوبه الأدبي الساخر في دعوته للتحرر من قيود التقليد والخرافة. البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٨/ ١١٤.

الدين»[١]. - على حدّ تعبيره - والحقيقة إن (رابليه) يعبّر عن خيبة أمله - كردّة فعل عكسيّة - للإجراءات التربوية التي مارستها الكنيسة ورجال التربية في تلك الحقبة الزمنية، لذلك طالب بالتمرد على التعاليم والتقاليد السائدة.

٢• فرانسيس بيكون[٢] Becoon (١٥٦١-١٦٢٦م) يعتقد بأن المعرفة «إنما تكون بالأساس عن طريق الحواس، ولذلك وجب تأسيس التربية على الإدراك الحسّي. لا عمل الذاكرة فقط»[٣].

بينما يجعل جون أموس كومنيوس[٤] Comenius, John amos (١٥٩٢-١٦٧٠م) هدف التربية تحقيق السعادة في الدار الآخرة، لأنّ «غاية الإنسان القصوى هي السعادة الأبدية في الدار الآخرة، ولذلك فإن غاية التربية هي المساعدة في الوصول إلى هذا الهدف. والمربّون الآخرون يتفقون مع كومنيوس في كل هذا، ولكنه يختلف عنهم في أنه لا يقول معهم بوجوب القضاء على الرغبات الطبيعية

(١) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١٠٩.

(٢) فيلسوف إنكليزي، يعتبر زعيم المدرسة الواقعية الحسيّة في التربية، فقد انصبت اهتماماته نحو «إحياء وتجديد الفلسفة والعلوم بالطرق الاختبارية». معلوف، لويس: المنجد في الأعلام، ص١١٥.

(٣) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١١٦.

(٤) كومنيوس: هو مصلح تربوي تشيكي، له عدة مؤلفات في التربية العملية، ويعتبر من وجوه التربية الحسية، من أشهر آثاره كتابه (باب الألسن المُشْرع) عام ١٦٣١م. البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٣/ ٦٣.

والغرائز والعواطف واللجوء إلى الترويض الأخلاقي والعقلي»[١].

٣• جون ملتون[٢] Milton, John (١٦٠٨-١٦٧٤م) يعرّف التربية بقوله: «التربية الكاملة الكريمة تلك التي تعيد الإنسان لأداء الأعمال الخاصة والعامة في السلم والحرب، بإحكام ومهارة وشرف»[٣]. وهذا التعريف يركز على اتجاه التربية المهنية.

٤• جان جاك روسو[٤] Rousseau, Jean Jacques (١٧١٢-١٧٧٨م) المفكر الفرنسي المعروف، يرى بأن «التربية عملية حياة، عملية تدوم مدى الحياة، أو على الأقل من الولادة إلى الرشد»[٥]. وكان يرى هدف التربية في تزويد العقل بالعلوم والمعرفة، كما كان يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي[٦].

٥• جون لوك[٧] Locke, John (١٦٣٢-١٧٠٤م) يعتقد بأن التربية

---

(١) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١٢٣.

(٢) شاعر إنكليزي، يعد من أعظم شعراء الانكليز بعد شكسبير، كتب مقالات عديدة دفاعاً عن الحريات السياسية والدينية، أشهر آثاره (ملحمة الفردوس المفقود)، و(ملحمة الفردوس المستعاد). البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٧/ ٣٣.

(٣) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١١٠.

(٤) مفكر فرنسي اشتهر في كتاباته المؤثرة، وقد «اعتبره بعض النقاد الوجه الأبعد نفوذاً في الأدب الفرنسي الحديث والفلسفة الفرنسية الحديثة. وليس من ريب في أن مقالاته ورواياته قد مهدّت السبيل لاندلاع الثورة الفرنسية.. أشهر آثاره كتابه (العقد الاجتماعي)». البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٨/ ١٦٩-١٧٠.

(٥) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١٥٩.

(٦) عبد العزيز، صالح: التربية الحديثة، ج٣، ص٢١.

(٧) (جون لوك)، فيلسوف انكليزي، دافع عن حقوق الإنسان الطبيعية، ودعا إلى =

تعني الترويض والممارسة العملية، «وإن العقل هو الدليل للوصول إلى الحقيقة، ولكن النفس لا تستطيع بلوغ هذا الهدف إلّا إذا رُبّيت تربية خاصة عن طريق الترويض الشديد..»[١]. وفي كتابه الشهير (آراء في التربية)، يرى إن أهداف التربية ثلاثة وهي: قوة الجسد والفضيلة والمعرفة. وان الوصول إلى الفضيلة كهدف أساس يتم عن طريق ترويض الرغبات ومراقبة الغرائز لاكتساب العادات الحسنة، ويؤكد على أهمية دور القدوة الحسنة والممارسة العملية في التربية، بدلاً عن اللجوء إلى التعليمات والنصائح والعقاب[٢]. ويرى في وظيفة التربية الرئيسية للصغار «هي تفتيح عقولهم للمعرفة»[٣].

٦• جوهان فريدريتش هربارت[٤] Herbart, Johann Friedrich

---

= التسامح الديني، وعارض نظرية الحق الإلهي، كما وأكد على أن الاختبار هو أساس المعرفة، وان التجربة هي مصدر التفكير والإدارة، فيعتبر مؤسس المدرسة التجريبية الحسّية، تأثر به كثير من رجال الثورتين الأمريكية والفرنسية. البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٦/١٣٨.

(١) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١٣٥. راجع كتاب جون لوك (مقال في الفهم البشري) Essay Concerning Human Understanding Empiricism.

(٢) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١٣٥-١٣٧. وكذلك، بدوي، د.عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة٢، /٣٧٩.

(٣) عبد العزيز، صالح: التربية الحديثة، ج٣، ص٢١.

(٤) (هربارت)، فيلسوف ومربٌّ ألماني، من مؤسسي التربية الحديثة، تأثرت بآرائه التربوية وطرائقه التعليمية الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً في القرن التاسع عشر. البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٥/٩٦.

(١٧٧٦-١٨٤١م). يحصر هدف التربية في كسب الأخلاق، حيث يقول: «يمكن تلخيص عمل التربية في كلمة واحدة هي الأخلاق»[١].

٧• جون ديوي[٢] Dewey, John (١٨٥٩-١٩٥٢م) يقول: «التربية: هي صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، ثم صبّها في قوالب معينة أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول من الجماعة»[٣]. فيرى التربية بأنها عملية تكيّف مترابط ما بين الفرد ومحيطه. والملاحظ على هذا التعريف إنه يرجع إلى الأعراف الاجتماعية في تحديد المقبولية من الأعمال والأخلاق. والأعراف هذه بالنتيجة هي تصورات بشرية قد تصيب وقد تخطئ. وهو يعتبر التربية «وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة... ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة..»[٤]. وهنالك فارق كبير بين التربية القائمة على أسس العقيدة الصحيحة، المؤمنة بالتوحيد والنبوة وبين غيرها.

---

(١) عاقل، د.فاخر: التربية قديمها وحديثها، ص١١٣.

(٢) جون ديوي، فيلسوف وعالم نفسي ومُربٍّ أمريكي معروف، ولعله من أبرز علماء التربية لديهم. من مؤلفاته: (المدرسة والمجتمع) و(الخبرة والطبيعة).البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٣/١٨٦.

(٣) القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام، ص٣٧.

(٤) محجوب، د. عباس: أصول الفكر التربوي في الإسلام. ص١٩.

● **خلاصة التقويم:**

إن النظرية الأفلاطونية، بامتداداتها على الساحة التربوية تدعو إلى ترويض العقل وإشغاله وإتعابه لتتوسع آفاقه وتتقوى ملكاته بالدراسة والبحث، بل بالدراسة الصعبة والمعمّقة، وذلك لأنه - كما يظن أصحاب هذا الرأي - كلما ازدادت صعوبة البحوث والدراسات كلما روّضت القابليات العقلية وشحنتها، بل وأظهرت قوتها، كما يحصل بالضبط لجسم الإنسان حينما يمارس الرياضة البدنية الصعبة، التي تظهر متانة العضلات، ومن ثَمَّ توصله إلى مستويات متقدمة لبلوغ الكمال الجسماني.

والحقيقة إن هذه النظرية تعدّ اليوم باطلة تماماً، لاختلاف طبيعة الجسم عن العقل والنفس، إن سلّمنا بصحة هذه الرؤية عموماً في التربية البدنية أيضاً[1].

وسواء كانت التربية عملية تلقين بالمعلومات أم ترويضاً للعقل بالأفكار الصعبة، فإنها - إن مورست - لا تعالج إلّا زاوية من زوايا الإنسان، فلا تعتبر جامعة لمناحي الإنسان - كما يقول المناطقة - فالناحية الفكرية ولنسميها المعلوماتية وعبر التلقين والشحن، من دون التفاعل المتنامي في شخصية الإنسان، تعتبر معالجة ناقصة، حيث تزداد نسبة خزن المعلومات والأفكار، وهي جزئية قياساً بالكيان الإنساني العام والعملية التربوية المرجوّة، لذلك ذهب بعض المحدثين إلى أن التربية تعني «كل المؤثرات الموجهة التي يراد منها

(١) للتفاصيل راجع: محمد علي، حافظ: تطورات السياسة التعليمية في المجتمع العربي، ص ٨٣ وما بعدها.

أن تصوغ كيان الإنسان وتهدي سلوكه في كل نواحي الحياة، جسدية كانت أم عاطفية أم اجتماعية أم فكرية»[١].

وعليه، فإن مصطلح التربية - حديثاً - يتمحور حول عملية التكيّف التي يرسمها المربّي بأسلوبه ومنهجه ما بين المتلقي والظروف البيئية المحيطة به، فالتربية إذاً هي «عملية تكيّف أو تفاعل ما بين المتعلم والبيئة التي يعيش فيها. وبمقتضى هذه النظرية تعتبر وظيفة المعلّم في الأساس مساعدة المتعلّم على تكييف نفسه وفقاً لبيئته»[٢]. والتكيّف هنا، يعني القدرة على الاستجابة لمتطلبات التغيير الناتج عن تطور الحياة. أي تطويع الأفكار والعلوم بشكلٍ يُمكّن الإنسان من استيعاب المستجدات والصعوبات في الحياة مهما تنوعت أو اشتدت. فالعلوم والمعارف هي التي تنير الطريق للعقل ليختار الإنسان أسلوب الخروج من الظلمات والجهل والضياع إلى النور والعلم والهدى. وهذه العملية الشاقة لا تكفي لبلوغ هدفها المنشود عبر إملاء الذهن بكمٍّ هائل من المعلومات والمعارف المخزونة في بطون الكتب، أو نقلها إلى الذهن عن طريق السمع والبصر والمطالعة بعد جهدٍ وتعب، ما لم ينزلها إلى ميدان الواقع وتجارب الحياة، لتتحول إلى منهج وقانون وتعامل فعلي تسود من خلاله لغة النصيحة المخلصة والانسجام التام، فقد ورد عن النبي المصطفى ﷺ: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يُصبحْ ويُمسِ ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامّة المسلمين فليس منهم»[٣].

---

(١) محجوب، د. عباس: أصول الفكر التربوي - مرجع سابق - ص ١٩.

(٢) شهلا، جورج: الوعي التربوي - مرجع سابق - ص ٣٧.

(٣) أخرجه الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان: المعجم الصغير، ج٢، ص٥٠، رواه =

وكذلك ورد قول النبي الأكرم ﷺ لأصحابه: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامّتهم»(١).

ومن هنا جاء الإسلام بالتأكيدات الضرورية على اقتران الإيمان بالعمل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾(٢). ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾(٣).

إن العبرة بالتفاعل والتطبيق مع تلك المبادئ، فالممارسات الميدانية هي التي تُظهر صدق الإيمان، وفي الوقت ذاته توضح مدى نجاح الإنسان في إبراز القيم التربوية والأخلاقية التي تحصّن عملية التكيف والتفاعل والتأقلم مع متطلبات الحياة وضغوطها. إنّ التهذيب

---

= الصحابي حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ، وقال: لم يروه عن جعفر الرازي إلا ابنه، ولا يروى عن حذيفة إلا بهذا الإسناد. وحذيفة بن اليمان العبسي، هو من أصحاب الرسول ﷺ من الأنصار، ومن أصحاب علي عليه السلام سكن الكوفة ومات بالمدائن بعد بيعة الإمام أمير المؤمنين بأربعين يوماً، «وهو من الذين مضوا على منهاج نبيهم ولم يغيّروا ولم يبدلوا». راجع ترجمته عند الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث، الكتاب الخامس، ص٢٢٦، رقم ٢٦٢٦.

(١) صحيح مسلم، باب بيان (أن الدين النصيحة) ج١، ص١٨٢، رقم الحديث ٨٢، عن تميم الرازي. وصحيح البخاري بلفظ (قالوا لمن يا رسول الله، قال: (الحديث)، عن أبي هريرة ج١، ص٩٧، باب الدين النصيحة لله. وسنن الترمذي، باب ما جاء في النصيحة ٧/ ١٦٤/ ١٨٤٩ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة ثلاث مرات قالوا يا رسول الله لمن؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة طه ٢٠ آية ٧٥.

(٣) سورة النساء ٤ آية ١٢٤.

الخلقي في الحقيقة هو حجر الزاوية في العملية التربوية كلها، لتتم عملية تنفيذ المبادئ وتطبيق المعارف بالاتجاهات الإنسانية الرفيعة، بدلاً من الوقوع في مستنقع الفجائع والكوارث. فالمربّي يسعى لوضع المتلقي على المسلك الإنساني لبلوغ الغايات السامية باستمرار عبر مواصلة عملية التكيّف. فالتربية إذن «هي جوهر عملية التكيّف وأن واجب المربِّي هو أن يمكّن المربَّى من المضي في تكيّفه بما يحقق غاياته. وغايات وطنه وإنسانيته، وبديهي أن نشير هنا إلى أن مفهومي النمو والتكيّف مفهومان متكاملان، فالنمو لا يتم إلّا بالتكيّف، والتكيّف لا يكون ذا قيمة إلّا إذا كان نمواً، والعمليتان وجهان للأمر نفسه، وكلاهما في خدمة الإنسان لإعانته على تحقيق إنسانيته»[١]. ومن هنا يأتي الإسلام بتعاليمه الجهادية الواضحة لتكون صمّام الأمان في الحياة، تدفع الإنسان بالالتزام الفعلي بالمبادئ وانعكاساتها الخلقية السامية، لتحقيق التوازن وبلوغ درجة الجمال في العطاء التام بكل تفاصيل التضحيات المميزة.

تقول السيدة زينب عليها السلام لوالي الكوفة عبيد الله بن زياد، حينما سألها عن أخيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الشهداء في كربلاء أجابت «ما رأيت إلّا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل..»[٢].

هذه التربية الجهادية هي التي تمنح الروح للحياة، والكرامة للإنسان والسعادة للمجتمع. ومن الطبيعي إن هذه الحالة المثالية

(١) عاقل، د.فاخر: معالم التربية، ص ٥١.

(٢) ابن طاوس الحسيني، علي بن موسى: اللهوف في قتلى الطفوف، ص٧٠.

بالعطاء غير متوقفة على المبلِّغ والناصح فقط، وإنما تعود إلى قدرة المتلقي للاستجابة والتفاعل أيضاً مع تلك المبادئ والقيم، والرغبة في بلوغ الذروة في التضحية والقمة في العطاء، وعليه «لم تعد التربية في قرننا الواحد والعشرين هذا اعتباطاً وتخبطاً، إنها علم وفن، ونظر وعمل، اجتهاد وتطبيق، اختصاص وابتكار، والمربّي أباً أو أمّاً أو معلماً أو زعيماً أو مصلحاً اجتماعياً، أصبح بحاجة ماسّة للاطلاع على أصول التربية ومبادئها والتعمق في أساليبها ووسائلها»[١]. ومن هذا المنطلق تركز التربية على إعانة الإنسان لتحقيق طموحاته بالشكل المرضي اجتماعياً وأخلاقياً في الحياة. يقول الدكتور فاخر عاقل: «إن (جون ديوي» قد بلغ غاية الشوط حين رفض أن تكون التربية إعداداً للحياة ونبَّه إلى أن التربية الصحيحة هي الحياة ذاتها، وإن كل تربية لا تأخذ شكل الحياة ولا تتيح للمربّي أن يحيا وأن يعاني في العملية التربوية ما يعانيه في الحياة، إنما هي عملية تربوية فاشلة»[٢]. وبالفعل أن التربية هي الحياة بمعناها الشمولي، إلّا أنه حصرها ضمن تصوراته المحدودة، البعيدة عن بركات الوحي الإلهي، الذي من خلاله يفهم المعنى الشمولي القويم للتربية.

من هنا يمكننا القول بأن الإسلام، عقيدة وعبادة وسلوك ونظام، هو مشروع شامل للحياة يربّي الإنسان والمجتمع من خلال مبادئه وتعاليمه وأحكامه بشكلٍ متوازن، يفتح الطرق ويمنح الفرص للراغبين في النمو نحو السعادة، والقاصدين للتطور نحو النجاح.

---

(١) عاقل، د.فاخر: معالم التربية، من مقدمة المؤلف، ص ٧.

(٢) المرجع نفسه. ص ٣١. لقد أشرنا إلى ترجمة (جون ديوي) في ص٤٤.

يقول جلّ جلاله في الكتاب العزيز: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[١].

فالرسول المصطفى ﷺ يبلغ الناس رسالة الله سبحانه وتعالى، ليطهّر نفوسهم من بواطن الإثم والالتواءات السلوكية، والحالات النفاقية، والانحرافات الأخلاقية، وكذلك لينتشل عقولهم من وحل الجهل وظلام الخرافات، فمعنى قوله تعالى «يزكيهم» أي: «يطهر نفوسهم من الشرك، وعقولهم من الجهل، وأعمالهم من القبائح والآثام. «ويعلمهّم الكتاب»، ينقلهم من ظلمات العمى والجهل إلى نور العلم والهداية بتعاليمه التي تمجّد العلم، وتنبذ الخرافات، وترتكز على العقل والفطرة البشرية»[٢].

إن هذه العملية التربوية بشقيها - التزكية والتعليم - تأخذ أبعادها على طول حياة الإنسان، في كل ظروفِهِ، وبمختلف مواقعه، لذلك يعتبر بعض الأساتذة الباحثين أن دوام التربية هو نوع من الحرب المستمرة على عدة جبهات، وذلك ليضمن الإنسان بقاءه محافظاً على طريق النجاح في الحياة، ضمن تطلعاته الإنسانية الخيّرة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[٣]. أي طهّرها من أدرانها، وتطّلع إلى إنقاذها على الدوام من قيودها وجهلها، فالمسألة - بالفعل - تتطلب الاستعداد لخوض «نوع من (الحرب) الدائمة على كل أشكال الانحراف والتبلّد والقصور الذاتي، وإن التربية كالحرب تحتاج إلى الرجل

---

(١) سورة الجمعة، ٦٢ آية ٢.

(٢) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف، ٧/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) سورة الشمس، ٩١ آية ٩.

المكيّث الذي يملك فضيلة الصبر على بذل الجهد المستمر مع التطلّع إلى الفرص المواتية..»[١].

وعليه، فإن «التربية في المفهوم الإسلامي تستهدف الغرائز البشرية، كما تستهدف تنظيم إشباع الحاجات العضوية، بحيث يكون العقل هو القائد والموجّه في مطلق الأحوال، مستنيراً بعقيدة الإسلام وما ينبثق عنها من نظام يحكم سلوك الأفراد والجماعات في هذه الحياة الدنيا التي تعدّ جسر عبور إلى الحياة الأبدية الخالدة، ومن خلالها تستوحى القيم التربوية المختلفة»[٢].

فالتربية إذاً بالمعنى الاصطلاحي حسب تقديرنا: هي عملية إنماء للإنسان نحو التكامل الذي رسمه الله سبحانه وتعالى له، ليعيش متكيّفاً مع ظروفه المحيطة به، حياة السعادة والاطمئنان والنجاح في الدنيا والآخرة.

إنها عملية إنماء، بمعنى المضي نحو التقدم والعلا، مما يدل على استمراريتها، وعدم توقفها أو إبطال مفعولها، وذلك لتتم الإنجازات المرجوّة، وهي كذلك مختصة بالإنسان دون الكائنات الحيّة الأخرى، لأنه - وحده - يملك هذه المكرمة الإلهية التي تدفعه لبلوغ الكمال. وهنا كان لا بد أن يخصّص الكمال - بما رسمه الله سبحانه وتعالى له - وليس الكمال الذي ترسمه تصورات بشرية محدودة. وإنما نقصد به منهج الله الذي يوصل الإنسان إلى الكمال،

---

(١) بكّار، أ.د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، حول التربية والتعليم، ص١٢.

(٢) معروف، د. نايف: الإنسان والعقل، ص٢٨٨.

-ليعيش متكيّفاً معه - حسب ظروفه الذاتية والموضوعية، فالمنهج الرباني في الإسلام هو كفيل هذه السعادة الحياتية، وكيف لا يكون كذلك وهو منزَل من الله المبدع والمدبّر والمهيمن.

## • معنى الجهاد لغةً واصطلاحاً:

لغةً من جَهَد: الجَهْدُ والجُهد: الطاقة. وقيل الجهَد (بالفتح) المشقة، وكذلك قيل: المبالغة والغاية، قال ﷻ: ﴿جَهَدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[1] أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها. وفي الحديث «أعوذ بالله من جَهد البلاء»[2]، قيل إنها الحالة الشاقة التي تأتي على الرجل يختار عليها الموت. و(بالضم) الوسع والطاقة. . . والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود. . وجاهد العدو مجاهدةً وجهاداً: قاتله وجاهد في سبيل الله. وفي الحديث: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيّة»[3]، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعلٍ، والمراد بالنيّة إخلاص العمل لله أي أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرةً لأنها قد صارت دار إسلام، وإنما هو الإخلاص في جهاد وقتال الكفار.

---

(١) سورة المائدة ٥ آية ٥٣. ووردت في أكثر من سورة كريمة.

(٢) المجلسي، الشيخ محمد باقر: بحار الأنوار، ج١٤، باب ٢٨، ص٤٤٣. في قصة أصحاب الأُخدود تعوّذ ﷺ بالله من جهد البلاء، بقوله: «أعوذ بك من جَهد البلاء». وصحيح البخاري ٧/ ١٥٥، باب التعوّذ من جهد البلاء، عن أبي هريرة. وقال ابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٢٥: «وفي الحديث دلالة لاستحباب الاستفادة من الأشياء المذكورة».

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٣٨ (باب لا هجرة بعد الفتح)، عن مجاشع بن مسعود. وعن ابن عباس قال ﷺ يوم فتح مكة بلفظ: «لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا».

والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء. وفي حديث الحسن: «لا يَجهدُ الرجل مالَهُ ثم يقعد يسأل الناس»، قال النضر: قوله لا يَجهد مالَهُ أي يعطيه ويفرقه جميعه ها هنا، وها هنا، قال الحسن: ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾(١).

ومن المضموم (جُهد) حديث الصدقة: «أي الصدقة أفضل؟ قال ﷺ: جُهد المقلّ»(٢). أي قدر ما يتحمله حال القليل المال. وفي التنزيل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾(٣). قال الفرّاء: الجُهد في هذه الآية الطاقة، تقول: هذا جُهدي أي طاقتي..

والجهاد «بالكسر»: القتال مع العدو كالمجاهدة.. وحقيقة الجهاد كما قال الراغب: استفراغُ الوُسع والجُهد فيما لا يُرتضى. وهو ثلاثة أضرب: مجاهدةُ العدوّ الظاهر، والشيطان، والنفس. وتدخل الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾(٤).

ولا ينحصر جهاد العدو بالقتال والحرب وإنما يشمل ما يبذل من قول وفعل، والجهاد بالقول يشمل البيان والخطاب والحديث والدعوة

---

(١) سورة البقرة ٢ آية ٢١٩. ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ط٣، ١/ ١٣٣-١٣٥. وفي ط٢، ٢/ ٣٩٥-٣٩٧.

(٢) الحاكم النيسابوري، الحافظ أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ١/ ٥٧٤/ ١٥٠٩ عن أبي هريرة. وتمام الحديث قوله ﷺ: «جُهد المقِلّ، وابدأ بمن تعول». وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وتجده في مسند الإمام أحمد، ٢/ ٢٥٨/ ٨٦٨٧ عن أبي هريرة.

(٣) سورة التوبة ٩ آية ٧٩.

(٤) سورة الحج ٢٢ الآية ٧٨. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس، ٧/ ٥٣٤-٥٣٩.

والإعلام وكذلك الدعاء والحديث القلبي، فقد ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: «جاهدوا في سبيل الله بأيديكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم»(١).

إن المعنى اللغوي للجهاد يعكس بوضوح المعنى الاصطلاحي الشرعي مع تبيان المبذول بأنواعه، ويحدّد الهدف من ذلك. فيصف الفقهاء جهاد الأعداء بأنه «بذل النفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجهٍ مخصوص، أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر الإيمان»(٢).

قال سبحانه وتعالى في القرآن المجيد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾(٣).

وعلى ما تقدم يكون المعنى الاصطلاحي للجهاد - فيما احسب - هو: بذل الطاقة الذاتية، واستفراغ ما في الوسع في سبيل الله، وذلك بالنفس والمال واستثمار الظروف الموضوعية المحيطة، للتمكّن من مواجهة أعداء الله والإنسانية، ابتداءً من هوى النفس وانتهاءً بقتال العدو ومروراً بأشكال المقاومة قولاً وفعلاً وموقفاً.

- **تعريف التربية الجهادية:**

بعد هذه الجولة في المعاني اللغوية والتحليلية والاصطلاحية

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٤٩، باب١، رقم الحديث ٧١. والنوري، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل ١١/١٦/١٢٣٣ عن علي. راجع دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ١/٣٤٣ عن علي.

(٢) النجفي، محمد حسن: جواهر الكلام.. ج ٢١ ص ٣.

(٣) سورة التوبة ٩ آية ٢٠.

يمكننا أن نعرّف التربية الجهادية بأنها: «عملية توجيه المساعي وبذل الطاقات لغرض صيانة وتنمية الجوهر الإنساني أي الفطرة نحو النضج والتكامل، وتقويم حياة الفرد والمجتمع، باتباع الشريعة الإسلامية والتكيّف مع التطور العلمي ومستجدات الحياة الموضوعية. وذلك عبر التضحية بالنفس والمال للدفاع عن الإسلام والمستضعفين ولمحاربة أعداء الله والإنسان».

ومن هذا التعريف نستخلص بأن التربية الجهادية في الإسلام هي جامعة لمعنى مزاولة الحياة. فهي حياة الإنسان وكرامته وشرفه، وهي في الوقت ذاته تدل على إعداد الإنسان والمجتمع لاستيعاب المستجدات والتطورات، ولمواجهة كل الأعداء، في داخل النفس من الهوى والشيطان، إلى ساحات المقاومة والمواجهة والقتال ضد العدوان الخارجي والانحراف الداخلي، على أن يكون هذا المعنى الشمولي للتربية الجهادية وتطبيقاتها العملية ضمن أسس الشريعة الإسلامية -كما قيدنا التعريف بأتباعها- فهو الشرط الأساس الذي يضمن استقامة المسيرة الجهادية. وذلك لإبعادها عن حالات الانزلاق المحتملة، نحو اتباع هوى النفس والوقوع تحت تأثير الضغوطات المصلحية والسياسية، وهذا الأمر يعني - بصراحةٍ تامة- السقوط في هاوية ارتكاب الجرائم والاعتداءات بحق الإنسانية ضد الآمنين من الناس، أو ضدّ الذين يظهر الاختلاف معهم في بعض الرؤى التاريخية والآراء الفقهيّة والمذهبية من المسلمين. وهكذا يكرّس هذا الشرط الأساس منطلقات التربية الجهادية الواعية في النفوس، وفي الوقت ذاته يسعى لتجميع وتوجيه قوى الأمة بتنوع مذاهبها وطوائفها حول راية الجهاد، وبذلك تتقهقر

مخططات الأعداء في اختراق صفوف الأمة الإسلامية، بل وتفشل محاولات المستكبرين في استخدام أو تحريك بعض الأطراف من المسلمين كمعاول ضرب وقتل ودمار للبعض الآخر، عن طريق إثارة العصبيات المذهبية التي هي في حقيقتها لعبة استعمارية مكشوفة أمام الواعين في الأمة، هدفها المحوري هو تضعيف قدرات الأمة - الجهادية منها بالذات - وتمزيق صفوفها لغرض بسط النفوذ واستغلال الخيرات في البلاد من جهة، ومن جهة أخرى تحجيم امتداد الدين الإسلامي بين شعوب العالم لما يحمل من عدالة واستقامة وإصلاح وحضارة إنسانية، على البعد العقدي والعبادي والسلوكي والإداري ما تحلم به أمم الأرض للخلاص من واقعها البائس، ويمكننا القول بأن دوائر الاستكبار في العالم تعتبر نفسها قد حقّقت نجاحاً كبيراً في عرقلة المدّ الإسلامي، وذلك عبر تقديمها الإسلام لشعوبها بأنه دين قتل واعتداء وإرهاب ودمار وجرائم - والعياذ بالله - مستندة على الصور البشعة التي تقدمها بعض الفئات المشبوهة باسم الإسلام والجهاد. ولا بد للتربية الجهادية - أيضاً - من التكيّف مع التطور العلمي ومواكبة المستجدات الحياتية لتطوير أساليب المقاومة والجهاد، فالتربية الجهادية - إذن - لا تتوقف عند حدود وطرق معينة - زماناً أو مكاناً - ما دام الأعداء يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر ويختلقون شتى الأساليب لمحاربة الإسلام واستغلال الإنسان وظلم الحياة والطبيعة. وذلك تحت شعارات برّاقة، قد تكون في ظاهرها كلمات حقٍّ، ولكن في واقعها بالتأكيد يراد بها باطل.

# المطلب الثاني

## أهمية التربية الجهادية في حياة المسلمين

حينما تسود اللغة المادية في المجتمع على حساب الجوانب الروحية تبرز أهمية التربية الجهادية في حياة المسلمين، وتزداد مسؤولية المربين والموجهين ليعيدوا الأمور إلى نصابها، فيسعوا بكل جهدهم نحو تكريس الجوانب الروحية والخلقية في المجتمع، لتعلو الهمم باتجاه التضحية والعطاء.

ونحن إذ نُسلّم بأن التربية عملية اكتسابية أكثر من كونها وراثية، نكتشف أساساً من أسس العدالة الإلهية في الخَلق، حيث إن الله سبحانه خلق بني آدم وكرّمهم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1]. ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان أنه أودع في ذاته الفطرة السليمة، والتي هي مجموعة من الخصائص الطيبة والخيرّة في الذات يقول ﷻ:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]. فالفطرة

---

(١) سورة الإسراء ١٧ آية ٧٠.

(٢) سورة الروم ٣٠ آية ٣٠. والفطرة هي «غريزة في داخل الإنسان تقبل الخير حين تعلم أنه خير وتلتزمه.. وترفض الشرّ حين تعلم أنه شرّ... هذا إذا خلّي الإنسان وفطرته =

السليمة أي غير الملوثة بالانحرافات والمعاصي، إنما هي مهددة بالفشل في مواجهة الأعداء ما لم تتوّج بالشريعة الإسلامية التي تأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان والنجاح، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1].

إذن فالثابت في النفس البشرية كما يسمى «بالجوهر الإنساني»، «وهذا الجوهر مجموع ما فطر الله - جل وعلا - عباده عليه»[2]. ومن خلال الآيات المباركة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[3]. نستوضح بأن العملية التربوية - هنا- تتناول الجانب الفردي في الحياة أي أن الآيات الكريمة تحمّل الإنسان مسؤولية التزكية والتطهير الذاتي، كما أنها تحمّله أيضاً مسؤولية الفشل، أي أن الإنسان بالذات مسؤول عن نتائج مشروعه التربوي. من هنا نفهم أن التربية كالعلم لا ينتقلان بالوراثة، فما يكتسبه الآباء من علوم وأفكار ورؤى لا تنتقل إلى الأبناء وراثةً، بل لا بد من الجهد والتفاعل مع الشريعة والتراث بدقةٍ ورويّةٍ ومعاناة في التطبيق لتحصل عملية التفاعل، وحينها سيكتشف الإنسان طريق العلم والصلاح، فيمكن أن يكتسب ابن الأمّي أو المنحرف علوماً ومعارف

---

= التي فطره الله عليها، ولم تدنسها العادات والتقاليد وتلوثها الأهواء والأغراض... [والمعنى أن الإسلام] ينسجم مع فطرة الناس ومصالحهم وأنه سبحانه لم يشرّع حكماً لعباده منافياً لمصلحة الفرد أو الجماعة» مغنية، محمد جواد: تفسير الكاشف: المجلد السادس، ص١٤١-١٤٢.

(١) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٦٩.

(٢) بكار، أ. د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ١٣.

(٣) سورة الشمس ٩١ الآيات ٧-١٠.

وخلقيات عالية. وفي الوقت ذاته قد يصبح ابن العالم والمربي جاهلاً ومتقاعساً. نعم إن الأبناء يتلقّون المعارف والعقائد والمُثل والنبل والعادات من الآباء والمربين بشكل عام عبر سلسلة من عمليات التغذية والتواصل والتفاعل، وهذه التغذية المستمرة هي التربية المطلوبة ويتحمل العلماء والمربّون القسط الأكبر من المسؤولية خصوصاً في الوقت الراهن، وحقاً «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، أي أنهم يخرجون الناس من حدّ الهمجية إلى حد الإنسانية»[١]. ويستغرق البعض إلى حدٍّ كبير يقارب الخيال في هذا التوجه فيقول: «لو انتقل سكان الكرة الأرضية إلى المريخ، تاركين وراءهم الأطفال الصغار. ثم عادوا إليهم بعد عشرين عاماً، لوجدوهم قطيعاً من البهائم»[٢]. ويقدم بعضهم نماذج حيّة عن بعض الحالات التي يتكيّف فيها الإنسان مع حيوانات الغابة. فالتربية للأطفال بالذات - لدى بعض المربين - لتحوّلهم إلى بشر[٣].

من هنا تأتي أهمية التربية في تنمية قدرات الخير وقيم الصلاح والتحولات الإيجابية نحو العطاء والإيثار، في أطرها المادية كالمأكل والمشرب وغيرهما، والخلقية والإنسانية والروحية[٤]. وكذلك تأتي الأهمية في تحجيم التطلعات السلبية في الإنسان ما بين كبحها أو قلعها وما بين توجيهها عبر الأسس المشروعة، فبدلاً عن الاعتداء

---

(١) شهلا، جورج: الوعي التربوي، ص ٢٣. عن: الغزالي، الإمام: إحياء علوم الدين ج ١ ص ٩.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٣.

(٣) المرجع ذاته، ص ٢٣.

(٤) معروف، د. نايف: الإنسان والعقل، ص٢٨٩.

على حقوق الآخرين في سبيل الإثراء يتوجه نحو العمل المربح، وعوضاً عن التوسل بالأساليب الشيطانية لإشباع رغباته وأهوائه ينتهج طريق الله وسنة رسوله في الزواج.. وهكذا.. كل ذلك يخلق مناخاً اجتماعياً ونفسياً متوازنين يهدف إلى احترام الحقوق وتذليل الصعوبات.

إن التربية «لا تهدف إلى المحافظة المجردة على مفردات الجوهر الإنساني وإنما المحافظة على المقادير المطلوبة منها، والمحافظة على علاقات سوية فيما بينها بما يخدم التوازن العام للشخصية ويحول دون تشوّهها»(١).

يقول الرسول محمد ﷺ: «اتركوا الدنيا لأهلها فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر»(٢). وقد ورد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قوله: «اجعلوا لأنفسكم حظّاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال، وما لا يثلم المروّة وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين فإنه روي: «ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه»(٣).

---

(١) بكار، أ.د. عبد الكريم، المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ١٣.

(٢) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، ج٣، رقم الحديث ٦٠٥٨. راجع تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ٧/ ٣٠٢/ ٣٢٢٧، باب (ترك الدنيا لأهلها)، أخرجه البزاز من حديث أنس - باختلاف يسير - وفيه هانئ بن المتوكل، ضعّفه ابن حبان. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٤/ ٤٧٧ عن أنس قال: يناد منادٍ.. وفي ج ١٠، ص٢٥٤ بلفظ (أخذ جيفةً).

(٣) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٧٥/ ٣٢١/ ١٨ عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. وبلفظ «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه..». أورده العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ١٦٩/ ٢١٣٩ عن أنس بن مالك.

وكما أن التربية ضرورة فردية، هي أيضاً ضرورة اجتماعية، ولا يمكن الاستغناء عن إحداهما، فهما ضرورتان متلازمتان لبناء الحياة وتزداد أهميتهما كلما ارتقى الإنسان والمجتمع في سلّم التطور والتقدم.

- **مواكبة التحديث مرونة مطلوبة:**

لما كانت «التربية أخطر مهمة يمارسها الإنسان على نفسه وعلى غيره، ولا نبالغ إذا قلنا إنها صناعة الإنسان»[١]. تدعونا الضرورة إلى مواكبة التحديث والتطورات العصرية، بتحديث الخطاب التربوي - خصوصاً - للنشء الصاعد، بما يتناسب مع مستجدات عوامل التأثر والتأثير، والانفتاح على الثقافات المتنوعة، وذلك بالاعتماد على الثوابت الإسلامية في العقيدة والتعاليم، وأسس الأخلاق، بما يضمن الحصانة الذاتية للمسلمين في خضم المتغيرات والتطورات. فبالتربية الواعية يواكب الإنسان مسيرة الحياة المتطورة، فيطرد الأميّة - مثلاً - من حياته بمعناها الأوّلي في القراءة والكتابة، وبمعناها المتطور - أيضاً - في فهم الأحداث وتحديد مستلزمات المرحلة والواجبات والمسؤوليات إزائها. وهذا ما نعنيه بالتربية الجهادية التي تبرز أهميتها على المستوى الفردي والاجتماعي، لتحافظ على الاستقامة والصلاح في الحياة. خصوصاً ونحن نعيش حالات عديدة من التبدل والتغيير، وقل من التعقيد في الحياة المادية والاجتماعية والنفسية في الوقت الحالي! وهذه التعقيدات هي سمة بارزة من سمات طغيان الحالة المادية، وهي بلا شك تعكس أزمات

---

(١) ليبمان، ماثيو: المدرسة وتربية الفكر، ترجمة: د.إبراهيم يحيى الشهابي، من مقدمة المترجم، ص٣.

حادة في حياة الإنسان، مما يستوجب معالجتها عبر أسس تربوية صالحة بالعودة إلى منابع الأصول والتراث. وإلّا فالتيار المادي الذي يحمل المتغيرات والتعقيدات لا يمكن إيقافه بسهولة، وبالفعل يتحدد الخيار أمام الإنسان بين الرضوخ له وإعلان الاستسلام والهزيمة وبين العمل الجاد بالعودة إلى جذور الإسلام بالتربية الجهادية التي تورث العز والمجد مهما تكالبت دوائر الانحراف ضده. وعليه كان لا بد من مواصلة العملية الاجتهادية في إظهار المرونة العلمية في التربية، لكي تتناسب مع مستجدات الحياة بظروفها المتعددة، فأهمية التربية الجهادية تكمن في إبرازها بثوبها العصري المناسب، الذي يواكب عقليات الشباب في عصر التطور، يقول الإمام علي عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم»[1]. وبهذا نفهم أنّ الشريعة الإسلامية تمتلك مرونة وافية تمكّن من خلالها المربين الإسلاميين من استيعاب التطورات والمستجدات في الحياة، ومما لا يخفى أن المجتمع البشري يعيش اليوم مرحلة الانفتاح على بعضه البعض، وذلك لتطور وسائل الاتصالات في العالم، عبر القنوات الفضائية و(الانترنيت والأفلام) والصحف والكتب، ناهيك عن مسألة التقارب البشري والانتقال للسكن لسبب أو لآخر في أوساط اجتماعية وفكرية بعيدة جداً عن أسس ثقافتنا وحضارتنا، وربما ينظر فيها إلى الالتزامات الخلقية واحترام الحقوق والتوجيهات الروحانية بمنظار المثالية واللّاواقعية والتخلف! وهنا أيضاً تظهر أهمية التربية الجهادية في مثل هذه

(١) بيضون، لبيب وجيه: تصنيف نهج البلاغة، الفصل الثامن والعشرون ص ٣٢٨.

الأوساط، حيث يتحوّل المسلم هناك إلى داعية للإسلام بل نموذج تحت الضوء، هل يواصل طريقه الصعب؟ فيحقق النجاح في حياةٍ مستقرة آمنة رغم العواصف المتعددة أم ينساق مع التيار العام. يقول جبران خليل جبران: «إنّ أولادكم ليسوا أولاداً لكم.. وإن لكم أن تجاهدوا لكي تصيروا مثلهم.. ولكنكم عبثاً تحاولون أن تجعلوهم مثلكم، لأن الحياة لا ترجع إلى الوراء..»[١].

وهكذا تبرز أهمية التربية الجهادية في حياة المسلمين، لأن الإنسان الذي زوّده الله سبحانه بإمكانيات وقدرات خاصة تمكّنه من فعل الخير أو الشر، من الإيمان بالشريعة الإسلامية أو الإعراض عنها، من الالتزام بأوامر الله ونواهيه أو التلفيق والانحراف. بلى إنه يعيش الابتلاء والاختبار في الحياة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾[٢].

لقد «جمع الله - جل وعلا- للإنسان بين التكريم والابتلاء، ومنّ عليه بتسخير الكون له، وهذا التسخير كثيراً ما يتجلى في صور وقابليات وإمكانات متاحة، وعلى الإنسان بعد ذلك أن يقوم بواجبه في استثمار الإمكانات وصقل القابليات وإلّا كان مآله النكوص على عقبيه، وخسران كثير من التكريم الذي وهبه الله - جل وعلا - إياه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾[٣]. [إذن] التربية هي الأسلوب، وهي

---

(١) شهلا، جورج: الوعي التربوي، ص ٢٦ عن جبران، جبران خليل: النبي، تعريف الإرشمندريث انطونيوس بشير، طبع القاهرة ١٩٣٤، ص ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩، الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة التين ٩٥ الآيات ٤-٦.

الأداة التي تضع الإنسان في بداية طريق النمو والاستفادة من الوسط الاجتماعي القائم»[١].

وكما أن أهمية التربية واضحة بالنسبة للفرد فهي كذلك بالنسبة للمجتمع لتتبادل الأدوار التربوية بين الطرفين، فتحصل الحصانة والوقاية لهما معاً. فإن شعور الفرد بالرقابة الجماعية والعرف الاجتماعي يساهم في تكريس التربية ونمو الإنسان، وإن المجتمع أيضاً يحرص على حفظ كيانه وقوته من خلال الواعين فيه. فالكبار والمميّزون في المجتمع هم الأمناء على التراث الثقافي والفكري والاجتماعي ويسعون إلى حفظه خوفاً من الضياع والاندثار، كما وأن الأجيال الصاعدة - بالذات - هم المرشحون الوحيدون لتلقي وحفظ ذلك التراث بالشكل الطموح، حيث يتم تعزيز التراث الثقافي بالدراسة والتمحيص والتقويم لضمان استمراره بروح عصرية. فالثمرة التربوية تظهر في إعداد الإنسان المؤمن الصالح، والمجتمع المؤمن الصالح، وحقاً إن «التربية الإسلامية تعمل على إعداد الإنسان لا المواطن، الإنسان المستخلَف في الأرض على مفهوم وحدة الدين ووحدة الجنس، وتوحيد الله»[٢]. وهكذا المجتمع بشكل عام، فالتربية للمجتمع تحوّل جموده إلى حركة تصاعدية، وانكماشه إلى انطلاقة رائدة، لأنها لا تعني أعماراً معينة دون غيرها بل هي شاملة لكافة الطبقات. وهي ضرورية للرجال كما أنها ضرورية للنساء، وبالنتيجة تتعاون الجهود لإبراز جواهر التراث فتكون معالم على

---

(١) بكار، أ.د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ١٩ - ٢٠.

(٢) الجندي، أنور: التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، ص١٥٥.

طريق النور لبناء المستقبل حيث الدور النهضوي والجهادي في مواجهة التحديات بالانتظار. فالمجتمع الإسلامي - اليوم - ابتداءً من الأفراد وانتهاءً بالأمة ومروراً بالعائلة والنوادي الاجتماعية والرياضية والندوات والتشكيلات المتنوعة بحاجة ماسة إلى التربية الجهادية لتحقق مجدها وعزتها وتطلعاتها الكريمة. فبالتربية الجهادية يحصل المسلمون وعياً خلقياً ووطنياً وإيمانياً وحركياً متميزاً، ومن خلالها يتنافس المؤمنون على التضحية بصدق، والخدمة بإخلاص والحبّ لجميع الناس بوعي وبصيرة.

# التربية الجهادية
# تعاليمها ووظائفها

إن التربية الجهادية بأسسها ومعالمها وأساليبها هي المصدر في تطوير البشرية ورقيها في الحياة، لأنها تسعى لصياغة الإنسان بقدراته المتاحة، ومدى تقبّله للنمو والتقدم، باعتباره سيد الحياة وخليفة الله على الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]. «ووجه تسميته بالخليفة أنّ الله سبحانه وتعالى أوكل للإنسان زمام هذه الأرض، والكشف عما فيها من قوى ومنافع»[2]. فهذا الإنسان - بوضعه وامتيازاته - هو المادة الأولية التي تعالجها طرق التربية لغرض بنائه وإصلاحه لينال السعادة والاستقرار في الحياة، بدلاً عن تركه وحيداً تدور به الأزمات لترميه في وادٍ سحيق تائهاً ضائعاً. إذن لا بد للتربية من تقديم معالجات لمشكلات الإنسان على المستوى العقلي والنفسي والعاطفي، وبمعنى آخر أن تشمل التربية جميع مظاهر وتوجيهات وطموحات الإنسان والمجتمع والحياة، لتؤدي وظائفها بشكل متناسق ومتوازن. فكان من الضروري أن

---

(١) سورة البقرة ٢ آية ٣٠.

(٢) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف، المجلد الأول، ص ٨٠.

نشير إلى عدة مفاهيم أساسية تقع في طريق التعاليم التربوية وأداء وظائفها:

١• صحيحٌ أن التربية ترتكز على طبقة الأبناء، كما قال الإمام علي عليه السلام: «العلم من الصغر كالنقش في الحجر»[١]، ولكن من الصحيح أيضاً أن تكون التعاليم التربوية شاملة لكافة الأعمار، ومتواصلة مع الإنسان من المهد إلى اللحد. بل ورد في طلب العلم للكبار في السن بخصوصية ممّيزة فقال صلى الله عليه وآله: «من لم يطلب العلم صغيراً فطلبه كبيراً فمات، مات شهيداً»[٢]. وجعله صلى الله عليه وآله فريضة على الرجال والنساء، وأن يطلب ولو بالسفر إلى بلدان بعيدة فقد قال صلى الله عليه وآله: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلمٍ (ومسلمة)»[٣].

ومع كل ما تقدم تبقى أولوية الاهتمام بالنشء الصاعد، فهم الهدف الأول للتربية وذلك لإمكانية نموهم وصياغتهم

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج ١ ص ٢٢٤ رقم ١٣.

(٢) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال ١٠/١٦٢/٢٨٨٤٣. وقال العسقلاني، الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ج١، ص١٣٧: رواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر مرفوعاً وفي ج٣، ص٤، ذكر الحديث باختلاف يسير بالألفاظ عن جابر مرفوعاً. وقال: (وهذا خبر مركب على هذا الإسناد، وعيينة الجبار ومن فوقه رجال الصحيح، ومحمد بن يعقوب لا أعرفه، ويحتمل أن يكون الذي قبله.

(٣) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (الإسلامية) ١٨/ ١٤/ ٢٠، أخرجه الفتّال في روضة الواعظين ص١١. والفتال النيسابوري من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجري (ت٥٠٨هـ).

على أسس التربية بسهولة أكثر، ويكون عطاؤهم أيضاً هو الأوفر. يقول الرسول الأمين ﷺ: «من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر، ومن تعلّم وهو كبير كان بمنزلة الكتاب على وجه الماء»(١). ويقول الإمام علي عليه السلام: «إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ قبلته»(٢).

٢• يتم التوجيه أساساً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأئمة والصالحين من العباد، وكذلك عموم التراث الإسلامي الخالد. وهذا الأمر يستجمع جهود كافة المؤسسات الاجتماعية والتعليمية للمشاركة في رفد عملية بناء الإنسان والمجتمع.

٣• لكي تكون عملية البناء التربوي متوازنة ومتكاملة لشخصية الفرد كان لا بد من تناول التعاليم التربوية بشكلٍ يضمن النمو الطبيعي، لكي لا نقع في مطبّ الإفراط أو التفريط المحذوريْن. فالإنسان -كما هو معلوم- كائن مزدوج الإمكانيات خلقةً، يتكون من جسدٍ وروح، من عاطفة وعقل، فالعملية التربوية الناجحة هي التي تضمن للإنسان نمواً منتظماً بين أبعاده المتعددة.

٤• السعي المتواصل لتوفير عامل القناعة بالمبادئ والأساليب التربوية إلى درجة كبيرة، ليتم التفاعل معها بجدّية وصدق،

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٢ رقم ٦. عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن علي.

(٢) نهج البلاغة، باب الرسائل. رقم ٣١ بالمقطع الأول.

وبالنتيجة تجنى الثمار المرجوّة. وذلك لأن التعاليم التربوية ليست قوالب فرضية جاهزة، وإنما هي حالة من التفاعل والانسجام قائمة على الاقتناع بشرعيتها وصلاحها. يقول الدكتور فاخر عاقل: «التربية عملية تفاعلية، لا ينفع مجرد التلقين أو تقبّل طرف من الأطراف لما يُلقى عليه ويؤمر به دون فهم ورضا وقناعة. والواقع أن التربية التي لا تقوم على أساس من أخذ وعطاء... إقبال وحماس.. قناعة ووعي وذكاء، إنما هي عملية إلى الترويض أقرب»[١].

● **الاكتساب والتكيّف:**

يمارس الإنسان بشكل فطري مجمل تعاليم ووظائف، لا تحتاج إلى تعلّم وتدريب، لأنها تؤدى بشكل لا إرادي مثل وظائف أجهزة الإنسان الداخلية كالهضم ودوران الدم، وهنالك أعمال أعلى شأناً منها كتناول الطعام والشم ودقة النظر، فهي كذلك لا تحتاج إلى جهدٍ في كسبها وهي أقرب إلى الفطرة من الاكتساب، وكذلك الدوافع الذاتية كالإحساس بالجوع والعطش. إلى جانب ذلك توجد مساحة واسعة أمام الإنسان لاكتساب الكثير من العادات والسلوكيات الإرادية، وتغييرها حسب وعيه وثقافته واختياره، وهذه القدرة التغيرية من امتيازات الإنسان. يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «.. أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزّهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة.. وعود نفسك التصبر على المكروه»[٢].

---

(١) عاقل، د. فاخر: معالم التربية، ص ٤٩.

(٢) نهج البلاغة، باب الرسائل، رقم ٣١ بالمقطع الأول.

وهنا يكمن دور التربية في توجيه هذه القدرة بالاتجاه السليم، في عمليتي الاكتساب والتغيير. وبالفعل «إن التربية قائمة على قدرة الإنسان على الاكتساب، لا بل أساس العمليات التربوية. فكون الإنسان أقدر المخلوقات على الاكتساب يجعله أكثر المخلوقات قبولاً للتربية، ويجعل العملية التربوية عند الإنسان أسهل منها عند غيره، فهي أحسن عائدة وأكثر فائدة»(١).

وإن هذا الاكتساب باعتباره ركيزة التربية، يقوم على أساس التكيّف والتأقلم، ما بين طبيعة الإنسان وحاجاته. إنما على ضوء التوجيه التربوي خصوصاً في فترة الطفولة وهي طويلة عند الإنسان، تحدد فيها -غالباً- معالم شخصيته ونموها في الحياة. لذلك لا تتوقف قدرات الإنسان الاكتسابية والتغيرية، التي تمكنّه على المستوى الشخصي والاجتماعي من النهوض والرقي باستمرار.

إن البداية في الطفولة بالتحديد باعتبار الطفل حجر الزاوية في العمل التربوي، وهو مخلوق ضعيف، كثير الاتكال على غيره، لكنه كبير القابلية على التكيّف مع ظروفه مهما قست «ولعل السبب في ضعف الطفل واتكاليته أنه يولد قبل أن يتم نضجه وتكتمل مقدرته على مجابهة الحياة، فضلاً عن أنه بعد الولادة يظل زماناً طويلاً متخلف النضج بطيء النمو. والذي يبدو لنا أن مشيئة الخالق ﷻ هي أن تقوم القوى الوراثية بإنضاج جنين الحيوان قبل الولادة، أما جنين الإنسان فلا تقوم هذه القوى إلّا بتهيئة قابليته للنضج، حتى إذا جاء إلى هذا العالم تسلمت البيئة هذه القابلية

(١) عاقل، د. فاخر: معالم التربية، ص ١٥.

وعملت على تحقيقها»[١]. ومن هنا تتلخص وظيفة التربية على المستوى الشخصي، في تمكين الإنسان من التكيّف والاكتساب، فيصل إلى مستوى الاستقرار النفسي والفكري، لينطلق نحو تحقيق طموحاته وغاياته بالشكل الذي يتوافق مع مبادئه وعقيدته. وكذلك تتركز وظيفة التربية بالمستوى الاجتماعي، على تمكين المجتمع من اكتساب صفة التعاون والتسامح والتقدم، وهكذا فإن «وظيفة التربية وهدفها الأساسي هو أن تهيئنا لأن نحيا حياة كاملة فاضلة»[٢].

وهكذا يكون «واجب التربية الصحيحة أن تعمل على التوفيق بين المحافظة والتقدمية بالنسبة للفرد وبالتالي بالنسبة للمجتمع، عليها أن تعين الفرد والمجتمع على الإبقاء على الصالح من تراثه، والمفيد من طرائقه، ثم استبدال ما لا يصلح أو ما لم يعد يصلح بما هو خير منه وبما تحققه العلوم والمكتشفات والاختراعات من منجزات (تكنيكية) وعلمية»[٣]. فالتربية القويمة تسعى لحفظ أسس الإيمان في قلوب الناس وتكريسها في المعاملات على المستوى الأخلاقي والإنساني والجهادي. وهنا لا بد أن نشير إلى أن التطور العلمي والتقني مهما بلغ فإن المُثُل الخلقية تبقى في جوهرها ودلالاتها كما هي. لأنها لبُّ العمليات التربوية على مرّ العصور، وهي الهدف النبيل في حياة المسلمين لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، نعم «لم يكن هدف المسلمين من التربية دنيوياً محضاً كما كان عند اليونان والرومان

---

(١) شهلا، جورج: الوعي التربوي، ص ٢٤.

(٢) عبد العزيز، الأستاذ صالح، والدكتور عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس ج١، ص ٢٠.

(٣) عاقل، د. فاخر: معالم التربية، ص ٣٣.

مثلاً، ولم يكن دينياً [أُخروياً] كما كان عند الإسرائيليين في الصدر الأول، وإنما كان غرضهم دينياً ودنيوياً معاً، وكانوا يرمون إلى إعداد المرء لعمليْ الدنيا والآخرة»(١). يقول ﷻ في القرآن المجيد: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٢). وورد في حديث الرسول الأكرم ﷺ قوله: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»(٣). فإذا كانت وظائف التربية تتمحور حول نمو الإنسان في سلّم الفضائل لنيل السعادة في الداريْن، كان لزاماً على هذا النمو أن يكون متوازناً. وعلى هذا التقدم أن يكون شاملاً بين جوانب الشخصية المتلقية والظروف المحيطة بها، وفقاً للأسس التربوية الصالحة، وذلك لأن «التقدم العقلي والروحي والخلقي ليس محدوداً بأسوارٍ تحول دون مُضيّه إلى ما لا نهاية، وهو منوط على نحو رئيس بنوع التربية والتدريب الذي يُمْكن أن يتاح لنا، على حين أن التقدم المادي كثيراً ما يعتمد على موارد محدودة، غير قابلة للنمو، بل أن كثيراً منها مهدّد بالنفاذ الكامل، ولذا فإن مستقبل البشرية سيعتمد من الآن فصاعداً على نوعية الإنسان الذي تعدّه المؤسسات التربوية»(٤).

---

(١) عبد الدائم، د. عبد الله: التربية عبر التاريخ، ص ١٤٢.

(٢) سورة القصص ٢٨ آية ٧٧.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت) ١٧/ ٧٦/ ٢٢٠٢٦، أبواب مقدمات التجارة، ٢٨ عن العالم. وفي مستدرك الوسائل للميرزا النوري ١/ ١٤٦، ٢٥- باب استحباب تعجيل فعل الخير.. رقم ١/ ٢٢٠- عن الحسن بن علي. ويذكره العلامة الحلي المتوفى ٧٢٦ هـ في تحرير الأحكام ٢/ ٢٤٩ عن الإمام الكاظم.

(٤) بكار، أ.د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ٦.

# المطلب الثالث

## أقسام التربية الجهادية

**أقسام التربية الجهادية هي:**

١• التربية النفسية.

٢• التربية العقلية.

٣• التربية الجسدية .

تشمل التربية هذه الأبعاد الثلاثة التي تمثل شخصية الإنسان، ولكل بعد متطلباته وطرق تنميته، وهذه الأبعاد في الحقيقة متداخلة ومتفاعلة فيما بينها. فالبعد المعرفي الذهني والبعد الوجداني العاطفي، والبعد البدني العملي، كلها متداخلة ومترابطة تشكل وحدة متكاملة لشخصية الإنسان، فأية عناية تربوية محصورة في جانب واحد كالجانب العقلي مثلاً، لا تكفل النمو الكامل للشخصية. وذلك لأن الإنسان بجوانبه المتعددة يشكل وحدة لا تتجزأ، وإن «العناية المقصورة على تثقيف العقل لا تؤدي عادة إلى العناية المنشودة، بل إلى حشو الدماغ بمعلومات لا تساعد إلّا على تأدية الامتحانات فتكون النتيجة حفظاً آليّاً لا تفكيراً حقيقياً. . . فشخصية [المتربي] ومبادئه ومُثله ودوافعه وطريقة تفكيره ومساعيه

وجهوده لا تتوقف على المعلومات، بل على نوع الآثار التي تركتها هذه المعلومات في نفسه..»[١].

إن التربية الحديثة تسعى إلى تحقيق هذه الرعاية الشاملة لأبعاد وجوانب الإنسان، ولكن بتصوراتها المحدودة، وعلى مستوى الشعار والطموح، فهي «تطمح إلى تكوين الإنسان كله في شتى جوانب شخصيته... تكوين الفكر... وفوقه تكوين الخلق... وإن حياة العقل والحياة الخلقية مرتبطتان بدورهما بحال الكيان العضوي. ومن هنا تعنى عناية خاصة بالتربية الرياضية وسائر أشكال التربية الجسدية... ومثل هذا يقال في اهتمام التربية الحديثة بسائر أشكال التربية: كالتربية الجمالية والتربية المهنية، إن هدفها في النهاية أن تقدم تربية شاملة متّسقة، أن يكون إنساناً كاملاً، لا طرفاً في إنسان»[٢].

وهذا ما نلمسه بوضوح في أسس التربية في الإسلام، حيث ترتكز على محور النفس البشرية، ميولها ونوازعها وطرق تهذيبها، وعلى الجانب العقَدي العقلي، وكذلك على الجانب الجسدي، ويسعى المربّون المسلمون إلى إقامة التوازن والتفاعل فيما بين تلك الأبعاد بما يتناسب مع الظروف البيئية. «إن منهج التربية في الإسلام منهج متكامل يعني بتربية الجسم والروح والعقل حتى لا تطغى ناحية من النواحي على الأخرى، وبذلك ينشأ المسلم سويّاً، قويّ الصّلة بالله محقّقاً لرسالته في الحياة.. جمعت التربية الإسلامية بين تأديب

(١) شهلا، جورج: الوعي التربوي، ص ٣٢٩.

(٢) عبد الدائم، د. عبد الله: التربية عبر التاريخ، ص ٥٠٨.

النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم..»[١]. بينما يلاحظ على المربين من غير المسلمين، عدم الوضوح في القدرة على تشخيص البعد المحوري والأهم للإنسان، وعندها «تتيه العقول وتتشظّى الخبرات كلما أراد المربون القبض على الهيكل الأساسي لما ينبغي أن يقوموا به حيال تكوين شخصية متكاملة متوازنة.. والسبب الجوهري في هذا، أن الله - جلّ وعلا - خلق العقل البشري ليكون عقلاً عملياً، لا ينتج إلّا ضمن أطر ومُسلّمات ومحدّدات معينة، وحين يُترك ليبتدع هو أُطر عمله، فإنه يكون قد زُجّ به في بحرٍّ لجيّ لا يحسن فيه أي شكل من أشكال العوم، وستكون النتيجة ما نراه اليوم لدى فلاسفة الغرب من اختلاف واضطراب... [نعم] إن (الوحي) الذي استدبره الغرب - لأسباب تاريخية - هو الذي يمنح إطار التوازن والتكامل للأعمالَ التربوية، وهو الذي يؤمّن نوعاً من الانسجام والتلاحم بين متطلبات الفطرة في النفس البشرية، ومتطلبات الانتماء التاريخي والمجتمعي ومتطلبات العيش الكريم»[٢].

سنسلط بعض الأضواء على الأقسام الثلاثة للتربية الجهادية.

● **التربية النفسية:**

تعيش المجتمعات البشرية اليوم حالات شديدة من القلق النفسي، والاضطراب الفكري، والتحلل الخلقي، والقطيعة الاجتماعية، بينما تتكرّس فيه روح الأنانية بوضوح على حساب

(١) الجندي، أنور: التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) بكار، أ. د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ١٥.

الأسرة والمجتمع، فبعض من الناس مصاب باللهاث المادي، فيسعى بكل ما أوتي من قوة وحيلة نحو إشباع غرائزه وأهوائه بأية صورة ممكنة. والحقيقة أنّه لا يمكن الخروج بسلام من هذا المأزق إلّا بالعودة إلى المناهج الإسلامية التي توضح أسس التربية للإنسان والتربية الجهادية الشاملة لكيانه، فهي - دون غيرها - قادرة على منحه المناعة من تلك الأوبئة القاتلة، وإنها تزوّده بالثقة والشجاعة على اقتحام صعابِ الحياة بروحيّة مطمئنة ونفسيّة مستقرة.

إن التربية الإسلامية ترتكز على روح الإنسان. وتعتبره محور كيانه إلى جانب البعد الجسَدي، وذلك لأنه في الحقيقة «روح قبل أن يكون جسداً، والجسد منه تابع وخادم للروح، وذلك كان في أصل فطرته منذ خلقه الله ونفخ فيه من روحٍ من عنده، وكرّمه بالعقل وفضّله بنعمة العلم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿... إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[1]. وهذه الآية الكريمة تنبّه إلى أن الإنسان خلق من عنصرين أساسيّن: عنصر مادي وآخر روحي، وكذلك إلى أنّ الله - جل وعلا - أقام هيكل الإنسان وجسمه من عناصر الأرض ثم نفح فيه من روحه. وهذه الآية تنبّه أيضاً إلى أنّ الجسد منسوب إلى الطين والروح منسوبة إليه تعالى. والروح هي المدبّرة لجسد الإنسان، حتى أن الكائن البشري بدون هذه الروح المدبّرة لجسده، لم يعد إنساناً ولكنه صورة للإنسان لا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة»[2].

---

(١) سورة الحجر ١٥، الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) الشريف، د. عون والجنحاني، د. الحبيب: الفكر التربوي العربي الإسلامي- =

وبذلك ندرك أهمية معرفة الكيان الإنساني خصوصاً جزؤه غير المرئي، وما اختزنه من تكريم إلهي مميّز، حيث بصّره الله سبحانه بمناهج الإسلام التربوية، الكفيلة بسعادة الإنسان. فالله الخالق المبدع المدبّر أودع فينا، بل ألهمنا القوة والضعف، التقوى والفجور، وكشف لنا حقائق وأسرار النفس وما يدور من صراع في خلد الإنسان، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1]. فالله ﷻ: «خلقها في الإنسان ولم يلزمها على وجه واحد من السلوك. فقد جعل في النفس قابلية التقوى كما جعل فيها قابلية الفجور في الوقت ذاته.. وهذا هو موضع الابتلاء في الإنسان»[2]. ولكن الله سبحانه رؤوف بعباده، وهو وحده القادر على إنقاذ الإنسان والبشرية من حالات التخبّط والضياع، فمن ألطافه بعث لنا القرآن الكريم الشامل للمنهج الحياتي القويم، وما على المسلمين إلا بذل الجهود لاستنباط أسس التربية الصالحة في كلّ زمان ومكان للنهوض بالإنسان والمجتمع نحو الرقي إلى أعلى المقامات. والحقيقة، أنّ الساحة التربوية تشكو من هذه الدراسات الوافية والتفصيلية المواكبة للتطور، وهذه مسؤولية كبيرة تقع على عاتق المربّين والواعين في الأمة. يقول الدكتور عبد الكريم بكّار: «إن الوحي يمنحنا الثوابت، ويوضح لنا الخطوط العريضة ويحدّد لنا الأطر العامة، وعلينا أن نقوم بواجبنا في تلبية مطالب ما تأتي من المتغيّرات، واختلاف الأزمنة والأمكنة،

---

= الأصول والمبادئ، ص ١٤٦.

(١) سورة الشمس ٩١/ الآيات ٧-١٠.

(٢) معروف، د. نايف: الإنسان والعقل، ص١٤٥.

والتحوّلات الثقافية الكبرى، وأن نتلمس عبر الدراسات والإحصاءات والملاحظات الذكية طريقنا في النهوض لأبنائنا وأوضاعنا العامة على الوجه الأكمل»[١].

وهذه المعرفة للحالة النفسية لا بد منها للتمكّن من تنميتها ومعالجة أزماتها، لتتم عملية التكيّف مع الظروف بالشكل المطلوب، فالمربّي لا يستطيع المباشرة بالتربية ما لم يحط فهماً بطبيعة النفس لدى المتلقي، هذه الطبيعة «هي المحرك الرئيسي لسلوكه، فيجدر بالمعلم أن يتفهمها ويطّلع على أفضل الطرق لمعالجتها»[٢].

لأن السلوكيات قابلة للتغيير والتعديل، بل «إن الغرائز قابلة للتعديل عن طريق التعلم والاكتساب..»[٣]، وذلك مثل الحاجة النفسية إلى الأمن والطمأنينة، وإلى المغامرة أيضاً في خضمّ الحياة، وكذلك إلى الود والحنان والرحمة والألفة وسائر الحاجيات النفسية، فيتم توجيهها والاستجابة لها بالطرق المشروعة، لكي لا يلجأ الإنسان إلى وَحْل الازدواجية للتخلص من الضغوط المتقابلة، فيظهر أمام الشاشة الاجتماعية بصورة لائقة بينما يخفي الحقيقة في سلوكه المنحرف باطناً. فتكون له شخصيتان وسلوكان، الظاهر خير والباطن شر.

إن معالجة هذه الأمراض النفسية تأتي عبر اتباع المنهج التربوي

---

(١) بكار، أ.د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ١٦.

(٢) شهلا، جورج: الوعي التربوي، ص ٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨٦.

الذي يرعى الإعداد والتنمية والتغيير لقوانا النفسية نحو الأفضل «بل إنّها تشمل أكثر من هذا، كل تغيير في غرائزنا وميولنا الفطرية وأخلاقنا»[١]. إلى أن نبلغ الذروة في الإنسانية الصالحة التي يريدها الإسلام، فقد وضع أسساً واضحة في التعاون والمحبة والإخاء والإيثار والنصح والإحسان ونُصرة المظلوم وإكرام الضيف والعطف على الصغير وحقوق الجار والبيئة وهكذا. «إن المنهج الرباني يمنح المسلم الأصول والأسس والغايات الكبرى ويمنحه إلى ذلك ما يشكّل به (العقل المفتوح) الذي يملك استعداداً دائماً لقبول الجديد والنافع، وما تبرهن التجارب على صدقه وصوابه ما دام لا يتنافر مع الإطار الإسلامي العام، ولا يخالف نصوصاً أو أحكاماً قطعية»[٢].

هذا والإسلام - كما لا يخفى - يجعل جهاد النفس هو الجهاد الأكبر لأن النجاح في ميدان النفس يشكل الانطلاقة الصحيحة نحو قتال الأعداء في ساحة المعركة. فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنّه: «رأى بعض أصحابه منصرفاً من بعثٍ كان بعثه، وقد انصرف بشعثه وغبار سفره وسلاحه [عليه] يريد منزله، فقال ﷺ: انصرف من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر! فقال له: أوَ جهاد فوق الجهاد بالسيف؟ قال: نعم، جهاد المرء نفسه»[٣]. وقال ﷺ مخاطباً أصحابه «قدمتم

---

(١) عبد العزيز، الأستاذ صالح، والدكتور عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس ج ١، ص ٥٩.

(٢) بكار، أ.د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ٤٠.

(٣) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل، ج ١١، أبواب جهاد النفس الباب ١ ص ١٤٠ رقم ١٢٦٥١. عن الإمام الرضا عن آبائه..

خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»[١].

والجهاد الأكبر هذا يقوم على أساس المحاسبة الذاتية والنقد الذاتي والمراجعة الدائمة بوعي وبصيرة، لتتم عملية تنمية الإيجابيات وإزالة السلبيات بعد الاعتراف بالذنب والإقرار بالخطأ. وهذه الطريقة التربوية هي سنة الأنبياء عليهم السلام، فلنستمع إلى القرآن الكريم على لسان أبينا آدم عليه السلام وأمّنا حواء عليها السلام وقولهما في المحضر الإلهي: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٢]. وهذا الاعتراف النفسي يكشف البواطن لنور البصيرة، وعندها تتم عملية التطهير والتوبة ثم الانطلاق نحو بناء الحياة.

● **التربية العقلية:**

إن الذكاء الفطري للإنسان هو المادة الأولية القابلة للنمو والتطور، لما تمتاز من قدرة على التفاعل مع عوامل البيئة والتربية، عبر ما يتلقاه من منشطات تفد إلى عقله عن طريق حواسّه المعروفة كالعين والأذن والأنف والجلد والفم، فمجمل المؤثرات التي يتعاطى معها الإنسان منذ انعقاد نطفته في رحم أمّه، واستمرار نموّه

---

(١) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، الجزء الرابع ص٤٠٣، رقم ١١٢٦٠. عن جابر. قال المناوي في فيض القدير ج٤ ص٦٦٩، رقم الحديث ٦١٠٧: «لأنّ قتال الكفار فرض كفاية وجهاد النفس فرض عين على كل مكلف في كل وقت». عن جابر ورواه البيهقي أيضاً في كتاب الزهد وقال: إسناده ضعيف.

(٢) سورة الأعراف ٧ الآية ٢٣.

وهو يتلقى المؤثرات من أمّه، وإلى خروجه لهذه الدنيا وتعاطيه مع الحياة، أنها تنعكس تربوياً على عقله ونفسيته. لذلك ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: «السعيد من سُعِدَ في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمّه»(١).

ولأن إمكانية النمو العقلي مستمرة يأمرنا الرسول الأكرم ﷺ بمواصلة طلب العلم، بل يشجع الكبار على طلب العلم في حالة عدم توافر الفرصة لهم في الصغر، كما مرّ في الحديث الشريف سابقاً. وبذلك تتكون الخلفية الفكرية عند الإنسان التي تعكس قدراته السلوكية الشعورية ومواقفه وتصرفاته. وعليه «إنّ الذكاء البشري ليس أمراً جامداً ساكناً محدوداً، بل إنّه كما تدل الدراسات الحديثة للذكاء، قدرة كامنة (ديناميكية) قادرة على النمو والتزايد والتطور إذا أُتيح لها الظرف المناسب والبيئة الجيّدة والتربية الحسنة»(٢). والتربية العقلية هذه تعني المزيد من طلب العلم والمعرفة والتفكير، يقول الدكتور نايف معروف: «.. أما المعرفة الإنسانية المكتسبة فهي التي يكتسبها الإنسان بما أودعه الله فيه من مزايا التفكير والعقل.. [فالناس] يولدون من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، ومصداقه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ

(١) الطبراني، الحافظ أبو القاسم: المعجم الأوسط ج٣ ص١٠٧ عن عامر بن واثلة عن ابن مسعود. وفي معجمه الصغير عن أبي هريرة ج٢ ص٥. وكذلك أورده السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة ج٢ ص٦٨ رقم ٤٨٠٩، قال ابن حجر: سنده صحيح، راجع فيض القدير للمناوي ٤/ ١٨٤/ ٤٨٠٩. وقال المولى محمد صالح في شرح أصول الكافي ٩/ ٣٧٥: «هذا موافق لما هو المشهور».

(٢) عاقل، د. فاخر: معالم التربية - مرجع سابق - ص ٦٩.

وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1]. أي أعطاكم عناصر التفكير والعقل التي تمكّنكم من عقل الأشياء والأفعال والأقوال. وبالخبرة والتجربة والنظر تسيرون في طريق الرّقي والتقدم»[2].

من هنا نلاحظ الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة تحث الإنسان على التفكير وطلب العلم والاستزادة من المعارف النافعة للحياة والمجتمع، لينمو الجانب العقلي عند الإنسان، تحت سقف الوحي وذلك رعاية به، من حالات التيه والضياع التي من الممكن أن تنتابه لو أصيب بشيء من الإفراط في التعمق غير المجدي، وسنشير لذلك من خلال الأحاديث الشريفة بعد ذكر بعض الآيات الكريمة التي تطالبنا بالتفكير وطلب العلم. يقول سبحانه وتعالى في الكتاب العزيز: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[3]. وقال ﷻ في آية أخرى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾[4]. وقال سبحانه في موقع آخر من الكتاب العزيز: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

(١) سورة النحل ١٦/ ٧٨.

(٢) معروف، د. نايف: الإنسان والعقل، ص١١٦-١١٧. يقسّم الأستاذ الدكتور نايف معروف، في كتابه المذكور، سبل المعرفة الإنسانية، إلى المعرفة الخاصة أولاً، وهي المحصورة بالأنبياء ﷺ عن طريق الوحي الإلهي، فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾. النساء ٤/ ١٦٣. وكذلك بالأوصياء عن طريق العلم اللدُني، فقد قال ﷻ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. الكهف ١٨/ ٦٥. ثم يبيّن المعرفة المكتسبة التي أشرنا إليها. للتفاصيل راجع المرجع المذكور، ص١١٤-١١٨.

(٣) سورة العلق ٩٦، الآيات ١-٥.

(٤) سورة العنكبوت ٢٩، الآية ٢٩.

وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾[1]. وقال عز من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[2]. وقال أيضا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[3]. وغيرها من الآيات الكريمة في هذا الاتجاه. أما التعمق غير المجدي في التفكير - كما أشرنا آنفاً - فإنه يتحول إلى انتكاسة العقل بدلاً عن نموّه وتطوّره، لذلك وردت المحاذير الشرعية نحوه وأكتفي بذكر عدة أحاديث للرسول الأعظم ﷺ في هذا الصدد، حيث يقول: «تفكّروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره» وقال ﷺ أيضاً: «تفكّروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا»، «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله»[4]. ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام «إيّاكم والتفكّر في الله، فإنّ

---

(١) سورة الغاشية ٨٨، الآيات ١٧ -٢١.

(٢) سورة الروم ٣٠، الآية ٨.

(٣) سورة النحل ١٦، الآية ١٢.

(٤) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، ج ٦ ص ١٠٦، الأرقام على التوالي: ٥٧٠٧، ٥٧٠٦، ٥٧٠٥، ٥٧٠٤. الحديث الأول: «تفكّروا في آلاء الله..». أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ (باب في التفكر في الله تعالى..» ص٨١ عن ابن عمر. رواه الطبراني في الأوسط وفيه الوازع بن نافع وهو متروك. والرأي ذاته في فيض القدير للمناوي ٣/٣٤٦/٣٣٤٨. وفي لسان الميزان لابن حجر ج٦، ص٢١٣، عن الوازع بن نافع عن سالم عن أبيه مرفوعاً. والحديث الثاني «تفكروا في الخلق..» أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ١/٥١٤/٣٣٤٦، ذكره المناوي في فيض القدير ٣/ ٣٤٥/ ٣٣٤٧، عن أبي الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس. والحديث الثالث: «تفكروا في خلق الله..». أخرجه السيوطي في الجامع =

التفكّر في الله لا يزيد إلّا تيهاً، إن الله ﷻ لا تُدركه الأبصار، ولا يوصف بمقدار»[١].

ومن هنا ندرك أهمية العقل والتفكر بالحدود الطبيعية المقبولة، لأن طاقات العقل محدودة، لا يمكن تحميلها أكثر ممّا تتحمل. فبالعقل تدرك آثار الحواس وتفاعلات المدركات الحسية، سواءً أكانت الإدراكات الحاصلة عن حسٍّ داخلي، بنوعيها: الصادرة عن حاجة عضوية أو غريزة بشرية، أم الحاصلة عن حسٍّ تنبيهيّ خارجيٍّ عن طريق الحواس الخمس. فهي تبقى عشوائية ما لم يقدها العقل الذي كرّمنا الله به، إلى ساحل الأمن والاستقرار، عبر تهذيبها وإشباعها بالطرق المشروعة في الإسلام[٢]. فبالعقل يتوصل الإنسان إلى تحقيق الخير لنفسه عبر رسالة الله. يقول الرسول الأعظم ﷺ: «سيد الأعمال في الدارين العقل، ولكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته لربه»[٣]. ويقول ﷺ في

---

= الصغير ١/ ٥١٤/ ٣٣٤٧، وذكره المناوي في فيض القدير ٣/ ٣٤٥/ ٣٣٤٧ عن أبي الشيخ في كتاب العظمة عن أبي ذر الغفاري. والرابع «تفكروا في كل شيء..» عن الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٥١٤/ ٣٣٤٥. وفي فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٤٤/ ٣٣٤٥، أبو الشيخ [ابن حبان] الأصبهاني في كتاب (العظمة) عن ابن عباس. وراجع أيضاً العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٣١١/ ١٠٠٥.

للمزيد من المعلومات راجع كتابنا، مالك، محمد جواد: العقائد الإسلامية دراسة منهجية، طبع بيروت ص ٧٣-٧٨.

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ج٣، كتاب التوحيد رقم ٤، ص٢٥٩. أخرجه الصدوق في الأمالي عن سليمان بن خالد، وفيه أبو اليسع الكرخي، وثقه النجاشي وغيره.

(٢) معروف، د. نايف: الإنسان والعقل، ص١٧٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ج ١ ص ٩٦ رقم ٤٢. كتاب العقل والجهل، =

حديث آخر: «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»[١].

وقال ﷺ أيضاً: «إن العاقل من أطاع الله... وإن الجاهل من عصى الله»[٢]. فإذن يكون العقل «كقوة هادية للإنسان في كافة جوانب حياته، وكمصدر أساسي من مصادر المعرفة البشرية، وكأداة للإنسان للقيام بمختلف عملياته وأنشطته الفعلية، فإن هذا الاعتراف لم يمنع.. من التنبيه إلى قصور العقل ومحدودية إمكانيات إدراكه خاصة في الأمور الغيبية والدينية.. [إنه] طاقة محدودة وبالتالي فإن الدور الذي يمكن أن يقوم به محدود أيضا..»[٣].

مع هذه المحدودية المقدَّرة له، إن تأثيره في الحياة كبير بل مصيري، لذلك شددّت الشريعة الإسلامية على التربية العقلية

---

= أبواب العقل والجهل. باب (١) فضل العقل وذم الجهل، عن الإمام الصادق عن آبائه.

(١) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل ١١/ ٢٠٩/ ١٢٧٦٣، رواه الحسن بن علي بن شعبة من أعلام القرن الرابع الهجري في تحف العقول ص٤٤.(ذكره ﷺ العلم والعقل والجهل)، ما روي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني. وكذلك المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٧٤/ ١٥٨/ ٧ باب (ما جمع من مفردات كلمات الرسول ﷺ وجوامع كلمه) رقم ١٤٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ج ١ ص ١٦٠ رقم ٣٩. رواه أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد ص١٩٤. ورواه السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤/ ٦٤ بلفظ «يا ابن آدم اطع ربك تسمى عاقلاً ولا تعصه فتسمى جاهلاً» عن أبي سعيد الخدري. وقال المناوي في فيض القدير: غريب، ١/ ١١٤/ ٦٤.

(٣) الشريف، د. عون ودكتور الحبيب: الفكر التربوي، ص ١٤٧. لمعرفة محدودية العقل والحواس راجع كتابنا: العقائد الإسلامية - أشرنا إليه آنفاً.

والفكرية والعلمية للإنسان، وبها يحصل الإنسان على تقدمّهِ وسعادته، لأن «العقل لكل فضيلةٍ أسٌّ، ولكل أدب ينبوعٌ، وهو الذي جعله الله للدين أصلاً، وللدنيا عماداً فأوجب الله التكليف بكماله. وجعل الدنيا مدبّرة بأحكامه والعاقل أقرب إلى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل»[١]. كما أن «الإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعاً لمن يسخّره باسم الدين في غير ما يرضي العقل والدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبةً من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء..»[٢]. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[٣]. ففي مسألة الإيمان بالله وحده وبدينه القويم يريدها الله سبحانه أن تحصل لدى المؤمن عن قناعة عقلية وعلم يقيني، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[٤]. ومما لا يخفى أن التربية العقلية لا تعني نقل المعلومات من الكتب أو من أفواه العلماء لغرض خزنها في ذهن المتلقي دون تفاعل وتمرين وتنمية، فالتربية العقلية «يجب ألّا تهدف إلى خزن العقل وشحنه بالمعلومات، بل يجب أن تعمل على تمرين العقل وتقويته وتحسين ملكاته كالذاكرة والحكم.. فتهذيب العقل

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٦١.

(٢) الشريف. د. عون ودكتور الحبيب: الفكر التربوي، ص ٤٠٣.

(٣) سورة البقرة ٢، آية ١٧٠.

(٤) سورة يونس ١٠، آية ٩٩.

مثلُه كمثل تهذيب الجسم»[١]. لأن الإنسان بطبيعته مكوّن من «نفس وجسد، عقل وعاطفة وإرادة، ولا يمكن للتربية الصحيحة أن تسمح لوجه من وجوه الحياة البشرية بالنمو على حساب الوجوه الأخرى. فالعقل النيّر لا يستغني عن جسد صحيح وعاطفة متّزنة وإرادة مشحونة في خدمة العقل.. ولا بد إذن من أن تكون التربية العقلية متمشية جنباً إلى جنب مع تربية الجسد، مع تهذيب النفس وصقل العاطفة وتكوين الخُلق الحسن والتعويد على العمل المنتج المثمر»[٢]. فالعبرة إذن بالمنهج التربوي، لأنه هو الأساس في العملية، وهنا لا بأس أن نشير إلى فكرة (ديكارت) ١٥٩٦-١٦٥٠م، حيث يؤكد على أن «المنهج هو الشيء الأساسي وقيمته فوق كل قيمة، ونجاح الناس لا يتوقف على مزاياهم الطبيعية من خيال وذاكرة وبداهة.. بقدر ما يتوقف على قواعد التوجيه الفكري التي تفرض على العقل، وللتربية في تكوين الأفكار السديدة القويمة وإنمائها حظ أكبر من حظ الطبيعة»[٣]. وبالفعل «إن ما يقّدم [للعقل] من تغذية علمية وتربية منطقية وإطلاق للخيال أهم من إمكاناته الفطرية الأساسية»[٤]. ففي فطرة الإنسان غريزة التديّن والتقديس، لا بد من رعايتها وتربيتها بلجام العقل كي لا تقع أسيرة الخرافة والانحراف، يقول الدكتور نايف معروف: «وهذه الغريزة تطلب إشباعاً أيّما إشباع، إلّا أن الإشباع الذي يتفق مع فطرة الإنسان يأخذ بيده إلى الاطمئنان

(١) عبد العزيز، صالح: التربية الحديثة مادتها، مبادئها، تطبيقاتها ج ٣،ص ٢١.

(٢) عاقل، د. فاخر: معالم التربية، ص٤٠.

(٣) عبد الدائم، عبد الله: التربية عبر التاريخ، ص ٣٥٤.

(٤) بكار، أ.د. عبد الكريم: المسلمون بين التحدي والمواجهة، ص ٢٣.

القلبي والقناعة العقلية معاً، فيكون الاستقرار والارتياح، في حين أن الإشباع الخاطئ يسكن في الوجدان العاطفي، ويتقلب بتقلب القلب ما لم يُحصَّن بالإيمان العقلي»[١]. ويقول أيضاً: «.. فإذا لم يكن هناك عقل يحكمها وتفكير سليم يدير شؤونها فقد تخطئ الطريق فيعبد الإنسان غير خالقه. وإذا اهتدى إلى خالقه تجاوز حدود العبادة بتخيّلات وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان..»[٢]. فالإنسان الذي يفتقد بصيرة العقل، ولا يرى بضياء العقل ونوره إنما يهبط بمستواه إلى الحيوان بل هو أضلّ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[٣].

نعم إن الإسلام هو «دين العقل والمنطق والفطرة السليمة والكمال الإنساني، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بجسده فقط ولا يمكن أن تقف مطالبه عند المطالب الجسديّة، لأنه إن حدث له أو فعل ذلك هبط إلى مستوى الحيوان، ولا يمكن للحياة البشرية أن تستقيم بدون سلطان العقل وتوجيهه بجانب سلطان الدين وتوجيهه»[٤]. بل يكون العقل في ظل سلطان الدين وتوجيهه.

● **التربية الجسدية:**

وهي التي تعنى ببدن الإنسان أي بأجهزته الظاهرية الملموسة،

---

(١) معروف، د. نايف: الإنسان والعقل، ص١٦٣.

(٢) المرجع ذاته، ص١٦٧.

(٣) سورة الأعراف ٧، آية ١٧٩.

(٤) الشريف، د. عون.. الفكر التربوي، ص ١٤٦.

والباطنية الداخلية، لغرض الحماية والإنماء من جانب وكذلك لغرض توظيفها في الاتجاهات المشروعة من جانب آخر، وذلك عبر التغذية والتمرين المتواصلين. ضمن قواعد صحية وعادات سليمة وضوابط شرعية ليكتسب الجسد متانة وقوة كذلك يكتسب كفاءةً ومهارة في التحرك والتنقل. والإسلام يضع مجموعة من القواعد الصحية العامة في الأكل والشرب، فهناك شروط لحلّية الطعام وصحته ابتداءً من كيفية تذكية الحيوان ذبحاً أو نحراً، ومروراً بمحرمات الذبيحة، وانتهاءً بالنجاسات العينيّة والطارئة وطرق النظافة العامة، للغذاء والفواكة والجسد والثياب، والطعام الحرام والشراب الحرام وهكذا.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[1]. ويقول سبحانه في آية كريمة أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[2]. ويقول - جل وعلا - لبيان قاعدة صحية عامة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3]. ويقول الرسول الأعظم ﷺ في هذا الصدد: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثُر عليه الماء»[4]، «إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للبدن، ومورثة

(١) سورة المائدة ٥ آية ٣.

(٢) سورة المائدة ٥ آية ٩٠.

(٣) سورة الأعراف ٧ آية ٣١.

(٤) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل ج ١٦، أبواب آداب المائدة باب ١، (كراهة كثرة الأكل)، ص٢٠٩ رقم الحديث ١٩٦١٩. عن الحسن بن فضل الطبرسي في مكارم الأخلاق ص١٥٠، الفصل الثالث عن جُحيفة عن علي.

للسقم، ومكسلة عن العبادة»[١]، «لا تشبعوا فيطفئ نور المعرفة من قلوبكم»[٢]، «كُلْ وأنت تشتهي، وأمسك وأنت تشتهي»[٣]. وهنالك مجموعة من آداب المائدة من التسمية قبل التناول وغسل اليدين قبل وبعد الطعام والجلوس على الجانب الأيسر والشكر لله على النعمة..

كما وإن هنالك مجموعة من الأحاديث الشريفة المشجعة لمزاولة التربية البدنية، نورد نماذج منها، يقول الرسول الأمين ﷺ: «من عُلّمَ الرّمي ثم تركه فليس منّا، أو قد عصى»[٤]، «أحب اللهو إلى الله تعالى إجراء الخيل والرمي»[٥]. وهناك أحاديث أخرى تشجع على السباحة والرماية والجري والمبارزة، وفي بعضها تعاليم صحية مثلاً حول النظافة للجسم والثياب والسواك للأسنان وكذلك تطهير الفُرش

---

(١) المصدر ذاته، ص٢١٠، رقم ١٩٦٢١. عن القطب الراوندي في (الدعوات) ص٧٤، الباب الثاني في ذكر الصحة وحفظها وما يتعلق بها. فصل (في خصال يستغنى بها عن الطب) رقم ١٧٢.

(٢) المصدر ذاته، ص٢١٨، رقم ١٩٦٤٦. عن مكارم الأخلاق للطبرسي ص١٥٠ الفصل الثالث (في آداب الأكل وما يتعلق به) رواه أبو جحيفه وهو وهب بن عبد الله من خواص أصحاب الإمام علي، عن علي.

(٣) المصدر ذاته، ص٢٢١، رقم ١٩٦٥١. عن طب النبي ﷺ لأبي العباس جعفر المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ، ص١١ طبع دار الكتاب الإسلامي ١٤١١هـ-١٩٩٠م. وعنه في بحار الأنوار للمجلسي، ٦٢/ ٢٩٠.

(٤) النيسابوري، الإمام مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، مج ٢، ص ١٥٢٣. وكذلك في ج ١٠ ص٣٤ رقم ٣٥٤٣، باب فضل الرمي والحث عليه، رواه عقبة بن عامر راجع شرح النووي على مسلم باب (فضل الرمي والحث عليه) ٦/ ٤٠٠/ ٣٥٤٣.

(٥) السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير ج١، باب الألف ص٣٨ رقم ٢١٦. قال المناوي في شرحه (بقصد التأهب للجهاد) عن ابن عمر ﷺ وإسناده ضعيف. فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/ ٢٢٥/ ٢١٦.

والمساكن. ومما لا شك فيه إن التربية الجسمية مرتبطة بالتربية العقلية والنفسية أيضاً لتتم الموازنة الطبيعية لذلك قيل: العقل السليم في الجسم السليم، أما إذا طوّر الإنسان قواه الجسدية مجرداً عن القيم الخلقية فإنه سيتحول إلى كارثة إنسانية. لذلك نجد في الشريعة الإسلامية حالة توافقية في بناء الإنسان عبر التغذية العامة لكل جوانبه. ولكن التركيز - كما أشرنا سابقاً - على الجانب النفسي الروحي «لأوليته على المجالَيْن الآخرين، ولعلم الله تعالى بضعف البشر وتساهلهم فيه.. ورسول الله ﷺ يعتبر دوره الأساسي ومهمته الرئيسية هي إنضاج وإكمال المستوى الروحي النفسي الذي تنبثق عن أخلاق الإنسان وسلوكياته»[١].

ومن زاوية أخرى يشجع الإسلام الإنسان على العمل والكسب الحلال، ليأكل من عرق جبينه، وهذا العمل هو جهد عضلي غالباً وفكري أحياناً، يقول المصطفى ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده..»[٢]، «أزكى الأعمال كسب المرء بيده»[٣]. إن العمل والكسب باليد هو من أجل المعيشة ولكنه يحقق فوائد عضلية ونفسية أيضاً. كما أن تمارين الرياضة البدنية تنشّط الجسم وتقوّيه، وتنعكس هذه الحالة الإيجابية إلى النفس والعقل معاً، لذلك «كان المربون المسلمون يدركون أن من طبيعة الطفل أن

---

(١) الصفار، حسن: النفس منطقة الخطر، ص ٦.

(٢) صحيح البخاري ج٧ ص٢٣٥، باب (كسب الرجل وعمله بيده) رقم ١٩٣٠، أخرجه عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

(٣) المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال ٤/ ٨/ ٩٢٢٠. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، عن علي.

يكون نشيطاً كثير الحركة، وكانوا يغذّون فيه هذه الطبيعة لعلمهم إن في نشاط الجسم يقظة العقل وصفاء الذهن. .»[١]. هذا «وقد تحدث القرآن الكريم عن (الجبلّة) التي تعتبر قوام مادة الحياة، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهي ما يطلق عليها في علم الحياة الحديث (البروتوبلازم) ولا توجد هذه المادة في الجماد، ولا يعرف العلم حتى الآن مادة أخرى تصلح لإظهار معالم الحياة غير هذه المادة. . [وعلى العموم] إن الإسلام يعترف بالبعد الجسمي أو المادي في الإنسان، كما يعترف بحق هذا البعد في الرعاية والعناية الضروريتين. على أن يحاط هذا البعد بسياج الدين والخلق فيتكامل بذلك مع بقية العنصرين للطبيعة البشرية وهما: العقل والروح. فالإسلام. . لا يرضى للإنسان أن يكون قوياً في بدنه ولكنه قزم في روحه، ضحل في عقله وتفكيره»[٢]. إذن فالإسلام دين التوازن بين أبعاد الإنسان يغذّي كل جوانبه بشكل طبيعي إلّا أنه يركز -كما قلنا- على الجانب المهمل وهو البعد النفسي، الروحي، لأنه في الحقيقة توجد اهتمامات بالجانب المادي أكلاً وشرباً وصحةً ولبساً والشؤون المنزلية عموماً. وكذلك توجد اهتمامات بنسبة معينة في تطوير الجانب العلمي والعقلي كالذي يجري في الدراسات والبحوث العلمية والجامعات التخصصية. بينما نرى «الجانب الروحي النفسي هو البعد المهمل والمتروك من شخصية الإنسان، حيث لا يستأثر إلّا باهتمام ضعيف»[٣].

---

(١) عبد الدائم، د. عبد الله: التربية عبر التاريخ، ص ١٨٥.

(٢) الشريف، د. عون: الفكر التربوي، ص ١٤٦. والآية الكريمة ﴿والجبلّةِ الأولين﴾، من سورة الشعراء٢٦/ ١٨٤.

(٣) الصفار، حسن: النفس منطقة الخطر، ص ٦.

# المبحث الثاني

## أسس التربية الجهادية في القرآن الكريم

## وفيه ثلاثة مطالب:

* المطلب الأول : القرآن الكريم وتربية النفس على الجهاد والمقاومة *
* المطلب الثاني : القرآن الكريم وتربية المجتمع على الجهاد والمقاومة *
* المطلب الثالث : حث القرآن الكريم على إعداد القوة القتالية *

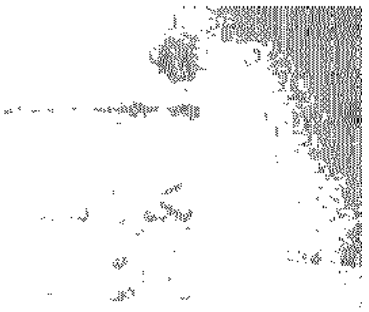

# المطلب الأول

## القرآن الكريم وتربية النفس على الجهاد والمقاومة

يعرفنا القرآن الكريم على هدفية خلق الإنسان وإنه لم يخلق عبثاً حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[1]. بل خلقه الله ﷻ في هذه الدنيا وهيّأ فيها فرص العبادة والعمل الصالح ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2]. حتى يتم لقاء الله والعودة إليه باطمئنان ونجاح ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[3]. أو يتم اللقاء والرجوع إلى الله ﷻ بنتيجة وخيمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[4]. فبمقدار كسب الحسنات في تطبيق أوامر الله سبحانه، أو العكس، في الدنيا تتحدّد مكانة الإنسان عند الله في الآخرة. فإذن يعيش الإنسان في قاعة امتحان كبيرة وهي الدنيا وعلى

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣، الآية ١١٥.

(٢) الذاريات ٥١، الآية ٥٦.

(٣) الفجر ٨٩، الآيات ٢٧ - ٣٠.

(٤) يونس ١٠ الآيتان ٧-٨.

ضوء النتائج يتحدد مصيره، يقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(١). ولم يتركنا الله ﷻ دون توجيه وتذكير وإمكانية الفوز بالاختبار يقول سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾(٢). ومن ألطافه الكبرى على الإنسان إنه بعث الرسول المصطفى محمد ﷺ بالقرآن الكريم وبيّن للإنسان مواقع الخطورة في النفس ومواطن الابتلاء في الدنيا، لينتبه الإنسان ويَحْذر من مخاطر الاستجابة لهوى النفس والانزلاق نحو حب الدنيا وما يرافق ذلك من الابتعاد عن مناهج الله سبحانه في العبادة والسلوك. ولما كانت النفس، مركز العواطف والميول والشهوات لدى الإنسان، وكذلك الدنيا مركز إغراءات النفس ومكان تنفيذ تلك الشهوات، جاءت التعاليم القرآنية محذّرةً من هذا الابتلاء المصيري. فبيّن خطورة هوى النفس بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾(٣). على لسان النبي الكريم يوسف عليه السلام. فبإمكان النفس أن تجر الإنسان إلى المفاسد والسقوط في الرذائل طمعاً لإشباع تلك الشهوات، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾(٤). بإتباع تعاليمه ومحاربة هوى النفس، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾(٥)، يقول الإمام علي عليه السلام: «ما من معصية الله شيءٌ إلّا يأتي في شهوة، فرحم الله امرأً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء

(١) الملك ٦٧، الآية ٢.
(٢) الإنسان ٧٦ الآية ٣.
(٣) يوسف ١٢، الآية ٥٣.
(٤) تكملة الآية الكريمة ذاتها.
(٥) النازعات ٧٩، الآية ٤٠ - ٤١.

منزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصيةٍ في هوى»[١]. فإذن تربية النفس وترويضها لتسير على خطى الإيمان والالتزام إنما هي معركة مصيرية بالنسبة للإنسان تحدّد وضعه ومستقبله، إنها «معركة حتمية لا خيار لأحد فيها ولا يستثنى أحدٌ منها.. وهي معركة دائمة مساحتها طوال عمر الإنسان منذ أن يدركه الوعي وإلى أن تفارقه الحياة.. وإنها معركة شاملة تستوعب كل جوانب حياة الإنسان ومختلف شؤونه، وتمتد إلى جميع الزوايا والتفاصيل، فكراً وإحساساً، وعملاً وقولاً، وإشارة وصمتاً.. والنفس أقرب شيء للإنسان، وهي متداخلة معه وملتصقة به، وكم هو صعب على الإنسان أن يعايش عدوّه ويتداخل معه ويكون قريباً منه ووثيق الصلة به؟ لكل ذلك تصبح المعركة مع النفس أخطر معركة»[٢]. بل هي المعركة الأساسية الكبرى في حقيقتها وواقعها، حيث تتشعب منها جبهات متعددة. «فالنفس ميدان صراع عنيف وجهاد شديد وفعّالية حامية ومقارعة قويّة، فهي الميدان الأول وهي الميدان الذي لم يسبقه ولم يتقدم عليه أي ميدان آخر من ميادين الجهاد الأخرى، سواء الجهاد بالسيف أو الجهاد بالمال أو الجهاد بالكلمة»[٣]. فمن نجح في جهاده مع نفسه، ميدانه الأول فإنه سينجح في الميادين الأخرى، لأن نجاح الجهاد مع النفس يعني الفوز بإحدى الحسنين في ميادين القتال - النصر أو الشهادة - كما وإنّ الفشل في ميدان النفس يعني الإخفاق والهزيمة في الحياة. وهذا الصراع هو الابتلاء والاختبار للمؤمنين، لأنهم يعيشون تحت عوامل

(١) نهج البلاغة، باب الخطب، رقم ١٧٦.

(٢) الصفار، حسن: معرفة النفس، ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) الراضي، عبد اللطيف: المنهج الحركي في القرآن الكريم، ص ٢٠١.

ضغط ثلاثة إلى جانب هوى النفس، إذ هي «تشكل مثلثاً رهيباً ضاغطاً على الإنسان، وهذه العوامل هي: الأهواء والشهوات من داخل النفس، والمغريات والمثيرات من واقع الحياة الدنيا، والشيطان الذي يقوم بينهما بدور السمسار والوساطة»[١]. يقول سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾[٢]. وأما دور الشيطان فهو تجميل المنكرات وتشجيع أعمال الانحراف يقول ﷻ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣]. وفي آية كريمة أخرى قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾[٤]. وفي قصة أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء عليها السلام قوله - جل وعلا - ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾[٥]. إذن هنا تكمن دقة عملية الابتلاء، وعلى الإنسان أن يمتلك الوعي واليقظة الإيمانية لكي ينقذ نفسه ويخرج من حلبة الصراع فائزاً منتصراً. والجهاد مع النفس له اتجاهان رئيسيان، الأول منهما وهو الأهم ينصبُّ على تربية النفس وتطهيرها من الذنوب والمعاصي والآثام. أما الاتجاه الثاني فهو الانطلاق نحو جهاد العدو بهمةٍ وصدقٍ عبر التضحية بالنفس والمال في سبيل الله.

ولما عرفنا أن المعركة المصيرية داخل النفس، كان علينا أن

---

(١) الآصفي، محمد مهدي: وعي القرآن، ص ٣١.

(٢) آل عمران ٣، الآية ١٤.

(٣) الأنفال ٨، الآية ٤٨.

(٤) المؤمنون ٢٣، الآية ٩٧.

(٥) الأعراف ٧، الآية ٢٠.

نعرف المعالجة القرآنية لهذه المسألة المهمة، وهي المعالجة الوحيدة التي تضمن النجاح، وذلك لأنّ الله ﷻ هو الخالق للنفس والعالِم بخفاياها يقول ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ﴾[١]. وفي آية كريمة أخرى يقول عزّ من قائل: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[٢]. ويقول سبحانه أيضاً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[٣]. إذن اتباع القرآن الكريم في تربية النفس هو العلاج الشافي، والمسألة تحتاج إلى سعي حثيث من المؤمن ليكون ضمن دائرة نفوذ القرآن الكريم ليتوصل بوعي إيماني مكثّف، إنه بروحه وعمله وسلوكه في المحضر الرباني وتحت رعايته ورقابته. ومن الطبيعي إن هذا الوعي لا يتم إلّا بالتفاعل الحيوي مع تعاليم القرآن المجيد، ومنهجه التربوي الثابت، عبر قناعة تامة، ليخضع المؤمن بكامل قواه ضمن نفوذ القرآن لينال الشفاء والرحمة دوماً، يقول - جل وعلا - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]. فالقرآن الكريم دوماً «يشفي أمراض القلوب ويزيلها ويعيد إليها حالة الصحة والاستقامة فتتمتع من نعمة السعادة والكرامة»[٥]. وإن هذا الدخول في المجال القرآني يستلزم مواصلة السعي للبقاء في أجوائه، رغم الإغراءات المستمرة

---

(١) البقرة ٢، الآية ٢٣٥.

(٢) الإسراء ١٧، الآية ٢٥.

(٣) ق ٥٠، الآية ١٦.

(٤) الإسراء ١٧، الآية ٨٢.

(٥) الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، المجلد الثالث عشر، ص ١٨٤.

ووسوسة الشيطان على الدوام، يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[1]. ويقول ﷻ في آية أخرى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[2]. وهذه المساعي الحثيثة من قبل المؤمن للبقاء في مدار القرآن الكريم توفر له الحصانة الإلهية من الشيطان الرجيم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

ومن متطلبات هذه البصيرة الواعية التي توصل الإنسان إلى درجة العبودية الحقة لله، تكريس الرؤية الواقعية بل وتعميقها بعواقب الاستجابة لهوى النفس ووسوسة الشيطان وضغوط الدنيا، فمنذ البداية يعرف المؤمن إن الدنيا وما فيها من شهوات زائلة لا تدوم ومن وراء ذلك حسرة كبرى، وهذه القراءة الواعية لنتائج الأعمال تمنحه القدرة على التوقف في وجه الضغوطات والأهواء. وأخيراً تكون النهاية الحتمية بالموت، يقول سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[4]. فالكل يموت ويفارق هذه الحياة ظالماً كان أو مظلوماً، مؤمناً كان أو كافراً منحرفاً.

إن اليقين الفعلي بحتمية الموت وإنه الملتقى الذي لا مفرّ منه قادم في يوم ما وفي لحظة ما على الإنسان مهما كان موقعه وماله

---

(١) الزمر ٣٩، الآية ٢٣.

(٢) الأعراف ٧، الآية ٢٠٠.

(٣) الحجر ١٥، الآية ٤٢.

(٤) العنكبوت ٢٩، الآية ٥٧.

وقوته، هذا اليقين بالموت والحساب يمنح الإنسان قوة دفع هائلة نحو التقوى والاستقامة والصلاح، يقول الرسول الأعظم ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات، فقيل يا رسول الله: فما هادم اللذات؟ قال ﷺ: الموت، فإنّ أكيس المؤمنين أكثرهم ذكراً للموت، وأشدّهم له استعداداً»[١]. فيكون دور المؤمن في تكثيف وعيه بإنزال هذه الحقيقة إلى أعماق ذاته وفكره لتستقر تماماً، «وعندما تكون هذه الحقيقة قد استقرت في النفس، عندها تكون النفس قد أخرجت من حسابها حكاية الحرص على الحياة، إذ كل نفس ذائقة الموت على كل حال، وخرجت من حسابها حكاية متاع الغرور الزائل، عندئذٍ يحدّث الله المؤمنين عما ينتظرهم من بلاء في الأموال والأنفس، وقد استعدت نفوسهم للبلاء ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[٢]... إنها سنة العقائد والدعوات.. لا بد من بلاء ولا بد من أذى في الأموال والأنفس ولا بد من صبر ومقاومة والتزام. إنه الطريق إلى الجنة، وقد حفّت الجنّة بالمكارة بينما حفت النار بالشهوات»[٣].

---

(١) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت) ٢/٤٣٦/ ٢٥٧٢، عن الإمام الرضا عن آبائه. راجع إعانة الطالبين البكري الدمياطي ج٢، ص١٢٢، وقال: «اعلم أنه يتأكد على كل مكلف أن يكثر من ذكر هادم اللذات يعني الموت». صححه ابن حبان والحاكم، وقال: إنه على شرط مسلم. وفي كشاف القناع للبهوتي ج٢، ص٨٩، ذكر أول الحديث وقال: رواه البخاري. وفي سنن الترمذي ج٤، ص٥٥٣، ٣٧- كتاب الزهد، ٤-باب ما جاء في ذكر الموت، عن أبي هريرة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٢) آل عمران ٣، الآية ١٨٦.

(٣) قطب، سيد: التربية الإسلامية في ظلال القرآن - دراسات حركية - ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

هذا وإن المؤمنين حينما يدخلون رحاب الإيمان قولاً واستقامة عملية، لن تتركهم الرحمة الإلهية لوحدهم في مواجهة إغراءات الدنيا ووسوسة الشياطين وضغوطات الهوى. يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[١]. ومهما اشتدت الضغوطات على المؤمن، وتنوعت، فليس أمامه إلّا اللجوء التام إلى القرآن الكريم، فهو الكهف الحصين الذي يحفظ الإنسان من الانزلاق، وفي الوقت ذاته يمنحه الثقة بنفسه للمقاومة، إلى جانب توضيح الطرق المشروعة التي تلبي حاجات الإنسان. يقول الرسول الأكرم ﷺ في وصف القرآن الكريم: «القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، و عصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيانٌ من الفتن»[٢]. ويقول الإمام علي عليه السلام: «عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والريّ الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلق لا يعوج فيُقام ولا يزيغ فيُستعتب»[٣]. إن هذا اللجوء الواعي نحو القرآن الكريم يجعل بناء الإيمان في قلب المؤمن بناءً متيناً، كما وأن المقاومة الميدانية التي ترتكز على هذا البناء وما يختزنه من قوى متناهية هي التي تصقل الإنسان والمجتمع وتقوّي عزائمهم وتصلب عودهم.

---

(١) فصلت ٤١، الآية ٣٠.

(٢) الكليني الرازي، أبو محمد بن يعقوب: أصول الكافي ج ٢ كتاب فضل القرآن، ص ٦٠٠، رقم ٨. عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦.

يقول الشيخ الآصفي: «إن الله تعالى جعل في حياة الإنسان حصانتين تحصنان الإنسان وتعصمانه من السقوط والفساد وتمنحان الإنسان وقاية ومناعة أمام عوامل الفساد والسقوط، وهاتان الحصانتان هما (الذِكر) و(التقوى). و(الذكر) هو وعي حضور الله والانتباه له والارتباط والانشداد الواعي إلى الله... و(التقوى) هي الاحتماء بحدود الله تعالى، وعدم تجاوز دائرة الحدود الإلهية من الحلال والحرام، وليس من ريب أن هذه الدائرة تحمي الإنسان من السقوط، ولا يستطيع الشيطان أن ينفذ إليها. والقرآن يذكّر بالله تعالى فهو كتاب (ذكر)، ويدعو إلى التقوى فهو كتاب تقوى»[١]. يقول تعالى في صفة القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[٢]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[٣]. «فالعلاقة بالله هي المحور، والأساس والحاكم في قلب الإنسان المسلم، والذكر هو بؤرة الاستقطاب الوحيد في القلب يستقطب كلّ اهتمام وحب وتعلق الإنسان المؤمن، وما عدا ذلك من الاهتمام والحب والارتباط في حياة الإنسان المسلم يجب أن يقع في امتداد هذه النقطة أو محكومة لها، ولا يشكل محاور حاكمة في عرض هذا المحور إلى جنبه»[٤]. وبذلك ينصبّ الاهتمام في قلب المؤمن نحو التوصل إلى درجات التقوى المطلوبة لينجح في مقاومة هوى النفس والأعداء معاً، وإنّ هذا السعي نحو درجات التقوى العليا لا يتوقف عملياً وذلك

(١) الآصفي، محمد مهدي: وعي القرآن، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) سورة يس ٣٦، الآية ٦٩.

(٣) سورة البقرة ٢، الآية ٢.

(٤) الآصفي، محمد مهدي: وعي القرآن، ص ٣٧.

لاستمرارية الصراع، «فالصراع مستمر في النفس، والمغالبة جادة مع الهوى والمجاهدة لا بد منها مع الذات ولن يصرع ذلك إلا سيف الإيمان ولن يضعفها إلّا وميض التقوى، ولن يلوي خرطومها إلّا يد الاستقامة والإخلاص، ولن يثني تمردها إلا وعي العقل وبصيرة الإدراك ووهج الموعظة والخوف من الله سبحانه»[١]. يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٢]. وعن أبي ذر الغفاري: قلت يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «أن يجاهد الرجل نفسه وهواه»[٣]. وحينما تكتمل النفس بتمريرها بأفضل الجهاد، وهو جهاد النفس، تكون على أتمّ الاستعداد لمقاومة الأعداء وقتالهم، والتضحية التامة في سبيل الله بالمال والنفس والمواقف، وكما هو معلوم أن الجود والتضحية بالنفس هي أقصى الغايات للمؤمن، حيث ينال وسام الشهادة في سبيل الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[٤]. أي «ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة،

---

(١) الراضي، عبد اللطيف: المنهج الحركي في القرآن الكريم، ص ٢٠٢.

(٢) سورة الجاثية ٤٥، الآية ٢٣.

(٣) السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير ج١ص١٨٧، رقم الحديث ١٢٤٧، عن أبي ذر الغفاري. انظر: سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج٩ص٢١٢، قال: روى البخاري عن أبي ذر ﷺ، وقال في الهامش: لم أجده في مظانه من الصحيح. وقد خرّجه الحافظ أبو نعيم والديلمي من حديث أبي ذر بضمير المخاطب: «أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك. .». المناوي في فيض القدير ٢/ ٤٠/ ١٢٤٧.

(٤) سورة البقرة ٢، الآية ١٥٤.

وكما يعين على هذا القول حواسكم فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به»[١]. فالقتل في سبيل الله هو انتقال من حياة مادية ظاهرية إلى حياة الجنان الحقيقية، أي لم تكن الشهادة نهاية تامة، وإنما هي تحوّل من حياة زائلة إلى حياة دائمة، كلها نعيم وسعادة. يقول سبحانه: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢]. فالمؤمن الفرد حين يستجيب لفرض الجهاد، ويخرج مقاتلاً في سبيل الله، فهو «فائزٌ بإحدى الحسنيين إن غَلب أو غُلب»[٣]. وبهذا ندرك هدف القتال في الإسلام فهو ليس لغرض الاستيلاء على الأرض والنفط والسكان والخيرات أو البحث عن أسواق تجارية للاستثمار، أو لتجربة الأسلحة المتطورة ضد الشعوب الفقيرة، وإنّما القتال في الإسلام في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض لينعم المجتمع البشري بعدل الإسلام وقيمه الإنسانية النبيلة، بعيداً عن أي اعتداءٍ أو استغلال.

---

(١) الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، المجلد الأول، ص ٣٤٧.

(٢) سورة النساء ٤، الآية ٧٤.

(٣) الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، مج ٢، ج٥، ص١٥٩.

# المطلب الثاني

## القرآن الكريم وتربية المجتمع على الجهاد والمقاومة

كما إن المنهج التربوي في القرآن يوجّه الإنسان ضمن حدوده كفرد نحو الجهاد، كذلك يوجه المجتمع المسلم إلى الترابط والتماسك على أسس الإيمان في مواجهة وقتال العدو. والمسألة تكاملية بين الفرد والمجتمع، والتربية التامة هي التي ترعى البُعدَيْن الشخصي والاجتماعي معاً، فتخلق سلوكاً فردياً هادفاً، وفي الوقت ذاته تخلق سلوكاً اجتماعياً مميزاً، له خصوصياته وآثاره، وكلا السلوكين يسعيان نحو تعميق الإيمان والتقوى، وبناء الكيان الإسلامي والحضارة الإسلامية على أسس متينة.

وهنا سنتناول بعض آيات الجهاد والقتال - بما يتناسب مع البحث - ومن ثم سنعالج مسألة مشروعية قتال الأعداء، وتناسبها مع مبدأ عدم الإكراه في العقيدة، ونقف عند هذه الإشكالية، وطريقة بيانها من واقع الإسلام. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[1]. يؤكد المفسرون بأن «حقيقة الاشتراء لا

---

(١) سورة التوبة ٩، الآية ١١١.

تجوز على الله تعالى، لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو عزّ اسمه مالك الأشياء كلها، ولكنه مثل قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾. [هو] انه ذكر لفظ الشراء والقرض تلطفاً لتأكيد الجزاء، ولما كان سبحانه ضمِن الثواب على نفسه عبّر عن ذلك بالاشتراء، وجعل الثواب ثمناً، والطاعات مثمناً على ضربٍ من المجاز، وأخبر أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم يبذلونها في الجهاد في سبيل الله وأموالهم أيضاً ينفقونها ابتغاء مرضات الله. [والجهاد هذا] . . قد يكون بالسيف، وقد يكون باللسان، وربما كان جهاد اللسان أبلغ، لأن سبيل الله دينه والدعاء إلى الدين يكون أولاً باللسان، والسيف تابع له، ولأن إقامة الدليل على صحة المدلول أولى، وإيضاح الحق وبيانه أحرى وذلك لا يكون إلّا باللسان»[١]. وقد قال النبي ﷺ: «يا علي. . لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس. .»[٢]. وكان الصادق عليه السلام يقول: «أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها بغيرها»[٣].

وهذا الموقف الجهادي في حياة المسلمين حيث التضحية والعطاء بالنفس والمال، إنما هو التمحيص الفعلي، يتّم التمييز من

---

(١) الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل: مجمع البيان، المجلد الثالث، ج١١، ص ١٤٧. والآية الكريمة ﴿مَن ذَا الَّذِي. .﴾ من سورة البقرة ٢/ ٢٤٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ج٥، ص٢٨ - باب وصية رسول الله ﷺ -، رقم٤.رواه السكوني عن الإمام الصادق عن علي. وكذلك الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ٣/٥٩٨ عن عبد الرحمن بن عبد الله (أبي رافع) مولى علي رضي الله عنه ضمن وصية النبي ﷺ له عليه السلام حين بعثه إلى اليمن. والمناوي في فيض القدير ٥/ ٣٣١/ ٧٢١٩ ذكر الحديث عن رافع، ورمز لحسنه.

(٣) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج١، ب٤، ص١٤١.

خلاله، والتفريق بين الصادقين في إيمانهم عن سواهم. يقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[1]. بمعنى «أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ أي ولمّا يعلم هل يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم، ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال..»[2]. فخوض المعركة ميدانياً من قبل المؤمنين إنما هو انعكاس لصدق الإيمان، وتربية النفس على الجهاد والمقاومة. فتتلخص أهداف قتال الأعداء في ترجمة الإيمان بالله على الواقع، فيكون الجهاد في سبيل الله لنيل رضاه وأجره العظيم حيث يقول ﷻ: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]. ففي حالة حصول الشهادة للمجاهد يتحوّل إلى الجنّة حيث السعادة الأبدية، وإن انتصر على العدو فسترتفع على يديه راية الحق والعدل. وكلتا النتيجتين تشكلان الطموح الأسمى في حياة المؤمنين، وكلما ازداد المؤمن يقيناً، يناشد الشهادة في سبيل الله ويعتبرها الفوز الأكبر، كما قال مولانا الإمام علي عليه السلام: حينما خرّ شهيداً في محرابه «فزت وربِّ الكعبة»[4]. إنها الكلمة الذهبية في قاموس المجاهدين، بل الوسام الإلهي الخالد.

ومن الأهداف إنهاء حالة التسلط والاستبداد والعدوان في

---

(١) آل عمران ٣، الآية ١٤٢.

(٢) الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل: مجمع البيان، مج ٣، ج٤، ص ٢١٣.

(٣) النساء ٤، الآية ٧٤.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى (من أعلام القرن الثالث الهجري): أنساب الأشراف ص٤٩٩ رقم ٥٤٣، عن الحسن بن بزيع. ومنه أخذ ابن الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ في جواهر المطالب مناقب الإمام علي، ج٢ص٩٦.

ممارسات الطواغيت في الحياة، يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[1]. وقتال أعداء الله والإنسانية يحقق الإنقاذ والخلاص للمستضعفين والمحرومين من سلطة الظالمين المستبدين الذين سلبوا إرادة المظلومين واستغلوهم وقهروهم، وبمعنى آخر لنشر العدل والصلاح بين الناس، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[2]. وحينما ينتصر المؤمنون لعموم المظلومين والمستضعفين في الأرض إنما ينتصرون للإنسانية ولقيم الرسالة، فيكون القتال هذا لصالح المسلمين ونفعهم، لأن رسالة الإسلام هي من أجل الإنسانية.

ومن أهداف الجهاد، حماية العقيدة الحقة وقيمها الأخلاقية من أن تمد إليها يدُ العدوان، وبذلك تستمر الهداية وعمليات الإصلاح وتتوسع الآفاق الاجتماعية وحركة الدعوة إلى الله، حيث تفتح أبواب العلم والنور ونشر المعارف والقيم. فما دام الجهاد مستمراً، يضمن المؤمنون سلامة إيمانهم ودينهم ووطنهم، من اعتداءات الطامعين، وإن الله سبحانه يسدّد خطوات المجاهدين. يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[3]. فالذين جاهدوا في سبيل الله هم «الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا. الذين صبروا على فتنة النفس وعلى

(١) النساء ٤، الآية ٧٦.

(٢) النساء ٤، الآية ٧٥.

(٣) العنكبوت ٢٩، الآية ٦٩.

فتنة الناس.. أولئك لن يتركهم الله وحدهم، ولن يضيع إيمانهم ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم. وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء»[(١)].

وعليه فإن الدخول في أداء فريضة الجهاد - ميدان - يمسك المجتمع الإسلامي في إطار الإيمان والاستقامة والهداية والصلاح. وأيّ خلل في الاستجابة لنداء الجهاد أو الانشغال عنه تحت ذرائع وحجج معينة، مردودة في الإسلام لأنها نابعة عن ضعف الإيمان والإرادة. فالجهاد عزّ المؤمنين وكرامة الصالحين وترجمان الإيمان، فبالجهاد يتم استئصال حالات الضعف والنفاق ومثبّطات المسيرة، لذلك «عاتب سبحانه المؤمنين في التثاقل عن الجهاد [بقوله]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ أي إذا دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم: ﴿ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو ها هنا غزوة تبوك.. ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي تثاقلتم وملتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها..»[(٢)]. نعم إنّه العتاب الإلهي لبعض المؤمنين المتثاقلين، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[(٣)]. فمهما كانت مسوّغات المصالح الذاتية وخوف المجابهة مع

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن ج٦، ص ٤٣١.

(٢) الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل: مجمع البيان مج ٣،ج١٠ ص ٦٢.

(٣) التوبة ٩، الآيتان ٣٨، ٣٩.

الأعداء، كل ذلك يعود إلى ضعف الإيمان، بينما لا يرى المؤمنون إلى الشهادة إلّا من منظار التوفيق الإلهي، وإلى القتل في سبيل الله إلّا التحول إلى الرحمة الإلهية الكبرى ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

هذا الإيمان الواعي لا يتوافر عند جميع المؤمنين في مختلف ظروفهم، لذلك يهدّدهم الله سبحانه بالعذاب إذا لم يستجيبوا لنداءات الجهاد والقتال، وكذلك بالاستبدال بغيرهم - كما في الآية الكريمة السابقة -، «والعذاب الذي يهدّدهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا وعذاب الذّلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمُعادين، وهم مع ذلك كله سيخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدّمون على مذبح الذّل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدّموا لها الفداء. وما من أُمّةٍ تركت الجهاد إلّا ضرب الله عليها الذّل، فدفعت مرغمةً صاغرةً لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء .﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ، يقومون على العقيدة، ويؤدّون ثمن العزّة ويستعلون على أعداء الله»[2].

يقول الإمام علي عليه السلام - في هذا الصدد -: «الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنّتهُ الوثيقة فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذّل

(١) آل عمران ٣، الآية ١٥٧.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن، مج٤، ج١٠، ص٢٢٤.

وشمله البلاء..»[١]، فبالجهاد يتحصّن المؤمنون، ويدخل الناس إلى دين الله، ويتقهقر الظالمون المستبدون وينتعش المظلومون في أفياء العدل والخير.

(١) نهج البلاغة، باب الخطب رقم ٢٧.

# المطلب الثالث

## حثّ القرآن الكريم
## على إعداد القوة القتالية

كان لا بد أن نشير في مقدمة حثّ القرآن الكريم وتحريضه على قتال الأعداء، إلى أن هذا الحثّ ليس حبّاً لإراقة الدماء وإزهاق الأرواح وسبي العوائل وإدخال الرعب في قلوب الناس. وإنما يقوم الإسلام على مبادئ التسامح والعفو والصفح عن المعتدين والإعراض عن الجاهلين، بل حتى في حالة إقامة العدل والقصاص كحلّ إنساني مَرْضي يطالب الله سبحانه صاحب الحق بالعفو والصفح أيضاً. فالإسلام حقاً هو دينُ المحبة والتسامح والإنسانية، بعيد كل البعد عن العنف والشدة والقتل. وإنما شرّع الله القتل والقتال لأسباب إنسانية وأخلاقية وإيمانية. يقول ﷻ في الآيات المباركة التالية:

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾[2]، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ

---

(١) سورة الرعد ١٣، الآية ٢٢.

(٢) الفرقان ٢٥، الآية ٦٣.

(٣) البقرة ٢، الآية ٢٣٧.

وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[١]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[٢]، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾[٣]

وبذلك تسود حالة الألفة والمحبة وانتزاع فتيل القتل في عموم العلائق الاجتماعية والتعايش السلمي بين الناس، بانتشار قيم العفو عند المقدرة والسماح عند القوة

وامتداد لهذه الإشارة يطرح سؤال وهو: هل أن الهدف من قتال الأعداء هو إدخالهم إلى الإسلام؟ وبمعنى آخر هل السيف والبندقية من وسائل نشر الإسلام في الأرض؟ وكيف نوفّق بين آيات القتال مثلاً ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾[٤]، ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[٥]، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾[٦]. وبين الآيات المباركة التي تمنح الإنسان قرار الاختيار، مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[٧]، وقوله سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[٨].

الحقيقة إن المسألة فيها توافق وتكامل في الأداء الرسالي حسب الظروف الموضوعية. فالإنسان المسلم يدعو إلى سبيل ربّه، إلى

---

(١) المائدة ٥، الآية ١٣.
(٢) الشورى ٤٢، الآية ٤٠.
(٣) النحل ١٦، الآية ١٢٦.
(٤) التوبة ٩، الآية ١٤.
(٥) النساء ٤، الآية ٨٩.
(٦) محمد ٤٧، الآية ٤.
(٧) الإنسان ٧٦، الآية ٣.
(٨) البقرة ٢، الآية ٢٥٦.

الإيمان بالرسالة الإسلامية. ومن ثم يترك الخيار بيد المتلقين إن شاؤوا آمنوا بالرسالة أو لم يؤمنوا بها «ففي هذا المبدأ العظيم يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه وتحميله تبعته، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني. إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان. ولقد سبق بها الإسلام كلّ دعوة إلى تحرير الضمير البشري وإلى كفالة حقوق الإنسان.. [فبعد أن] تبين الرشد من الغي، ووضح الطريق لمن يرى، فليكن الإنسان نفسه هو الحكم، وليكن للإنسان نفسه الاختيار»[(١)]. وهذا يعني «أن الشريعة الإلهية غير مبنية على الجبر لا في أصولها ولا في فروعها، وإنمّا مقتضى الحكمة إرسال الرسل وإنزال الكتب... وإن الله تعالى لا يجبر أحداً من خلقه على إيمان ولا طاعة ولكنه يوضّح الحق ويبيّنه، وقد فعل ذلك. فمن آمن بالحق فقد آمن به عن اختيار، ومن اتبع الغيّ فقد اتبعه عن اختيار..»[(٢)].

إذاً فالشريعة الإسلامية بعد تبيان حقيقتها وأهدافها عبر التبليغ والتوضيح يُترك أمر الإيمان بها للإنسان والمجتمع، فيختارون طريق الإيمان أو الكفر والإعراض، وتبقى مسألة الدعوة والجدال بالبرهان والدليل ليثبت أصحاب الحق أحقية دينهم في الواقع. وهذا ليس معناه ترك الناس على انحرافهم ومعاصيهم وعدم المبالاة في مسيرتهم، لا وإنما لا يُكرهون على الإيمان. وفي الوقت ذاته يمنع المسلمون أدوار التخريب في المجتمع من قبل المعاندين والمعارضين، وذلك لأن

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج ٣ ص ١٣ - ١٤.

(٢) الخوئي، الإمام السيد أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢١٣.

مسألة الدخول في الإسلام تعتبر شخصية، أما تخريب مصالح المجتمع فهي مسألة عامة تهم المسلمين بل الناس جميعاً، فلا بدّ من الوقوف أمام أعوان الشر والانحراف في حالة عدوانهم على مصالح العباد. كركّاب السفينة في البحر، لكل إنسان اختياره في دينه وعقيدته أما لو تجاوز أحد المعارضين حدوده الشخصية وحاول خرق السفينة لإغراقها، هنا لا بد من الوقوف أمامه ومحاسبته ومنعه عن الجريمة العامة. وهذا يدخل ضمن الجهاد الدفعي الذي يشمل أساليب إزالة العوائق أمام حَمَلة الدعوة والتبليغ، إلى جانب الجهاد الدعوي الذي يشمل أساليب نشر الإسلام بين الناس. فإذا تجاوز الصراع إلى مستويات الاعتداء وصراع الوجود للحالة الإسلامية ومصالح العباد، ودولة الإيمان والحق - إن وجدت - يُلزمنا الإسلام بقطع دابر الظالمين حماية للبلاد والعباد، وذلك بالجهاد والحرب والقتال. يقول ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[1]، وفي آية كريمة أخرى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[2].

بعد هذه الإشارة المهمة نعود لنتناول بعض آيات القرآن الكريم التي تحثّ المؤمنين على القتال - للدفاع والإعداد والهجوم - على مستوى المقاومة والحرب إلى درجات الشهادة والقتل في سبيل الله، والمؤمن الذي يصل بروحه إلى هذا المستوى من التفاني إنما يطبق فريضة الجهاد، وينفّذ أبرز معالم الطاعة والانقياد لله سبحانه وتعالى،

(١) الحج ٢٢، الآية ٣٩.

(٢) البقرة ٢، الآية ١٩٣.

بصدقٍ وإخلاص يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾[1]. إن: «هذه الآية من آيات الحث على الجهاد.. هذه الآية توجب النفير العام وحشد الأمة كلها إلى الحرب إن أحوج الحال.. وإلى اليوم يقاسي المسلمون الكثير من أهل الكفر والطغيان، فمن الطبيعي - إذن - أن يحثّ الله سبحانه المسلمين على الحذر والتعرف على قوة العدو والاستعداد له بسلاح أمضى وأقوى. ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾، انفروا أمرٌ بالخروج للحرب، وثبات أي فصائل وفرقاً من الجنود المتخصصين للقتال، وجميعاً أي جيشاً وشعباً حسبما تقتضيه الحال، والقصد هو الاستعداد لمجابهة العدو، وحشد جميع الطاقات والقدرات، واستنفاد كل وسيلة لردعه عن البغي والعدوان، حتى لو أدى الدفاع إلى تطوّع الأمة كلها للحرب كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء»[2].

في هذه الأجواء الاستنهاضية العامة وبالرغم من مبدأ التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المؤمنين، إلا أنّ حالات من الضعف والانهزامية قد تنتاب تلك النفوس، فتتعكّر أجواء الجهاد ويثار الغبار حول المسيرة الجهادية. فتأتي تعاليم القرآن لتعالج هذه الأمراض معالجة تربوية جادّة، فتقلع جذورها من عقدة الخوف والقلق أو حب الدنيا والتعلق بها أو ضعف الإيمان بقيم الرسالة.

يقسّم القرآن الكريم القلوب إلى ثلاثة أصناف، ومما لا يخفى إن القلوب هي موطن الإيمان والحبّ والإرادة الصلبة، أما أصنافها

---

(١) سورة النساء ٤، الآية ٧١.

(٢) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف مج ٥، ط ٢، ص ٣٧٤.

الرئيسيّة فهي: القلوب السليمة الصافية، والقلوب المريضة المتقلبة، والقلوب القاسية المتحجرة. يقول جل وعلا في الآيات الكريمة:

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[٢]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٣]، ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[٤]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[٥]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٦]، ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾[٧]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٨]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾[٩].

نعم «إن القلوب القاسية غير القلوب المريضة، فإن القلوب المريضة هي التي تتعطل بصورة جزئية وفي بعض الجوانب، أما القلوب القاسية فهي التي تتعطل بصورة كاملة وتفقد كلّ دورها، فالقلب القاسي كالحجر الصلب لا يأخذ ولا يعطي، ومهمة القلب هي الأخذ والعطاء، أن يأخذ من الله ويعطي للإنسان. يأخذ من الله النور والوعي والقوة والعزم ويعطي ذلك لصاحبه (الإنسان) في حركته إلى الله، أما القلوب القاسية فهي لا تأخذ من لدن الله تعالى

(١) النحل ١٦، الآية ١٠٦.
(٢) الفتح ٤٨، الآية ٤.
(٣) الشعراء ٢٦، الآيتان ٨٨، ٨٩.
(٤) البقرة ٢، الآية ١٠.
(٥) الأعراف ٧، الآية ١٧٩.
(٦) الحج ٢٢، الآية ٤٦.
(٧) النور ٢٤، الآية ٥٠.
(٨) الزمر ٣٩، الآية ٢٢.
(٩) محمد ٤٧، الآية ٢٩.

شيئاً بسبب قسوتها وبالتالي لا تعطي للإنسان شيئاً. إن الأرض الهشّة الرخوة تأخذ من المطر والهواء والشمس، وتمنح ذلك للنواة التي تنميها في جوفها وبذلك تزدهر وتخصب وتخضر وتثمر. أما الأرض الصلبة الصخرية فلا تأخذ شيئاً ولا تعطي، وبذلك تبقى قاحلة جدباء. هكذا القلوب القاسية»[١]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[٢]. فالقلوب الصافية - غير الملوثة بالآثام والمعاصي- تتفاعل مع آيات القرآن الكريم بصدق ووعي، فتنمو إيماناً وإرادة وتسكنها الرحمة والرأفة إلى جانب الوضوح والاطمئنان والصلابة، إنها القلوب العامرة بذكر الله، والطاردة للشيطان والهوى وحب الدنيا والتعمق بالملذات والشهوات، ستبقى طاهرة نقية، ترى الحق بوضوح وتستجيب لنداء الله وتنطلق تحت رايات الجهاد دفاعاً عن الحق والعدل وحقوق الإنسان. وإنها لتزداد إيماناً وصلابة كلما أزداد أعداء الله قسوة وظلماً، يقول الله العظيم في القرآن المجيد: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[٣].

أما القلوب المريضة المتقلبة فهي أقرب إلى الشفاء إن استثمرت فرص التداوي والرحمة، وقد تلحق بالقلوب الميتة التي يستغلها الشيطان فتسقط في الابتلاء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي

---

(١) الآصفي، الشيخ محمد مهدي: وعي القرآن، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) سورة البقرة ٢، الآية ٧٤.

(٣) آل عمران ٣، الآية ١٧٣.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾[١].

إن التربية القرآنية تسعى لزرع الأمل وقلع اليأس حتى من القلوب المريضة والقاسية، وذلك لغرض تقوية إرادتها الإيمانية لتعود إلى رحاب الله، فأبواب التوبة مفتوحة أمام العاصين بشرطها وشروطها، والله غفور رحيم، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢]، بينما القلوب المؤمنة السليمة تزداد إيماناً وصلابة وتسرع إلى طلب المغفرة والتوبة إذا حصل أمرٌ مسيء، لتنطلق نظيفة طاهرة مع أولياء الله في ساحات المواجهة بإقدام وبسالة.

وليس معنى ذلك إن الإنسان المؤمن الذي يمتلك قلباً سليماً قد حُسم أمره، فيسترخي على واقعه باعتباره خارج حلبة الصراع. كلّا لا بد من الاستمرار في الحذر والتزود بالتقوى على طول الطريق وذلك لأنه لا توجد هدنةٌ بين الحقِّ والباطل، بين جيش الرحمن وإغراءات الشيطان. فالنجاح في معركة ليس معناهُ نجاحاً أبدياً في كل المعارك، فلا بد من كثرة ذكر الله والدعاء له باستمرار التوفيق في طاعته، فالمؤمنون «هم يروْن كيف تصطرع مبادئ دعوتهم مع الشهوات في أنفسهم وفي أنفس الناس ومع قوى مداخل الشيطان إلى هذه النفوس ومزالق الطريق ومسارب الظلال»[٣]. وهكذا فطريق الجهاد محفوفةٌ

(١) سورة الحج ٢٢، الآية ٥٣.

(٢) يوسف ١٢، الآية ٨٧.

(٣) قطب، سيد: التربية الإسلامية في ظلال القرآن، ص ٣٢٩.

بالمخاطر والعقبات لذلك يقول سبحانه مخاطباً المؤمنين المجاهدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[١]. تحث هذه الآية الكريمة بالالتزام بأواصر المجتمع الإيماني عبر الصبر على الطاعات والواجبات في مواجهة الأعداء بروح جماعية متماسكة. أيْ «اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل. وإنّما أتى بلفظ صابروا ها هنا لأن فاعل إنما يأتي لما يكون بين اثنين، والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين أيضاً يعني أعدّوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم..»[٢]. ومن هنا جاء التفضيل الإلهي للمجاهدين على القاعدين في ثوابهم ومنزلتهم ومقامهم في الدنيا والآخرة. يقول تعالى: ﴿... وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣]، وذلك لأن المجاهدين بمواقفهم ودمائهم سيوفرون الأمن للمسلمين، ويوجدون حالة التوازن بين القوى في العالم، وبذلك يمنعون وقوع الاعتداءات، فيتحقق السلم في العالم، حيث إن «العلاقة بين الناس في دستور الإسلام علاقة سلم حتى يضطروا إلى الحرب دفاعاً عن أنفسهم أو اتقاءً لهجوم تكون المبادرة فيه ضرباً من الدفاع. فالحرب يومئذٍ واجبة على المسلم وجوباً لا هوادة فيه»[٤].

---

(١) آل عمران ٣، الآية ٢٠٠.

(٢) الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل: مجمع البيان، مج٢، ج٤، ص٣١٣.

(٣) النساء ٤، الآيتان ٩٥ - ٩٦.

(٤) العقاد، عباس محمود: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، من موسوعة العقاد الإسلامية، ج٦، الكتاب الأول، ص٢٣٥.

كما ويحث القرآن الكريم على القتال لغرض اجتثاث جذور الفتنة من المجتمع إذ يقول ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[١]. هذا القتال يحتمل أن يكون دفاعياً أو هجومياً، وكان لا بد من الإشارة هنا «إلى أن وجوب الجهاد من أجل انتشار الإسلام مشروط بإذن الإمام العادل ولا يجوز بحال من غير أمره. أما الجهاد دفاعاً عن الدين والنفس فإنّ وجوبه مطلق غير مقيد بشيء»[٢]، وليس معنى ذلك أن الأمة الإسلامية تعيش حالة الانتظار، مستسلمة لتفوق الأعداء، وإنما يلزم عليها أن تطوّر قوتها، وتعدّ نفسها، لتظهر بمظهر القوة والاستعداد التام لمواجهة المعتدين، وذلك لإدخال الرهبة في قلوبهم كي لا يفكروا باقتحام معاقل المسلمين وبلادهم مستغلين حالة الضعف والتفكك، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٣]، «وفي هذه الآية أمر الله سبحانه المسلمين بإعداد القوة واستكمال العدّة للأعداء، والمراد بالقوة كل ما يتقوى به على العدو رمحاً كان أو صاروخاً.. وهذا المبدأ هو وجود قوة في قبضة أهل الحق والعدل يَرْدَعون بها أهل الظلم والباطل، ويخضعونهم لحكم الله وشريعته التي تدعو الناس جميعاً أن يعيشوا طبقاً لقوانين الحياة وسنتها ولا ينحرف منها أحد، فإذا ما راودته نفسه بالميل والانحراف أرغمته القوة على الرجوع إلى تلك السنن

(١) الأنفال ٨، الآية ٣٩.

(٢) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف مج ١، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٣) الأنفال ٨، الآية ٦٠.

والقوانين. .»[١]. وأرى لزاماً أن نستوضح من خلال هذه الفقرة مسألة مهمة لكي لا نعطي مسوغاً للمنهزمين من مواجهة الأعداء في يومنا هذا. نعم إن شعار المحبة والسلام هو شعار الإسلام ولكن ليس من موقع الهزيمة والضعف بل من موقع القوة والاقتدار، «إن المهزومين. . يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهرباً من الحقيقة التي يقوم عليها الانطلاق الإسلامي في الأرض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد، وردّهم جميعاً إلى عبادة الله وحده، وتحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة غير الله، والخضوع لسلطان غير سلطانه، والتحاكم إلى شرع غير شرعه. . وإذا كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام فهم - اللحظة ومؤقتاً - غير مكلفين بتحقيقها و ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢]. ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها. . ولكن عليهم ألّا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية، وعليهم ألّا يحمّلوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين، وعليهم أن يتقوا الله في مسخ هذا الدين وإصابته بالهُزال بحجة أنّه دين السلم والسلام! إنه دين السلم والسلام فعلاً، ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله وإدخال البشرية كافة في السلم كافّة»[٣].

---

(١) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف مج ٣، ج ١٠، ص ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٢) سورة البقرة ٢/٢٨٦.

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، مج ٤، ج ١٠، ص ١٠٧-١٠٩.

# المبحث الثالث

## الرسول الأكرم ﷺ والتربية الجهادية

## وفيه ثلاثة مطالب:

★ المطلب الأول : جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ★

★ المطلب الثاني : الحث على الجهاد وقتال الكافرين المعتدين ★

★ المطلب الثالث : شواهد عملية من خلال بعض غزوات الرسول ﷺ ★

# المطلب الأول

## جهاد النفس هو الجهاد الأكبر

ننتقل من أجواء التربية الجهادية في القرآن الكريم - المصدر الأول للتشريع الإسلامي - إلى أجواء السنة النبوية الطاهرة - المصدر الثاني للتشريع - وذلك لنستنشق عبقاً من نسائمها عبر مطالب محددّة، بما يتناسب مع فصلنا التمهيدي.

إن جهاد النفس هو الأساس لبناء العملية الجهادية بكل تطوراتها، فهو يشكّل اللبنات الأولى لانطلاقة عمليات الجهاد الميداني ضد أعداء الله، على مستوى الصراع الإعلامي والثقافي، أو التحرك السياسي والحقوقي، أو الكفاح المسلح والقتال، وكل ذلك يتطلب أشكالاً متعددة للإعداد والتفكير المنهجي، بل للتخطيط التربوي والتنفيذي ببذل المال وجهاد الكلمة والقلم والمنبر، حتى الوصول إلى ذروة الجهاد حيث استخدام السلاح ضد العدو إلى مستوى التضحية والشهادة في سبيل الله. يقول المصطفى ﷺ: «فوق كلّ برٍّ برٌّ حتى يُقتل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ»[1].

---

(١) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ج ١٥، ص١٧، أبواب =

إذن البداية هي النفس، ومن ثم تواصل التربية الجهادية أدوارها في بناء الإنسان حتى يبلغ الذروة في العطاء حيث الشهادة والقتل في سبيل الله. ونبينا المصطفى محمد ﷺ أكّد على إصلاح النفوس ومواصلة تربيتها وصقلها إيمانياً، لذلك نلاحظه ﷺ يوصي أصحابه الكرام الذين وصلت بهم التربية إلى مشاركتهم في القتال إلّا أنهم عادوا أحياء، بجهاد النفس، وذلك لأن العطاء في المعركة متوقف نجاحه وأثره ومواصلته على إصلاح النفس. ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ مخاطباً أصحابه: «قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»[١]. وقال أيضاً ﷺ: «أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله تعالى»[٢]. وعن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري قال: قلت: يا رسول الله أي الجهاد أفضل، قال: «أن يجاهد الرجل نفسه وهواه»[٣]. والآن يمكن أن نتساءل عن ماهية النفس أو أصنافها المقصودة في دراستنا بالتربية؟

هنالك تفصيلات للعارفين حول قوى الإنسان المتعددة،

---

= جهاد العدو، باب ١ رقم الحديث ١٩٩٢١. رواه السكوني عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن آبائه.

(١) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، ج ٤، ص٤٣٠، رقم الحديث ١١٢٦٠. رواه البيهقي في كتاب الزهد بسند ضعيف عن جابر. ورواه الخطيب في تاريخه ١٣/ ٤٩٣ عن جابر. راجع فيض القدير للمناوي ٤/٦٦٩/٦١٠٧.

(٢) المناوي، محمد عبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠/١٢٤٧. خرجه أبو نعيم والديلمي من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٣) السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير ١/١٨٧/١٢٤٧. وسبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٩/٢١٢، عن أبي ذر ﷺ. انظر هامش رقم ٣ ص٦١.

فيذكرون القوى الظاهرية وهي الحواس المعروفة، والقوى الباطنية وهي الأجهزة الداخلية والإدراكية، والقوى المحركة وهي الباعثة - شهوية وغضبية - والفاعلة التي يصدر منها التنفيذ، وكذلك القوى العقلية بدرجاتها المتعددة. والذي يهمّنا منها، هي القوى المحركة أي الباعثة للقول والفعل استجابة للشهوات أو لحالات الغضب. فالقوة الشهوية هي التي تسعى لإشباع المنافع الشخصية للإنسان من الأكل والشرب والزواج والمسكن، بغضّ النظر عن مشروعية الوسائل والأسباب[١]. «ثم إنّ لكلّ قوة من هذه القوى كمالاً وحدّ اعتدال وحدّيْ تفريط وإفراط، أما حدّ الاعتدال في القوة الشهوية فهو أن يكون الإنسان عفيفاً عقلاً وشرعاً. ولها حدّ إفراط في الشدة وحدّ تفريط في الخمود. وللقوة الغضبية كمال وحدّ اعتدال في الشجاعة وحدّ تفريط ونقصان في الجبن، وحدّ إفراط ونقصان أيضاً في التهور. .»[٢].

إذن هناك حالة من الصراع والتجاذب متواصلة داخل قوى النفس فشهوة الأكل لا تتوقف حتى لو أثرت على القوة الفكرية للإنسان - مثلا - فالمعركة تبدو حامية الوطيس بين الأجنحة المتصارعة داخل النفس، وإنها بحق المعركة الكبرى وإن خوض هذه المعركة المصيرية يعني خوض الجهاد الأكبر في حياة المؤمنين. «قال الإمام علي عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرّيةً، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا

(١) للتفاصيل راجع، الحيدري، السيد كمال: التربية الروحية، ص ٦٦ - ٦٨. راجع أيضاً رواية كميل بن زياد وهو يسأل الإمام علي عليه السلام عن النفس، فيجيبه عن أربعة أصناف بالتفصيل. الطريحي، العالم الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، ج ٤ ص ١١٦.

(٢) الحيدري، السيد كمال: المرجع ذاته، ص ٦٩ - ٧٠.

الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل يا رسول الله: وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ: جهاد النفس». وقال أيضاً: «إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[١]. وفي حديث آخر أن سيدنا رسول الله ﷺ، رأى بعض أصحابه منصرفاً من بعث كان بعثه وقد انصرف بشعثه وغبار سفره وسلاحه [عليه] يريد منزله، فقال ﷺ: «انصرف من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»! فقال له: أوَ جهاد فوق الجهاد بالسيف؟ قال ﷺ: نعم جهاد المرء نفسه»[٢]. وذلك لأن جهاد الأعداء وقتالهم في الحرب هو محدود زماناً ومكاناً، بينما جهاد النفس معركة داخلية شاملة في كلّ زمان ومكان، وليست فيها هدنة واضحة، ولا توجد فيما بين قواها المتصارعة منطقة حيادية، بل لا تتوقف المعركة إلّا بسيادة أحد الأطراف ومقتل أو أسر الطرف الآخر. يقول الإمام علي عليه السلام: «كم من عقلٍ أسيرٍ تحت هوى أمير»[٣]. ويقول أيضاً عليه السلام: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[٤].

وفي هذا الصدد يقول السيد الحيدري: «وهذه هي الإشارة التكوينية لا الاعتبارية، فإذا صار الهوى أميراً والعقل أسيراً، بدأ الهوى يأمر بما يريده في تحقيق رغباته الشهوية والغضبية، فإذا لم

---

(١) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة [آل البيت]، ج ١٥، أبواب جهاد النفس، باب ١ ص ١٦٣، رقم ٢٠٢١٦. عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن علي عليه السلام.

(٢) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل، ج ١١، أبواب جهاد النفس باب ١ ص ١٤٠ رقم ١٢٦٥١. عن الإمام الرضا عن آبائه.

(٣) نهج البلاغة - قصار الحكم رقم ٢١١.

(٤) المصدر ذاته، قصار الحكم رقم ٢١٩.

يستطع الوصول إليها أمر العقل بأن يجد له حيلة وطريقة يصل بها إلى مآربه فيلبي العقل مطالبه وعندها يكون الإنسان أضل من الحيوان ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١]. لأن الحيوان مهما امتلك لا يمتلك قدرة الإنسان على التفكير..»[٢].

والآن ما هي القواعد الأساسية التي نستخلصها من توجيهات رسولنا المصطفى ﷺ في خوض فصول الجهاد الأكبر؟ لأجل بناء النفس على أسس الإيمان والصلاح. إن بناء النفس يقوم على أساس هدم السلبيات وإزالة مخلفات المعاصي من جانب، وإنماء الإيجابيات وغرس القيم النبيلة من جانب آخر، يقول الأمين محمد ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣]، فإن عملية تخليص النفس من الأمراض الفكرية مثل الكفر والشرك والخرافة، وتنقيتها من الأمراض السلوكية كالحقد والحسد وسوء الظن والتكبر والظلم بالإضافة إلى عملية زرع القناعة بمبادئ وأخلاق الإسلام تستلزم رعاية تربوية دائمة، وهما عمليتان متلازمتان ومتداخلتان - أحياناً - لطبيعة قوى النفس المتصارعة، فإنّ وعي جذور هذا الصراع المصيري وخوضه بنجاح يدفع الإنسان لاتباع المشروع التربوي التطهيري الذي رسمته لنا السنة النبوية الشريفة.

---

(١) الفرقان ٢٥، الآية ٤٤.

(٢) الحيدري، السيد كمال: التربية الروحية، ص ٨٤ - ٨٥.

(٣) الهيثمي، الحافظ نور الدين: مجمع الزوائد ١٨/٩/(باب في حسن خلقه وحياته وحسن معاشرته)، عن أبي هريرة بلفظ (صالح الأخلاق) قال: ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقد رواه البزّار بلفظ (مكارم) رجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوداني، وهو ثقة.

في البداية يحثنا الرسول الأكرم ﷺ على التذكّر والتفكير، وذلك ليتنبه الإنسان من حالات السهو والغفلة والنسيان، وليتوب إلى الله سبحانه في حالة ارتكاب خطأ أو معصية مهما صغرت، ويحاسب نفسه على ما صدر عنها باستمرار لغرض التقويم، والاستزادة من العمل الصالح. يقول نبينا الأمين ﷺ: «يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب، فإنّه أهون لحسابك غداً، وزِن نفسك قبل أن توزن..»[١]، فدوام المحاسبة عنوان استمرار الإصلاح. ويقول ﷺ أيضا: «تفكّر ساعة خير من قيام ليلة»[٢]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»[٣]، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «أعطوا أعينكم حظّها من العبادة، قالوا: وما حظّها من العبادة يا رسول الله؟ قال: النظر في المصحف والتفكّر فيه والاعتبار عند عجائبه»[٤]، وورد أيضا قوله ﷺ: «إن التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، يحسن

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي ص٥٣٤ رقم ١١٦٢، عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة رضي الله عنه والحديث من جملة وصايا النبي ﷺ له.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ٢/ ٥٤ باب التفكر رقم ٢، رواه حسن الصيقل عن الإمام الصادق عليه السلام شارحاً الحديث النبوي الشريف.

(٣) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ٦/ ٣٤٦٥/ ١٦٢٢١. عن الإمام الصادق. وكذلك العجلوني، اسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ١/ ٣٠٠/ ١٠٠٤ (تفكر ساعة خير من عبادة سنة - وفي لفظ ستين سنة). ذكره في الجامع الصغير بلفظ (فكرة ساعة..) عن ابن عباس وأبي الدرداء.

(٤) المولى الكاشاني، المحقق محمد بن المرتضى: المحجة البيضاء، ج ٨، ص ١٩٥. والجامع الصغير للسيوطي ١/ ١٧٥/ ١١٦١ عن أبي سعيد الخدري.

التخلص، ويقلّ التربّص»[١]، وعن الإمام جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام إنه جاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله اكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه»[٢]. وورد أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»[٣]. إن هذا التفكير في آيات الله وعواقب الأمور يُزوّد الإنسان قناعة بأنّ عمله وسلوكه في هذه الدنيا بمثابة ثمن آخرته، فالدنيا مزرعة الآخرة، يقول الإمام علي عليه السلام: «بالدنيا تحرز الآخرة»[٤]. وعنه أيضا: «جهاد النفس مهر الجنة»[٥].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ج٢، كتاب فضل القرآن ص٥٩٨-٥٩٩. رواه السكوني عن الإمام الصادق عن آبائه. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصف القرآن الكريم بأنه (شافع مشفع ظاهره أنيق وباطنه عميق..) قام الصحابي المقداد بن الأسود قائلاً يا رسول الله: وما دار الهدنة؟ فأجابه صلى الله عليه وآله، وهذا المقطع من الحديث الشريف ضمن جوابه صلى الله عليه وآله له.

(٢) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة ج ١٥ أبواب جهاد النفس، باب ٢٣، ص ٢٥٤، رقم ٢٠٤٣٣. عن الإمام الصادق عن أبيه عن علي ضمن وصية صلى الله عليه وآله له.

(٣) المصدر ذاته، الحديث رقم ٢٠٤٣٩. راجع الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ١٥٤ عن واقد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله باختلاف يسير في الألفاظ.

(٤) نهج البلاغة، باب الخطب، رقم ١٥٦.

(٥) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، ١/ ٤٥٣/ ٢٧٢٧، عن غرر الحكم للآمدي رقم ٤٧٥٥٠.

وللمثال من التوجيه العملي في سيرة الرسول الأعظم ﷺ، فقد ورد «أنّ فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه.. فقال ﷺ: ادْنُ مني، فدنا منه قريباً فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أتحبه لأختك. قال: لا والله..

فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1]. فقليل من التفكير أو التنبيه يدعو إلى البرّ والاستقامة، ويخلق العزم والإرادة، وهما الجوهر الإنساني المميّز لموقعه في الحياة. فبالعزم والإرادة تُبنى النفس في طريق الهدى.

وكذلك إطاعة الله وعبادته والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، والتفكير بالدار الآخرة، والامتناع عن المنكرات والمعاصي وأداء السلوك الحسن، واتعاب النفس وترويضها على العبادة والجهاد، كل ذلك يفتح للإنسان طريق النمو في رحاب الإيمان. بالإضافة إلى إقحام النفس في الحياة الاجتماعية لتقديم يد العون والمنفعة للناس، والتعاون والتودّد في الله، وبذلك تتهذب الحواس والجوارح ضمن الضوابط الشرعية. فإذن لا بد من روادع وحواجز تزجر النفس بالترهيب والترغيب والرياضة الروحية، لتبقى في ساحة الجهاد

(١) ابن حنبل، أحمد: المسند ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٧. عن أبي أمامه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (باب أدب العالم) ١/ ١٢٩: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

الأكبر مشغولة بالدفاع عن قيمها ودينها. يقول الرسول الأكرم محمد ﷺ: «ثلاث أخافهن بعدي على أمتي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلّات الفتن، وشهوة البطن والفرج»[١].

بالفعل إنها المقاومة في ساحات الجهاد الأكبر، تشمل العلم واليقين والعبادة والسلوك، ابتداءً من النوايا الصالحة وانتهاءً ببلوغ الأهداف التربوية السامية. مروراً بالتمرين والمحاسبة والتفكير وخلق العزم وتقوية الإرادة. وبوّابة هذه المسيرة التطهيرية نحو تعميق الإيمان في قلوبنا أنْ نعلم بأنّ خواطرنا ونوايانا واعتقاداتنا وجميع أعمالنا وتصرفاتنا في هذه الدنيا مرصودة بالمنظار الإلهي، إننا في محضر الساحة الإلهية وفي موقع الرصد والتسجيل لكل ما نقوله ونفعله وسنحاسب عليه غداً يوم الحساب. يقول سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[٢]. وإذا كنا نجيد لعبة إخفاء سلوكنا أمام الملأ فستظهر غداً يوم الحساب ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾[٣]، «والمعنى أن الله سبحانه يبعث الإنسان في يوم لا ستر فيه ولا خفاء، ولا جدال ولا حجاج، ولا حول ولا قوة لأحد من نفسه أو من غيره إلا قوة الإيمان وصالح الأعمال»[٤]. والخلاصة إن الخيار الأنجع للإنسان المؤمن أن تكون عقيدته وعبادته وسلوكياته في خط

(١) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ج ١٥، أبواب جهاد النفس، ص٢٤٩-٢٥٠، ٢٢-باب وجوب العفة، رقم الحديث ٢٠٤١٧. ورواه السكوني عن الإمام الصادق عن آبائه.

(٢) سورة ق ٥٠، الآية ١٨.

(٣) الطارق ٨٦، الآيتان ٩ - ١٠.

(٤) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف مج ٧، ج ٣٠ ص ٥٥٠.

التقوى والنمو والتقّرب إلى الله سبحانه وتعالى للتخلص من حالات التلّون والتقلّب. فإن العزم على الإقلاع عن المعاصي وبواطن الإثم هو سبيل الخلاص من مرض الازدواجية في الشخصية. وإلا فلا يجني الإنسان سوى النزر القليل من حطام هذه الدنيا الفانية. إنّ تجسيد هذه الحقيقة الإيمانية أمام الإنسان باستمرار، يسلبه التجّري على فعل المنكرات مهما صغرت في محضر الرقابة الإلهية.

هذه الحالة التربوية المتطورة يصل إليها الإنسان - بالإضافة إلى ما تقدم - عن طريق الإمعان والتعمق في الطاعة والعبادة، فينقطع إلى ربه بإخلاص. وتنعكس تلك العبادات والطاعات بأثرها السوي في السلوك وعموم التصرفات. يقول سبحانه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1]. «روى أنس بن مالك الجهني عن النبي ﷺ قال: انه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزددْ من الله إلّا بعداً»، وروي عن ابن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ إنه قال: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة»، وطاعة الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر، ومعنى ذلك إن الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي، فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها.. وروى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر، فبقدر ما منعته قبلت منه..»[2]. وهكذا في فريضة الصيام والفرائض

---

(١) العنكبوت ٢٩، الآية ٤٥.

(٢) الطبرسي، الشيخ أبو الفضل: مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٠ ص ٣٦٥. راجع المعجم الكبير للطبراني ٤٦/١١ عن ابن عباس.

الأخرى. إن هذه المسألة ستفتح أبواب المحاسبة الذاتية لتعميق الإيمان عبر وعي العبادات وآثارها في الحياة، ومحاسبة النفس والتشديد عليها ربما بفرائض طوعية مجهدة لها، كالصيام مثلاً، لغرض حملها على الطاعة والاستقامة، وبالفعل «يتحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها. فإنّ كلّ نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها، يمكن أن تشتري بها كنزاً من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد»[١]، فالعمر فرصة العمل، ينقص يوماً بعد يوم، والتغذية التربوية من المفروض أن تأتي بشكلها الطبيعي الذي يضمن النمو تدريجياً لتؤتى الثمار ناضجة. أمّا من الناحية العملية فيضمن الإسلام استيعاب الإنسان ومتطلباته بالطرق المشروعة والتوجيه القويم، حيث يتعامل مع النفس تعاملاً معتدلاً، فالقوة الشهوية والغضبية نلاحظ معالجتها في القرآن الكريم والسنة المطهرة بالاتجاه الطبيعي السليم. فمتطلبات القوة الشهوية تعالجها الشريعة عبر إشباعها بالطرق المشروعة بالأكل والشرب والمسكن والزواج يقول الرسول الأكرم ﷺ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٢]. ولدينا أحاديث شريفة كثيرة في هذا الباب،

---

(١) المولى الكاشاني، المحقق محمد بن المرتضى: المحجة البيضاء ج ٨ كتاب المراقبة والمحاسبة ص ١٥١.

(٢) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل ج١٤، كتاب النكاح، أبواب مقدمات النكاح، باب استحبابه ص١٥٢ رقم ١٦٣٤٤-١٥- أخرجه الصدوق في الهداية ص١٥٣ رقم ١٦٣٤٧-١٧- ويذكر السيد كاظم اليزدي في العروة الوثقى - كتاب النكاح- ٢/ ٧٩٦ ويقول روي عند الفريقين. راجع فتح الباري لابن حجر ٩/ ٩١ كتاب النكاح عن عائشة.

فمثلاً قال ﷺ: «ما بني في الإسلام بناءٌ أحب إلى الله ﷻ، وأعزّ من التزويج»[١]. «النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام، فإن الصيام له وجاء»[٢].

أما القوة الغضبية فيتم توجيهها ليكون الغضب لله ﷻ ولقيم الإسلام. لا للتشفي النفسي والثأر الاجتماعي. وفي حالات الغضب بين المسلمين تطالبنا السنة النبوية بإخماد نيرانها مهما كانت مستعرة، فهي سريعة الإخماد حين توجيهها، فقد ورد عن النبي المصطفى ﷺ: «إن الغضب جمرة تتوقد في القلب، ألم تَر إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإن وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليقم، فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد وليغتسل فإنّ النار لا يطفيها إلا الماء»[٣].

---

(١) المصدر ذاته، رقم الحديث ١٦٣٤٥، أخرجه الصدوق في الهداية، ص٦٧، حديث ١١٨.

(٢) العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ٢/ ٣٢٤/ ٢٨٣٣. وانظر فتح القدير للشوكاني ٢/ ٧٠ قريب منه. رواه ابن ماجه عن عائشة ويشهد له ما رواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ «من أحب فطرتي فليستن بسنتي وإن من سنتي النكاح». ومعنى «الوِجاء بالكسر ممدود: رضّ عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيهاً بالخصاء، وقيل: هو رضّ الخصيتين، شبّه الصوم به لأنه يكسر الشهوة كالوجاء. الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، ج١، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٣) المولى الكاشاني، المحقق محمد بن المرتضى: المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٣٠٧. كتاب آفة الغضب والحقد والحسد، (باب علاج الغضب بعد هيجانه) أخرجه الترمذي في حديث طويل من خطبة الرسول ﷺ، عن الصحابي أبي سعيد الخدري. راجع الجامع الصغير للسيوطي باختلاف يسير في الألفاظ ١/ ٢١٦/ =

وهكذا تأتي توجيهات سيدنا الرسول محمد ﷺ عبر أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة لغرض بناء النفس على أسس الإيمان عبر جهادها الطويل إنه بالفعل الجهاد الأكبر.

= ١٦١٠. عن أبي سعيد وقال المناوي في فيض القدير ٢/ ٢٢٧/ ١٦١٠: «وفيه علي بن زيد بن جدعان أورده الذهبي في الضعفاء».

# المطلب الثاني

## الحث على الجهاد،
## وقتال الكافرين المعتدين

هنالك أحاديث نبوية كثيرة تحثّ المسلمين على جهاد الأعداء ومقاومة المعتدين وقتال الكافرين، نذكر منها، أقواله ﷺ: «الخير كلّه في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلّا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار» «.. فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلّا وفقراً في معيشته ومحْقاً في دينه، إن الله أغنى أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها». وقال ﷺ: «أخبرني جبرئيل بأمرٍ قُرّت به عيني، وفرح به قلبي قال: يا محمد من غزا من أمتك في سبيل الله فأصابه قطرة من السماء أو صداع كتب الله له شهادةً يوم القيامة»، «وما منْ قطرة أحبّ إلى الله ﷻ من قطرة دم في سبيل الله»، «أُغزوا تورثوا أبناءكم مجداً»، «للشهيد سبع خصال من الله: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يكسى من كسوة الجنة، والرابعة تبتدره خَزَنةُ الجنة بكلّ ريح طيبة أيّهم يأخذه معه، والخامسة أن يرى منزله، والسادسة يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة أن

ينظر إلى وجه الله وإنها لراحة لكلّ نبي وشهيد»، «فوق كل ذي برٍّ بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل فليس فوقه بر»، «. . إن سياحة أمتي الغزو والجهاد»[١].

وقد أتى رجل رسول الله ﷺ: فقال: إني راغب نشيط في الجهاد، قال: «فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن متّ فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجتَ من الذنوب»[٢].

وقال ﷺ في بيان منزلتهم: «اتقوا أذى المجاهدين في سبيل الله فإن الله يغضب لهم كما يغضب للرسل، ويستجيب لهم كما يستجيب لهم»[٣]، «إن الله ﷻ يباهي بالمتقلّد سيفه في سبيل الله ملائكته وهم يصلّون عليه ما دام متقلده»، «صلاة الرجل متقلداً بسيفه تفضُل عن صلاته غير متقلّد بسبعمائة ضعف»[٤]. وأحاديث شريفة غيرها، ولكن

---

(١) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة [آل البيت]، ج ١٥، أبواب جهاد العدو، باب ١، الأحاديث: ١٩٩٠١، ١٩٩٠٢، ١٩٩٠٤، ١٩٩١١، ١٩٩١٦، ١٩٩٢٠، ١٩٩٢١، ١٩٩٢٢، على التوالي. وهي مروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

(٢) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل ج ١١، أبواب جهاد النفس، باب ١، رقم ١٢٢٨٧ ص ١٠. أورده محمد بن مسعود العياشي في تفسيره عن جابر ابن عبد الله عن الإمام أبي جعفر الباقر، راجع تفسير العياشي لقوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا﴾ آل عمران، ٣/١٦٩، ج١ ص٢٦٠ حديث ١٥٢. وفي وسائل الشيعة (آل البيت) ١٥/٢٠/١٩٩٢٩، عن الإمام الصادق رواه جابر بن عبد الله، وأضاف في نهاية الحديث قوله ﷺ، (كما ولدت).

(٣) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، ج ٤، رقم الحديث ١٠٦٦٤. عن الدارقطني في الأفراد، والديلمي في مسند الفردوس عن علي.

(٤) المصدر ذاته، ج٤، ص٣٣٨، رقم الحديث ١٠٧٨٧ و١٠٧٩١. والحديثان الشريفان =

سنقف قليلاً عند الحديث الشريف التالي وما يشابهه. قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغزُ، ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبة من نفاق»(١)، «من جهّز غازياً بسلك أو إبرة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر»(٢)، «من جبُن من الجهاد فليجهّز بالمال رجلاً يجاهد في سبيل الله، والمجاهد في سبيل الله إن جُهّز بمال غيره فله فضل الجهاد، ولمن جهّزه فضل النفقة في سبيل الله، وكلاهما فضْل، والجود بالنفس أفضل في سبيل الله من الجود بالمال»(٣). وقال ﷺ: مخاطباً سبطه الحسين عليه السلام: «.. وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلّا بالشهادة»(٤).

---

= في تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧/ ٣١٧، عن تاريخ بغداد للخطيب ٨/ ٣٨٦ عن علي. وفي الموضوعات لابن الجوزي، باب التقلد بالسيف ص٢٢٦، عن ضرار بن عمرو عن مجاهد عن علي، وذكر الحديث الأول وقال: هذا حديث لا يصح، قال يحيى: ضرار بن عمرو ليس بشيء ولا يكتب حديثه.

(١) النيسابوري، الإمام مسلم: صحيح مسلم، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٥١٧. عن أبي هريرة: وفي المكتبة الشاملة، صحيح مسلم ١٠/ ١٨-١٩/ ٣٥٣٣، باب ذم من مات ولم يغزُ، عن أبي هريرة. وفي شرح النووي عن مسلم قال عبد الله بن المبارك.. إن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. ج٦ ص٣٩١ رقم الحديث ٣٥٣٣.

(٢) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل ١١/ ٢٤/ ١٢٣٣٣، ٣- باب أنه يستحب أن يخلف الغازي بخير، وتبليغ رسالته ويحرم أذاه وغيبته. وروى ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب من جهّز غازياً ٢/ ٩٢٢/ ٢٧٥٩، بلفظ: (من جهّز غازياً في سبيل الله كان له مثل أجره. من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئاً). عن زيد بن خالد الجهني.

(٣) المصدر ذاته، ١١/ ٢٤/ ١٢٣٣٣٥، وقريب منه ص٢٨ رقم ١٢٣٥١، عن الإمام الصادق عن آبائه عن علي.

(٤) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج٤٤، ب٣٧، ص٣٢٨. رواه محمد بن أبي =

إن هذه الأحاديث الشريفة ليست فقط تحثّ على الجهاد بالنفس والمال، بل تحث المؤمنين على الانشغال بفريضة الجهاد والتفكير في أساليب العمل الجهادي، ولو على مستوى الحديث مع النفس وذلك لتطهير القلب من الحالة الازدواجية والنفاقية، وبالفعل يزداد إيمانه يقيناً وحاله نقاوةً وقلبه طهراً ونفسه نوراً وهدى، لأنه يباشر التمحيص الفعلي ويثْبت عند التضحية. أما في زمن عدم توافر ساحات الجهاد، والمواجهة مع الأعداء وسيادة حالة الاسترخاء في الأمة يطالبنا رسولنا الكريم بالحديث النفسي والإعداد الذاتي للجهاد والغزو والقتال. وبمعنى آخر إن هذه الفريضة لا تتعطّل في مختلف الظروف ولو على مستوى التفكير والإعداد، ليضمن المؤمنون تقربهم إلى الله سبحانه، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله والجهادُ في سبيله فإنّه ذروةُ الإسلام»[1]. فالجهاد من أفضل السبل إلى رضا الله عز وجل، لأنه تعبير عن صدقية الإيمان، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾[2]، فبالجهاد يعالج المسلمون ضعفهم وانهزاميتهم، وبالجهاد يتحقق عزّهم. إن الإسلام ليس مجرد طقوس فردية محصورة الأهداف في تزكية الفرد وإنما هو نظام الأمة ومنهج للإنسانية، يقودها إلى الخلاص من طغيان الجبابرة إلى عزّ الطاعة،

---

= طالب الموسوي عن الإمام الحسين عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله أثناء خروجه من المدينة المنورة في مشروع نهضته الخالدة.

(١) نهج البلاغة، باب الخطب، رقم ١١٠. في أركان الدين -بداية الخطبة -.

(٢) سورة المائدة ٥، الآية ٣٥.

حيث إن الخروج للجهاد والتفكير به على الأقل يكشف لنا المعنى الحركي للإيمان والتقوى. لأن التقوى التي تعني الكف عن محارم الله ﷻ إنها تعني أيضاً العمل بما أمر الله في الجهاد والمقاومة والتصدي للعدوان. «فعلينا الحذر من النظرة السلبية إلى التقوى، والزعم بأن أشد الناس تقوى هم أكثرهم جموداً وسكوناً وانطواءً، كلّا إنما التقوى الالتزام بكل ما جاء به الدين من أمر ونهي من صلاة وصيام وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر»[١]. فقد قال رسول الله ﷺ: «خير الناس رجل حَبَس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مطافّه»[٢].

إذن يريدنا النبي الأعظم ﷺ أن نلبي نداء الجهاد ولو على مستوى التفكير به والتخطيط له، والملاحظ على حديث الغزو وأمثاله، أنه يتناول الإنسان المؤمن على انفراد وذلك لأن التعبئة الروحية للمؤمن هي أساس الجهاد ليتحمل الإنسان آلام المسيرة ويصبر على الأذى في سبيل الله، وهو يعيش آلام الأمة وهمومها وطموحاتها. وهذا ما نلاحظه في سيرة الرسول الأكرم ﷺ طيلة أيام مكة المكرمة قبل الهجرة، فكان ﷺ حينما يمرّ بأصحابه الكرام وهم يعذّبون تحت أيدي المشركين والسلطة الجاهلية، ينظر إليهم بعطف ورحمة ويقول: «صبراً آلَ ياسر فإنّ موعدكم الجنة»[٣]. «أبشروا آل عمار

---

(١) المدرسي، السيد محمد تقي: الفقه الإسلامي، أحكام العبادات، ص ٥٠٠.

(٢) النوري الطبرسي، الشيخ حسين: مستدرك الوسائل، ج ١١ ص ١٧ رقم ١٢٣١٠. وشرح الأخبار للقاضي المغربي المتوفى سنة ٣٦٣هـ. باب (أحاديث في الجهاد - فضل الجهاد والمجاهدين) رقم ٢٩٦.

(٣) ابن الأثير، العلّامة عزّ الدين: الكامل في التاريخ، ٢/ ٦٧. وأسد الغابة ٤/ ٤٤. =

فإن موعدكم الجنة»[١].

إن تلك الجرعات من الصبر والتعبئة الروحية والجهادية هي التي خلقت قوافل المجاهدين والشهداء فيما بعد، سواء في عصر الرسول ﷺ أو ما بعده، وإلى عصرنا الحالي حيث يتبين للعالم أن سلاح الجهاد والشهادة بيد المسلمين هو الذي يرعب الأعداء ويرهبهم، بالرغم من عدم التكافؤ بين القوتين المتصارعتين على المستوى المادي. وهنا كان لا بد لي من الإشارة إلى أن الأعداء استغلوا بعض تلك الأحاديث النبوية الشريفة في الحث على القتال ليصوّروا الإسلام بأنه دين السيف والقتال، والنبي ﷺ رجل العنف والدماء، يقول العلامة السيد جعفر العاملي «لقد اهتم المبشرون الحاقدون على الإسلام بإظهار الإسلام أنه دين السيف والقهر والتسلط. حتى لقد وضعوا في بعض كتبهم (كاريكاتوراً) يمثل النبي ﷺ حاملاً القرآن في يد والسيف في يد، وأشخاصاً يقفون فوق رأسه، وكتبوا عبارة تقول «آمنوا بالقرآن وإلّا ضربت رقابكم بالسيف»[٢]. إن الرد على هذه الشبهة يتطلب حديثاً طويلاً ولكن باختصار شديد نقول: إن تلك الأحاديث الشريفة لا بدّ من دراستها

---

= راجع النوري، محيي الدين بن شرف ج١، ص٢٨٥ عن عمار بن ياسر حيث كان الكفار يعذبونهم وكان يمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

(١) ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٢٤٩، عن ابن الزبير وعن يوسف المكي، وكذلك إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ١/ ١٢٢ عن جابر، راجع: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٨٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٣٤ ومستدرك الحاكم ٣/ ٣٨٨.

(٢) العاملي، السيد جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ج ٤ ص ٣١٥.

موضوعياً لمعرفة أسبابها وظروفها ومعطياتها وتطبيقاتها فهي لا تخرج من إطار الصالح الإنساني، وحينما يُقتل المفسدون في الأرض إنما هو لصالح إنقاذ البشرية من فسادهم وانحرافهم، بالضبط كما يقطع الطبيب الجزء الفاسد من جسم الإنسان ليحمي بقية الجسم من انتشار الفساد.

ولو تصفحنا وصايا الرسول ﷺ وإرشاداته لأصحابه قبل الغزوات وبعث السرايا، لاكتشفنا المعاني الإنسانية فيها بوضوح فمثلاً قوله ﷺ لما أراد أن يبعث سرية من المسلمين: «سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، ولا تغلّوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار، حتى يسمع كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه»[1]. وكان الهدف من تلك السرايا غالباً للاستطلاع والمراقبة لحركات الأعداء. وهي - أيضاً - بمثابة المناورة العسكرية لجيش الإسلام حيث كانت تظهر العزّة للمؤمنين، وكان «المقصود من تلك السرايا هو تعريف قريش بأنها لم تعد تملك حرية الحركة في المنطقة ولا هي سيدة الموقف، ولا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام إلّا بالعودة إلى منطق التعقل والرويّة والحكمة والتخلي عن منطق الظلم والغطرسة والتجبّر وإنّ عليها مراجعة حساباتها.. وإلّا

(١) الكليني، محمد بن يعقوب: الفروع من الكافي، ج٥، باب وصية رسول الله ﷺ، ص٢٧، رقم ١. رواه أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق. والمجلسي، الشيخ محمد باقر: بحار الأنوار، ج ١٩، ص ١٧٧ رقم ٢١.

فلتأذن بحرب من الله ورسوله لا تنتهي إلا بتدمير عنفوانها وتحطيم كبريائها وهكذا كان»[١]. وبالفعل كانت محاولات للإنذار والتخويف بعيدة عن السطو والمصادرة حيث كان بإمكانهم إجراء القصاص عليهم، وهكذا كانت سيرته ﷺ حتى مع أعدائه.

فالجهاد والقتال بقسميه الدفاعي والتحرري هو كفاح ضد الظلم والاستغلال، نعم «إن واجب المسلمين لا يقتصر على الدفاع عن أرواحهم وأموالهم ووطنهم وكرامتهم واستقلالهم ودينهم بل هم مكلفون أيضاً بالدفاع عن المظلومين في بقية البلدان الذين يستنجدون بهم لعدم قدرتهم لوحدهم على رفع الظلم وصدّ المعتدين»[٢]. وهذان نوعان من الجهاد الخارجي وهناك الجهاد والقتال الداخلي ضد أهل البغي من المسلمين «الذي هو كفاح ضد الظلم أيضاً.. أهل البغي هم الذين يبغون تحقيق رغباتهم ومطاليبهم أو الحفاظ عليها بصورة عدوانية وبطرق غير شرعية وهؤلاء هم فئة من المسلمين سواء كانوا من الحكام أو المحكومين، عندما يتعذر عليهم الوصول إلى ما يبغون بالطرق المشروعة يلجأون إلى تنظيم عدوان مسلح ضد المسلمين، وبذلك ينحرفون عن تعاليم القرآن وسنة النبي الكريم..»[٣].

---

(١) العاملي، السيد جعفر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ج ٤ ص ٣٤٦.

(٢) الفارسي، جلال الدين: الجهاد أعلى مراحل الكفاح الوطني - مترجم عن الفارسية- ص ٢١ - ٢٢.

(٣) المرجع ذاته ص ٢٢ - ٢٣.

# المطلب الثالث

## شواهد عملية من غزوات الرسول ﷺ

الإسلام هو دين المحبة والسلام والرحمة، يدعو إلى السلم ونبذ العنف بكل ما أوتي المسلمون من قوة وصبر، وإنما مشروعية القتال تأتي في الضرورات. كما يقاتل الإنسان الحيوانات المفترسة التي تهدد أمنه وحياته وخيرات بلاده. وبالفعل «إن المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الدعوة إلا مدافعين أو دافعين لمن يصدّون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية، كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم.. وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث بعوثه في طلب صاحب الدعوة الإسلامية حيّاً أو ميّتا لأنه خاطبه داعياً إلى الإسلام»[1]. و«أما المشركون الذين لم يصدّوا المسلمين عن دينهم ولم يبادلوهم بالعدوان فلا حرج على المسلم أن يبرّ بهم ويعدل في معاملتهم وأن يعاهدهم ويوفي لهم عهدهم إلى مدته، وإلى أن ينقضوه مخالفين بما عاهدوا عليه إن لم يكن له أجل محدود»[2].

---

(١) العقاد، عباس محمود: ما يقال عن الإسلام، من موسوعة العقاد الإسلامية، ج٦، الكتاب الثاني، ص١٠٩.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٣٦، القسم الأول.

ومن هنا يقسم فقهاء المسلمين جهاد الكفار إلى قسمين: «إما ابتدائي، وهو أن يجيّش المسلمون الجيوش وفق شروط خاصة لمحاربة الكفار، وإما دفاعي، وهو أن يحاربوا المعتدين دفاعاً عن المسلمين وعن الوطن الإسلامي»[١]. يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «اتفقت كلمة فقهاء المسلمين على أن الجهاد بالمعنى المصطلح عليه فقهياً لا يكون إلّا ضد الكفّار الذين لا تربطهم مع المسلمين علاقات تعاهد أو هدنة، والذين لا يسكنون أو يعيشون بين المسلمين بمقتضى علاقات الذمة، أو ما يقوم مقامها، وهؤلاء الكفار على قسمين: أحدهما، أهل الكتاب ومن في حكمهم.. وثانيهما، المشركون..»[٢]. ويقول المحقق الحلي: «.. وكل من يجب جهاده، فالواجب على المسلمين النفور إليهم، إما لكفّهم [عن الفساد في الأرض كالبغاة من المسلمين، وإما لصدّهم من الهجوم على بلاد المسلمين]، وإما لنقلهم إلى الإسلام [فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من الحقوق والواجبات]، فإن بدأوا فالواجب محاربتهم..»[٣].

إن الجهاد الابتدائي الذي يعني محاربة الكافرين لصدّهم عن العدوان، ولدعوتهم إلى الإسلام، وحملهم على اعتناقه، يخضع

---

(١) الشيرازي، السيد صادق الحسيني: المسائل الإسلامية، ص٤٨١، رقم المسألة ٢٢٤٣. للتفاصيل راجع: العاملي (الشهيد الثاني) زين الدين: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج٢، كتاب الجهاد، ص٣٧٩-٤٠٩.

(٢) شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: فقه العنف المسلح في الإسلام: ص٤٧.

(٣) المحقق الحلي، الشيخ أبو القاسم نجم الدين: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، شرح وتعليق السيد عبد الزهراء الحسيني، ج٢، ص٣٢٣-٣٢٤.

لشرائط تحددها القيادة الإسلامية ذات الصلاحية في اتخاذ القرارات المصيرية بما يتناسب مع الظروف الذاتية لأوضاع المسلمين، والموضوعية في الساحة العامة، هذه القيادة المتمثلة - اليوم - بالفقهاء المراجع.

وهكذا يتحقق هدف من الأهداف المهمة للجهاد الحربي نحو إنقاذ المظلومين في العالم ألا وهو إزالة الحواجز وتذليل العوائق والصعوبات في طريق الدعاة والمبلغين للإسلام، وذلك لمنع وقوع الفتنة التي تهدد أمن الناس وصفائهم الإيماني، وبالتالي سيكون الدين كله لله سبحانه، وسيدخل الناس إلى الإسلام، يقول ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[1].

وبذلك يتم - فعلياً - دفع العدوان عن المسلمين وأوطانهم، يقول السيد محمد حسين فضل الله: «إننا لا نجد في ما اطلعنا عليه من النصوص الدينية في الكتاب والسّنة تأييداً للفكرة التي تجعل من الدعوة هدفاً للقتال، أو تعتبر القتال وسيلة من وسائل إكراه الناس على الدخول في الدين، بل كل ما هناك إنها اعتبرت القتال وسيلة مشروعة

(١) سورة البقرة ٢/٢١٦-٢١٧.

من وسائل حماية الدعوة ووقايتها من التحديات المضادة التي يقوم بها أعداؤها الكافرون»[١]. ويقول أيضاً: «إن موقع الجهاد من الدعوة هو موقع القوة التي تحمي الرسالة وتفسح لها المجال للامتداد وإبلاغ صوتها إلى كل بقعةٍ من بقاع الأرض، وليس موقع القوة التي تفرض الإسلام بالإكراه والتهديد»[٢].

إن المشهور بين الفقهاء - عند صدّ عدوانية الكافرين - تخييرهم ما بين اعتناق الإسلام، الذي يعني الانضمام إلى المسلمين، وتحمّل المسؤولية المصيرية معهم، وما بين دفع الجزية مقابل حمايتهم، وتركهم يمارسون شعاراتهم الخاصة، وما ألزموا به أنفسهم من أعمال وسلوكيات، شرط عدم الإجهار بما يراه الإسلام محرماً، وفي حالة رفض الخياريْن يتعين قتالهم.

نعم، ثمّة هنالك في البحوث الفقهية التفصيلية فهْمٌ مدروس للجهاد الدعوي، ومشروع نشر الإسلام بين الناس في كل مكان، يؤكد على أساسيات الإسلام العقديّة والأخلاقية، فلا يُكره أحد على اعتناقه، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون مجرد كفر الكفار يستلزم قتالهم وإكراههم على اعتناق الدين. نعم تثبت مشروعية قتالهم في حالة التثبت من عدوانيتهم، وهو ما يصطلح عليه بالحرب الوقائية، «فإذا لم يكن ثمّة من الكفار عدوان أو تأهب للعدوان على المسلمين، فإن قتالهم تحت شعار الجهاد لدعوتهم إلى الإسلام يكون أمر غير مشروع»[٣].

---

(١) فضل الله، السيد محمد حسين: كتاب الجهاد، ص٨٨.

(٢) المرجع ذاته، ص٩٠.

(٣) شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: فقه العنف المسلح في الإسلام، ص٤٨، بالهامش.

ولنا في تطبيقات آيات القتال في سُنة الرسول الأكرم ﷺ وسيرة الأئمة الطاهرين والدعاة الصالحين خير قدوة وأسوة. ومن خلال دراسة غزوات وسرايا الرسول ﷺ، نلاحظ في سيرته الكريمة حرصه الشديد على مسألة التربية النفسية والخلقية لأصحابه الكرام، حتى وهم يعيشون نشوة الانتصار وفرح الظفر، لتتركز معاني الإنسانية وقيم التضحية والإيثار والإقدام والشهادة في سبيل الله، في واقع الحياة. وسنشير إلى بعض النماذج فيما نختاره من شواهد عملية بالمحاور التالية:

أ • معالجة مسألة الخوف.

ب• دروس الإطاعة والانضباط.

ج • الشهادة طريق الجنة - يقيناً -.

## أ- معالجة الخوف:

إن المعارك التي خاضها المسلمون بقيادة وتوجيه رسول الله ﷺ، بالرغم من النواقص المادية قياساً بالأعداء إلّا أنهم تمكنوا من إحراز انتصارات كبيرة، وذلك لتفوق المسلمين بالسلاح الروحي والقوة المعنوية، فقد تحولوا بصلابة إيمانهم إلى أسوار شاهقة تتحطم على أعتابها قوى الاستكبار، وذلك لأن المنهجية التربوية للرسول الأعظم ﷺ ركّزت على البناء المعنوي للمسلمين أثناء المواجهة، فكانت تلك الصياغة الفريدة للرجال في مواقفهم وتضحياتهم، فامتازوا بفهم معنى الموت والمصير بلا خوف ولا وجَل، فالموت بالشهادة عندهم هو أشرف نهاية للإنسان، بل هو سنام الإسلام لا

يناله إلّا ذو حظ عظيم، وبالشهادة ينتقل الشهيد إلى جوار ربه في جنة عالية، بهذا الوعي كان المسلمون يدهشون الأعداء باستبسالهم وثقتهم بأنفسهم. وبما أن الخوف مسألة طبيعية في الإنسان ولا يمكن اقتلاعها ولكن يمكن توجيهها. وبالفعل أصبح الخوف لدى المؤمنين من معصية الله ورسوله، لا من الناس وأسلحتهم، والدنيا ومستقبلها، يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾[1]. إنهم في طريق المعالجة التربوية، فإن بقوا على هذه الحالة السلبية، فلعدم إدخال أسس الإيمان في قلوبهم. بينما المؤمنون ينظرون إلى الموت بأنّه بداية الحياة السعيدة، وما الدنيا إلا دار افتنان وابتلاء محفوفة بالمخاطر والشهوات واحتمالات الانزلاق، فبالموت تنتهي مرحلة الاختبار والخروج من السجن، والدنيا سجن المؤمن، بينما الكافر يرى الموت فناءً ونهاية لجنته وهي الدنيا فتراه حريصاً عليها وعلى مستقبله فيها ويطمع في المزيد من تحقيق مآربه فيها.

إذن فالإسلام يعالج مسألة الخوف بتوجيهها نحو الله سبحانه، فهي في الحقيقة «معالجة جذور الوهن والامتهان بأسلوب متقن ودقيق وصل إلى نهاية الكمال، فالخوف من الموت، والتعلق بالحياة الدنيا بطمع وحرص يدفعان الإنسان إلى الاضطراب والقلق وبالتالي إلى التخلي عن أداء مسؤولية الجهاد والفرار من المخاطر مما تكون عاقبته التمرغ في مستنقع الهزيمة والاندحار، لقد شرح

(١) سورة النساء ٤، الآية ٧٧.

الإسلام حقيقة الحياة والموت وارتباطهما بإرادة الله وحده»[١]، يقول ﷻ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٢].

وفي الرواية التاريخية في معركة بدر الكبرى، أنه لما سمع عُمير ابن الحُمام رسول الله ﷺ يعِد من يستشهد بالجنة، وبيد عُمير تمرات يأكلهن. قال: بخٍ بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلّا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وقاتل حتى قتل[٣]. فكان طعم الموت لدى أصحاب رسول الله ﷺ أحلى من التمر والعسل. وحتى أمهات الشهداء وصل ببعضهن الوعي إلى أنها كانت تفرح بشهادة ولدها وتستقبل التهاني بدل التعازي حينما كان يخبرها رسول الله ﷺ بأن ولدها في الجنان، كما حدث لأم حارثة بن سراقة. وأيضاً لأخته، وذلك حينما بلغ خبر مقتله إليهما، فرفضتا البكاء حتى يلتقيا مع الرسول ﷺ وبالفعل لما قدم من بدر سألته أمّه عن موقع ولدها في الجنة أو النار، فقال ﷺ: «هَبِلْتِ، أجَنّةٌ واحدة؟ إنها جنانٌ كثيرة، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى»، «فقالت أمّه: لا أبكي عليه أبداً، وكانت مسرورة لشهادة ولدها»[٤]. هذه التربية النبويّة قد أنتجت وعياً جهادياً لدى الكثير من الأمهات اللواتي قدّمن أفلاذ أكبادهن شهداء في سبيل الله، عبر التاريخ الإسلامي الطويل.

---

(١) الفارسي، جلال الدين: الجهاد أعلى مراحل الكفاح الوطني، ص ٣٨.

(٢) سورة النحل ١٦، الآية ٦١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ٢٣٩.

(٤) الواقدي، محمد بن عمر: كتاب المغازي، مطبعة أكسفورد ١٩٦٦، ص ٩٤. ومن المكتبة الشاملة، موقع الوراق، راجع المغازي للواقدي ١/ ٣٤، باب (بدء القتال) عن أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل. . عند وصول خبر مصرع حارثة بن سراقة إلى أخته وأمه.

## ب- دروس الإطاعة والانضباط:

في عموم المعارك حصل المسلمون على دروسٍ وَعِبَر، مفادها ضرورة الالتزام التام بإطاعة الرسول ﷺ قائد المسيرة، والانضباط المخلص لأوامره، لأنها هي ضمان النصر والنجاح والتقرب إلى الله سبحانه، وأي تقصير في إطاعته خصوصاً في ميادين القتال يسبب خسارة تعمّ المسلمين جميعاً، وهذا ما حدث في واقعة أحد. حيث إنّ سيدنا النبي ﷺ انتصر لرأي الأكثرية من المسلمين الذين فضلوا الخروج من المدينة لمواجهة المشركين بدلاً من البقاء فيها ومواجهتهم في داخل المدينة، «وتأثير هذه الطريقة الجديدة من فن القيادة على التربية وتقوية الروح المعنوية كان كبيراً جداً، حيث إنّ الذين يصوغون قرار كيفية القتال ينفذونه بدوافع ذاتية عظيمة، تضمن لهم قدراً أكبر من الانتصار والغلبة.. والنتائج المغايرة في معركة أحد مردّها مخالفة أوامر الرسول ﷺ من قبل المقاتلين المكلفين بحماية مؤخرة الجبهة ونزولهم من الجبل، وليس الخروج من المدينة بحدّ ذاته كما روّج لذلك المنافقون بعد المعركة»[(١)]. فالنبي ﷺ حينما رتّب صفوف أصحابه استعداداً للمعركة «ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان، فقال ﷺ لعبد الله بن جبير وأصحابه: «إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم»[(٢)]. في البداية صمدوا مكانهم، ولكن حينما رأوا انتصار

---

(١) الفارسي، جلال الدين: الجهاد أعلى مراحل الكفاح الوطني، ص ٤١.

(٢) الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان، مج٢، ج٤، ص١٨٤. =

إخوانهم المسلمين وانشغالهم بجمع الغنائم تركوا مواقعهم أي خالفوا أوامر الرسول ﷺ فاستغل خالد بن الوليد هذا الضعف وكان آنذاك مشركاً، فانحطّ بمجموعته على من بقي مع ابن جبير وهم قلة فقتلوا ونزل على جيش المسلمين وحدثت النكبة المعروفة. فإذن أساسها عدم الإطاعة التامة للرسول ﷺ، وقد أصيب شخص النبي ﷺ في تلك الواقعة. وبذلك أخذ المسلمون دروساً قاسية في هذه المعركة. بينما كانت الإطاعة واضحة في معركة بدر الكبرى مما عكست مفعولها على الأعداء أيضاً في ضعف معنوياتهم. يذكر التاريخ أن الرسول محمد ﷺ قال لأصحابه: «غضّوا أبصاركم، ولا تبدؤهم بالقتال ولا يتكلمن أحد»[1]. وبالفعل سكت المسلمون، وغضّوا أبصارهم امتثالاً لأوامر رسول الله ﷺ، فأثّر هذا الموقف في الأعداء من قريش بشكل واضح، فبعثوا عُمير بن وهب الجمحي، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتى طاف إلى معسكر رسول الله ﷺ، ثم رجع إليهم، فقال: «لا مَدَدَ لهم ولا كمين.. ثم قال: يا معشر قريش، البَلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قومٌ ليست لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأٌ إلّا سيوفهم! ألا ترونهم خُرْساً لا يتكلمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي! واللهِ، ما أرى أن يُقتل منهم رجلٌ حتى يَقتل منّا رجلاً، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خيرٌ في العيش بعد ذلك! فارتأُوا

---

= تحت عنوان (ذكر غزوة أُحد) بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ من سورة آل عمران ٣/ ١٢٢. راجع المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج٢٠، ص٤٩، باب ٦٢، عن ابن عباس وعكرمة.

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج١٩، باب ١٠، ص٢٥١. عن تفسير القمي لعلي بن إبراهيم ج١، ص٢٦٢، «خروج رسول الله إلى الحرب.

رأيكم!»[١]. فتأثر بذلك عُتبة بن ربيعة، وطلب من قومه أن يطيعوه في عدم القتال، قائلاً: «يا قوم أطيعوني ولا تُقاتلوا هذا الرجل وأصحابه..»[٢]. إلّا أن أبا جهل أصرّ على القتال وأثار العصبية الجاهلية في نفوس المشركين، وقد قال في وجه عُمير: «كذبت وجبنت وانتفخ منخرك حين نظرت إلى سيوف يثرب»[٣].

ومن إشارات الرسول ﷺ في شأن الانضباط السلوكي، حتى في ساعات الفوز والانتصار، تقول الرواية: «لما افتتح رسول الله ﷺ القموص، حصن بني أبي الحُقيق، أتي رسول الله ﷺ بصفيّة بنت حُيي بن أخطب وبأخرى معها فمرّ بهما بلال،.. على قتلى اليهود.. فقال رسول الله ﷺ لبلال: .. أنُزعت منك الرحمة يا بلال؟[٤]». فطالبه ﷺ أن يرأف بالنساء مهما كان دينهن وموقفهن.

## ج- الشهادة طريق الجنة - يقيناً:

التربية النبوية خلقت حالة من التلهف والعشق لدى المسلمين

---

(١) الواقدي، محمد بن عمر: كتاب المغازي، ج١، ص٦٢. والتلمظ من لمظ - بالضم- يلمظ لمظاً: إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه، أو أخرج لسانه فمسح به شفتيه. الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ج٤، ص٢٩١، (مادة لمظ).

(٢) الواقدي، المرجع ذاته.

(٣) القمّي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣. للوقوف على تفاصيل غزوة بدر الكبرى، وإرشادات الرسول الأكرم ﷺ فيها لأصحابه، راجع ابن الأثير، العلامة عزّ الدين: الكامل في التاريخ، ج٢، ص١١٦-١٣٦.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣ ص ٣٥٠-٣٥١، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٩٨٥م.

لنيل درجة الشهادة في سبيل الله، لأنها في الحقيقة أقصر الطرق للفوز برضى الله سبحانه، فلما وصل المسلمون المؤمنون إلى درجة اليقين في إيمانهم بأنّ الشهادة طريق الجنة، لذلك رأيناهم قد استبسلوا واندفعوا بكل قواهم للفوز بها. حتى قال مولانا علي عليه السلام: «إنّ أكرم الموت القتل! والذي نفسُ ابن أبي طالب بيده، لألف ضربةٍ بالسيف أهونُ عليّ من ميتةٍ على الفراش في غير طاعة الله»[١].

وورد في السيرة النبوية المباركة إنه «قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سَلمه: أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج، شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله عز وجل لقد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنّ بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله - فلا جهاد عليك - وقال لبنيه: ما عليكم أنْ تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد»[٢].

وفي يوم أحد أيضاً حينما وقعت المقتلة العظيمة في صفوف المسلمين انقسم الناس آنذاك إلى قسمين: المنهزمين وهم الأكثر عدداً، والثابتين وهم ما بين قتيل وجريح، وكان علي عليه السلام أكثرهم جراحاً، فقد أصيب في ذلك اليوم بسبعين جراحة يصعب علاجها

(١) نهج البلاغة - باب الخطب، خطبة رقم ١٢٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٠١. والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٧٣-٧٤، باختلاف يسير في اللفظ عند البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٤ عن ابن إسحاق.

وتداويها.. على رواية تفسير مجمع البيان[١]. وبثمانين جراحة على رواية الشيخ المفيد في الاختصاص. ولمّا أقبل علي عليه السلام إلى المدينة، وهو مثقل بالجراحات، بات على الفراش، «فدخل عليه رسول الله ﷺ عائداً وهو مثل المضغة على نطح، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى فقال له: إن رجلاً يصيبه هذا في الله لحق على الله أن يفعل به ويفعل. فقال مجيباً له: بأبي أنت وأمي، الحمد لله الذي لم يرني وليتُ عنك، ولا فررت، بأبي وأمي كيف حُرمت الشهادة؟ فقال ﷺ: «إنها من ورائك إن شاء الله»[٢]. وهكذا كانت معنويات الصابرين من المسلمين في المواجهة الدامية عالية بدرجة لا توصف حقاً، حيث لم يفكروا حين القتال إلّا بإحدى الحسنين إما النصر وإمّا الشهادة ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[٣].

وفي واقعة أحد أيضا، لما أشيع «أن النبي ﷺ قد قتل، قال بعض المسلمين من أصحاب الصخرة في الجبل: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله ابن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا.. فجاءهم أنس ابن النضير: فقال لهم: إنْ كان محمد قد قتل فما تصنعون بالحياة بعده؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم قاتل حتى قتل..»[٤].

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان مج٢، ج٤، ص١٨٥.

(٢) الشيخ المفيد، محمد بن محمد النعمان: الاختصاص، ص١٥٨، بعد واقعة أحد.

(٣) سورة التوبة ٩ آية ٥٢.

(٤) العاملي، السيد جعفر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ج ٦، ص ٢٠١ - ٢٠٢. والطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٠١. ولتفاصيل =

بهذا العمق في الوعي ترسخت جذور الإسلام في الأمة. وفي معركة بدر الكبرى، حيث اشترك النبي ﷺ بنفسه في القتال، ليعلم المسلمين طريق التضحية والشهادة والابتعاد عن حبّ الدنيا، وفي الرواية يقول الإمام علي عليه السلام: «كنّا إذا أحمرّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحدٌ منّا أقرب إلى العدو منه»(١). وكان ﷺ يقدم أهل بيته في لهفات المعارك قبل أصحابه، ليعيش المسلمون تطبيقاً حياً لمعاني التضحية والفداء، يقول الإمام علي عليه السلام: «وكان رسول الله ﷺ إذا أحمر البأس، وأحجم الناس، قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنّة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة»(٢).

---

= غزوة أحد راجع الطبري، ج٢، ص١٨٧-٢١٣. وراجع ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٨٨، بألفاظ قريبة.

(١) نهج البلاغة، غريب كلام الإمام علي عليه السلام رقم ٩.

(٢) نهج البلاغة، باب الرسائل، رقم ٩.

# الفصل الثاني

## وسائل التربية الجهادية وأساليبها عند الإمام علي عليه السلام

وفيه مبحثان:

* المبحث الأول : وسائل التربية الجهادية *

* المبحث الثاني : أساليب التربية الجهادية *

# المبحث الأول

## وسائل التربية الجهادية

## وفيه خمسة مطالب وهي:

* المطلب الأول : الخطابة العامة *

* المطلب الثاني : الوعظ والإرشاد الشخصي والمحاسبة المباشرة *

* المطلب الثالث: الرسائل والحِكم *

* المطلب الرابع : القدوة الحسنة في الممارسات الشخصية *

* المطلب الخامس: مظاهر الأداء:

١ - أماكن وقوفه وظهوره أمام المستمعين.

٢ - تنوع مظهره الخارجي.

٣ - في هيئة خروجه للقتال *

# نظرة عامة
# عن التربية الجهادية

إن وسائل التربية الجهادية نعني بها تلك الطرق التي سلكها الإمام علي أمير المؤمنين، في تربيته الجهادية للأمة للوصول بها إلى المواقع المتقدمة من وعي الإيمان وذروة التضحية. وكانت بمثابة صمام الأمان لمسيرة الأمة على الاستقامة الإسلامية الأصيلة. ونحن إذ ندعو إلى التأمل والتدقيق في هذه الوسائل، نؤمن بأنها كفيلة - اليوم - بإنقاذ الأمة وانتشالها من وحل حبّ الدنيا وحب الذات، ومدها بروح الإسلام وصلابته، لتتحول الأمة إلى جبال من الصبر والمقاومة والصمود في وجه الأعداء مهما تجبروا. إن الأمة التي تسير على نهج التربية الجهادية للإمام علي، صعبةٌ ومستعصية أمام هجمات الأعداء وإغراءاتهم، لأنها تمتلك العزّة والكرامة وحب التضحية وعشق الشهادة في سبيل الله. وحقاً إن الأمة - اليوم - بأمسّ الحاجة إلى إحياء تلك السبل، وبطريقة الإمام وصدقه وإخلاصه، وهذا لا يتم إلا بتجردنا عن الذاتيات المقيّدة للعطاء، وتخلصنا عن الترسبات المادية المتكلسة في أطراف الأمة وصميمها، إنها الطريقة التي ستدخلنا إلى انتفاضة روحية شاملة،

تنجلي عندها حقائق الإيمان وجواهر الإسلام في الذوات. إذن لنتكاشف مع الإمام بخطبه وأقواله ومعاناته، فنستوضح طريق النجاة وسبيل الرشاد، على المستويْن الفردي والجمعي معاً، وذلك عبر أهم تلك الوسائل ضمن المطالب المحددّة لهذا المبحث.

# المطلب الأول

## الخطابة العامة

وهذه الوسيلة، هي أهم تلك الوسائل، وأكثرها استخداماً على مرّ العصور وهي وسيلة الأنبياء والأوصياء والصالحين والمبلغين، منذ فجر التاريخ وإلى أن تقوم الساعة.

سنبحث هذا المطلب ضمن المحاور التالية:

١• تعريف الخطابة، وباب الخطب في نهج البلاغة.

٢• مكونات الخطابة.

٣• أهم أوصاف الخطيب الناجح والمؤثر.

٤• المميزات العامة لخطب الإمام.

٥• أنواع الخطب عند الإمام.

- **تعريف الخطابة، وباب الخطب في نهج البلاغة:**

يعرّف الخطابة أستاذنا الشيخ محمد رضا المظفر بقوله: «إنها صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقع

حصول التصديق به بقدر الإمكان»[١]. فهي صناعة فنية لأداء الكلام، يمارسها المتحدِّث غايته إيصال الفكرة إلى الناس، لغرض توعيتهم وتربيتهم وتوجيههم. وبهذا المعنى تكون الخطابة «رسالة وفن وهدف جليل»[٢]. فهي رسالة الإصلاح والفضائل والتبليغ، وفن الأداء المناسب لنشر العلم والمعرفة على ضوء قدرات المتلقين والمستمعين، والهدف هو خلق جيل مؤمن صالح يسعى لتحقيق رضا الله سبحانه ونفع المجتمع.

إن أصول فن إلقاء الكلام تكتسب بالتعلّم والممارسة، بينما يمتلك كل إنسان استعدادات فطرية للنطق والإلقاء، فالذين يرغبون في تنمية ما وهبهم الله سبحانه من قدرات في البيان والأداء، عليهم اقتحام هذا الميدان بدراسة أصوله، وخوض التجارب لغرض صقل شخصيتهم الخطابية، «فيتعلمون رموز هذا الفن ودقائقه، ويتمرسون عليه حتى تصبح فيهم ملكة ذاتية يستطيعون التحدث إلى الجمهور دون تكلف وعناء، ويوضحون آراءهم وأفكارهم له بسهولة تامة»[٣].

ومن هنا يلزم على الموجهين والمربين خصوصاً «من يريد قيادة الجمهور إلى الخير أن يتعلم هذه الصناعة، وهي عبارة عن معرفة طرق الإقناع»[٤]. والتأثير ليحصل التغيير المنشود، حسب المبادئ الرسالية التي يؤمن بها هذا القائد الخطيب، فيسعى لإقناعهم بها، وتحريضهم

---

(١) المظفر، الشيخ محمد رضا: المنطق، ج٣، ص ٣٦٩.

(٢) القزويني، السيد عبد الحسين: صناعة الخطيب، ص١١.

(٣) فلسفي، الأستاذ الشيخ محمد تقي: البيان وفن الخطابة، مترجم عن الفارسية، ترجمة: عباس حسين الأسد، ص٢٧.

(٤) المظفر، الشيخ محمد رضا: المنطق، ج٣، ص ٣٦٨.

على أداء الأعمال الصالحة واجتناب الآثام والمنكرات، من دون إكراه، وذلك بإيجاد الوعي الإيماني لديهم، وإيقاظ قيم الخير والصلاح في وجدانهم. إذاً وظيفة الخطابة تتلخص في: «إعداد النفوس لتقبل ما يريد الخطيب أن تقتنع به»[١].

**باب الخطب في نهج البلاغة:**

كتاب نهج البلاغة مقسّم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، صنفّها السيد الشريف الرضي وهي:

**القسم الأول:** باب المختار من خطب الإمام عليه السلام وأوامره. ويدخل في ذلك كلامه الجاري مجرى الخطب من أقواله وأدعيته.

**القسم الثاني:** باب المختار من كتب الإمام عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده. ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عمّاله، ووصاياه.

**القسم الثالث:** باب المختار من حكم الإمام عليه السلام، ويدخل ما اختير من أجوبة مسائله، والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه.

أما باب الخطب، فهو أول الأبواب ويحتوي على ضوء ضبط وتحقيق الدكتور صبحي الصالح، على ١٢٣ خطبة، ١١٤ كلاماً وقولاً، ٤ أدعية. مجموع الخطب والأوامر والكلام والأدعية في هذا الباب ٢٤١ خطبة وما جرى مجرى الخطب. وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، وخطاباته التعبوية أبّان حروبه الثلاث، وكلامه في مناسبات معينة. وهي بالتأكيد لا تشكل كل خطب وكلام الإمام،

(١) المظفر، المرجع ذاته، ص ٣٦٨.

لذلك ظهرت كتب المستدركات على محتويات نهج البلاغة - وقد عالجنا هذا الموضوع سابقاً -.

هذا وقد ازدهرت الخطابة في عهد الإمام وتطورت آفاقها، وذلك لما امتاز عصره من ظهور تيارات فكرية وسياسية متصارعة، استوجبت توافر اللغة الخطابية المؤثرة لكل تيار لإثبات أحقيته. وكذلك لما امتاز به نظام الشورى الإدارية والسياسية في خلافة الإمام، وهذا يدفع الأمة وممثليها بإتقان لغة الأداء الخطابي في تلك المحافل دفاعاً أو ردّاً. خصوصاً لو عرفنا حكومة الإمام كانت قائمة على الشورى والتعددية وحرية إبداء الرأي وانتقاد الآخر حتى أركان الدولة بل حتى شخص الإمام. كل ذلك في الإطار الشرعي، ما لم تتم التجاوزات على دماء وأموال المسلمين - كما فعل الخوارج -.

● **مكونات الخطبة:**

تتكون الخطبة من المقدمة والعرض والخاتمة. والمقدمة تكون في الصدارة وهي إشارة لجلب انتباه المستمعين، وترغيبهم لتقبل الغرض، وتكون المقدمة مدخلاً مختصراً ومفهوماً وواقعياً يتناسب مع ظروف الخطيب والمخاطبين.

أما العرض، فهو أساس الخطبة، ومتنها، يوضح الخطيب من خلال عرضه -هذا - الأفكار والشواهد، ويدعمها بالأدلة والبراهين، تصديقاً لأفكاره ومطالبه. أما الخاتمة، فهي عبارة عن تلخيص مكثف لما سبق، والدعاء للصلاح[١].

---

(١) المظفر، الشيخ محمد رضا: المرجع نفسه، ج٣، ص ٣٩٥-٣٩٧.

إن أجزاء الخطبة - هذه - تخضع لمهارة الخطيب، فأحياناً يمكنه أن يستغني عن المقدمة النظامية، وإنما يكتفي بالديباجة في ذكر الله وحمده، والدخول في صميم المتن، إن كانت الظروف لا تستدعي تلك المقدمة. وفي حالة ضرورتها لا بد من مراعاة الكيفية والكمية أيضاً، وأن تكون الجسر الرابط بين ذهن المستمعين ولبّ الموضوع أي هدف الخطيب[١]. وإن تلك الأجزاء هي في الحقيقة حلقات مترابطة هدفها الدخول إلى أعماق المستمعين وإقناعهم وتوجيههم.

- **أهم أوصاف الخطيب الناجح والمؤثر:**

شخصية الخطيب ومكانته في أذهان الرأي العام، وموقعه العلمي والديني والسياسي، إلى جانب موضوعه بالنسبة لظروف المستمعين، والموقف المطلوب من الأزمات بعد تحديدها، وصياغة لفظية حديثة بدقة بلاغية، ومهارة في الإلقاء، واختيار المفردات المناسبة، والقدرة على سبك العبارات المعبرة عن فكرته، والمشخّصة لنقاط القوة والضعف في الأمة اتجاه نيل الهدف المنشود. وعلى هذا لا بد أن يكون الخطيب، بليغاً، فصيحاً، انسيابياً في تعبيره بلا تكلف، مسيطراً في أدائه، واضحاً في فكرته، متصالحاً مع نفسه، مخلصاً لرسالته، صادقاً في دعواه، مطبقاً لما يقوله ويطلبه من الناس، متوازناً في حديثه، مقدّراً لكمية كلامه بما يتناسب مع المقام، إن «الخطيب البليغ هو الذي تتسم أقواله عند الخطابة - بمراعاة مقتضى الحال - بالفصاحة والانسيابية، وتخلو من التعقيد، ليفهمها جميع

(١) للتفاصيل راجع، فلسفي، الشيخ محمد تقي: البيان وفن الخطابة، مرجع سابق، ص ٥٩-٧٠.

المستمعين بسهولة»[١]. وحينما يحيط بموضوعه إحاطة علمية وشرعية واضحة، ويقدّر مستوى المتلقين، وحجم استيعابهم يصل إلى مرامه في إقناعهم والتأثير عليهم. «والخطيب الحاذق الناجح من يستطيع أن يمتزج بالمستمعين ويهيمن عليهم بأن يجعلهم يشعرون بأنه واحد منهم وشريكهم في السراء والضراء، وبأنه يعطف على منافعهم ويرعى مصالحهم، وبأنه يحبهم ويحترمهم، لا سيما الخطيب السياسي والقائد في الحرب»[٢].

وعلى الخطيب أن يعتمد على الجانب العقلي في بيانه للناس، كذلك عليه أن يعتمد الجانب العاطفي في خطابه، فالإنسان بحاجة إلى تغذية الجانبين فيه لتتكامل الرؤية لديه. يقول الإمام علي عليه السلام: «كم من عقل أسير تحت هوى أمير!»[٣]. «فالإنسان يستطيع الانتصار على عدوه الخارجي بالعقل والذكاء، وقتله في ميدان الحرب. . ولكن العدو الداخلي أي هوى النفس له من القوة والقدرة ما يستطيع معها أن يأسر العقل كما يقوم الإمام»[٤]. وعلى الخطيب الإسلامي - بالإضافة لما سبق - أن يكون عالماً بدينه، متقياً في سلوكه، بصيراً بموضوعه، كفوءً في طرحه، شجاعاً في مبدئه، عارفاً بزمانه، مشخّصاً للمصالح العامة، راعياً أميناً لبلده وأمته، ويظهر ذلك في كلامه الذي يعبّر عن نقاء سريرته. يقول الإمام علي: «تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه»[٥].

---

(١) المرجع ذاته، ص١٢١.

(٢) المظفر، الشيخ محمد رضا: المنطق، ج٣، ص ٣٧٥.

(٣) باب الحكم، رقم ٢١١.

(٤) فلسفي، الشيخ محمد تقي: البيان وفن الخطابة، ص٣٧./(٥) باب الحكم، رقم ٣٩٢.

ولكي يضمن الخطيب نفوذ الكلام إلى قلوب المستمعين وبلوغ مراده عليه أن يلتزم بالتطبيق العملي لما يقول، فضلاً عن إتقانه لفنون الكلام، يقول الإمام علي «أيها الناس، إني والله، ما أحثكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها»(١). وبذلك تخرج الكلمات من القلب بحرارة التجربة العملية، لتشق طريقها إلى أعماق المتلقين. يقول محمد جواد مغنية: «ولكن هل يكون ابن أبي طالب إمام الحق والعدل إذا لم تنسجم أقواله مع أفعاله؟»(٢).

هذا من جانب الخطيب، وتبقى استعدادات المتلقي فإن كانت طبيعية غير ملوثة بآثام الخطايا والانحراف فستأخذ طريقها وتستقر في القلب وتفعل فعلها العجيب. لذلك نلاحظ الإمام أمير المؤمنين كانت تبلغ مواعظه أعلى مستويات التأثير لدى مستمعيه، وخير مثال نستشهد به من نهج البلاغة، حينما طلب صاحبه العابد هَمّام من الإمام أن يصف المتقين، وألح في طلبه، فقال الإمام: «. . فالمتقونَ فيها هُمْ أهلُ الفضائلِ، منطقُهُمُ الصَّوابُ، وملْبسُهُمُ الاقتصادُ ومشْيُهُمُ التواضعُ. غَضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، ووَقَفوا أسماعَهم على العلم النافع لهم. نُزّلتْ أنفسُهُمْ منهم في البلاء كالَّتي نُزّلتْ في الرخاء، ولولا الأجلُ الذي كَتَبَ اللهُ عليهم لم تستقِرَّ أرواحُهُمْ في أجسادِهم طرفةَ عَيْنٍ، شوقاً إلى الثَّواب، وخوفاً من العقابِ. عَظُمَ الخالقُ في أنفسِهِمْ فَصَغُرَ ما دونَه في أعينهم، فهمْ والجنَّةُ كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون، وَهُمْ والنّارُ كمن قد رآها، فهم فيها

(١) باب الخطب، رقم ١٧٥، نهاية الخطبة.

(٢) مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج٢، ص٥٢٣.

معذّبون. قلوبُهم محزونةٌ، وشرورُهم مأمونةٌ، وأجسادُهم نحيفةٌ، وحاجاتُهُم خفيفةٌ، وأنفسُهُم عفيفةٌ. صبروا أياماً قصيرةً أعقبتْهم راحةً طويلةً. تجارةٌ مربحةٌ يسَّرها لهم ربُّهُم. أرادَتْهم الدنيا فلم يُريدوها، وأسَرتْهم ففَدَوْا أنفسَهم منها. أمّا اللَّيلَ فصافّونَ أقدامَهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا..

فمن علامةِ أحدِهِم أنّكَ ترى له قوّةً في دينٍ، وحَزْماً في لينٍ، وقصْداً في غنىً وخُشُوعاً في عبادةٍ، وتجمّلاً في فاقةٍ، وصبراً في شِدّةٍ..». فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين: «أما والله لقد كنتُ أخافُها عليه. ثم قال: أهكذا تصنعُ المواعظُ البالغةُ بأهلها؟»[1].

إن الإمام في ذكره لأوصاف المتقين، يبين قوة يقينهم بالوعد الإلهي يوم الحساب، لأن عظمة الخالق الكريم قد ملأت حياتهم، فأصبح طموحهم وهمّهم تحقيق رضاه سبحانه، وبذلك تصاغرت طموحات الدنيا في أعينهم. فعند ذكر الجنّة يعيشون لذّة نعيمها، كأنهم يروْنها بعين بصيرتهم، ويتذوّقون حلاوتها. وبالمقابل عند ذكر النار يحسّون آلام الحريق، كأنهم يروْن الجحيم ويتقلبون بين أطباق جهنّم. وبذلك يعيشون بين الخوف والرجاء، بين الوعد والوعيد طول حياتهم. وهذه الحالة المكثّفة بالوعي تظهر في نطقهم وسلوكهم

(١) باب الخطب، رقم ١٩٣. همام بن شريح: هو من شيعة الإمام عليه السلام، وكان ناسكاً عابداً. (نزّلت أنفسهم..): يعني أنهم طابوا نفساً في البلاء يتأملون الرحمة من الله، كطيب أنفسهم في الرخاء، فلا يبطرون ولا يتجبرون. التجمّل: التظاهر باليسر عند الفاقة، أي الفقر. فصعق همّام: أغمي عليه ومات. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٤٩٤-٤٩٨.

وعبادتهم، فهم «لا يأتون من شهواتهم إلّا بقدر حاجاتهم في تقويم حياتهم، فكان الإنفاق كثوبٍ لهم على قدر أبدانهم، لكنهم يتوسعون في الخيرات.. نحافة أجسادهم من الفكر في صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم له»[١].

● **المميزات العامة لخطب الإمام:**

امتازت بدقة الوصف، والتركيز في البيان، وبعضها امتاز بالإطالة كخطبة الأشباح، وخطبة الغرّاء[٢]. وذلك لعمق أغراضها الفكرية والتربوية. كما وامتازت بدايتها بتوجيه الحمد لله تعالى وذكر الشهادتين والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد ﷺ. وامتازت أيضاً بتضمين الخطب بالآيات القرآنية المباركة، وأحاديث النبي الأكرم ﷺ، ففي خطبة له يوصي بالتقوى قال عليه السلام فيها: «..وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم، ولا تبخلوا بها عنها، فقد قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾[٣].

وامتازت خطب الإمام بالمنحى المتوازن بين عقل الإنسان وعاطفته، فكان يخاطب عقول الناس وعواطفهم لغرض تربيتهم وتوجيههم، فكانت خطاباته إنسانية وواقعية، فنجده حتى في حالة

---

(١) عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٦١.

(٢) خطبة الأشباح رقم ٩١. وخطبة الغراء رقم ٨٣.

(٣) باب الخطب، رقم ١٨٣. مقطع الوصية بالتقوى. الآيتان من سورة محمد ٤٧ آية ٧، سورة الحديد ٥٧ آية ١١، على التوالي. وفي مراجعة أصول الخطب التي أوردها السيد الرضي في نهج البلاغة نجدها تبدأ هكذا.

الغضب على تصرف بعض الناس، يعاتبهم ويوبخهم ويحذرهم غضب الجبار، كل ذلك ضمن الإطار الإنساني، بهدف الإصلاح والإنقاذ. فمثلاً خاطبهم مرة بقوله: «أفٍّ لكم، لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العزّ خلَفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة..»[١].

وامتازت خطبه عليه السلام بالتطرق لعالم الحيوان فوصفَها الإمام بدقّةٍ، وذلك لتعميق الإيمان بالخالق المبدع، ولأخذ العبرة من حركتها وتدبير أمورها[٢].

كما وامتازت بتوظيف وقائع التاريخ في الحياة المعاصرة، لأخذ العبرة والتربية. يقول الشيخ شمس الدين: «كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يتعامل مع التاريخ، لا كمؤرخ، وإنما باعتباره رجل عقيدة ورسالة، ورجل دولة، وحاكماً. ولم يكن يستخدم التاريخ كمادة وعظية فقط، وإنما كان يستهدف أيضاً منه النقد السياسي والتربية السياسية لمجتمعه والتوجيه الحضاري لهذا المجتمع»[٣]. فكان يعالج بعض شؤون إدارته مع ولاته ورجال إدارته وخواص أصحابه، باتخاذ العبرة من التاريخ، لتتم عملية التوجيه التربوي والفكري والجهادي من هذه الناحية، فكان يريد من التاريخ ان يتحول إلى قوة بناء في المجتمع الإسلامي.

---

(١) باب الخطب، رقم ٣٤. أف لكم: كلمة تضجر واستقذار ومهانة. دوران الأعين: اضطرابها من الجزع. غمرة الموت: الشدة التي ينتهي إليها المحتضر. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٥٧٧، رقم ٤٢٤-٤٢٦.

(٢) راجع خطبة رقم ١٨٥. (يحمد الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان).

(٣) شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٨.

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الباحث تنتابه حيرة كبيرة أمام هذه النصوص وكثرتها، وأهميتها. أي نص يختار كشاهد على كلامه، وأي نص يهمل؟ وأي مقطع من النص الواحد يعتمده وأي مقطع يهمل؟ وهاجسي ألّا يأخذ بي القلم نحو تطويل البحث، فالأمثلة تزدحم عند كل نقطة نذكرها، وكلمات النصوص متراصة، متماسكة بعضها يكمل بعضاً، وكأنها منصهرة في لوحة فنية متجانسة الألوان والأغراض، وتتزاحم أمامي في الاختيار، لأنها كلها في موقع الصدارة الجمالية والهدف، وليس لي في هذا الموقع وغيره إلّا أن أختار شاهداً يوضح المراد. يقول الإمام في خطبة القاصعة: «. . فاعتبروا بما أصابَ الأممَ المستكبرينَ منْ قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته، واتّعظوا بمَثاوي خدُودهم، ومصارع جُنُوبهم، واستعيذوا بالله من لواقح الكِبْر، كما تستعيذونه من طوارِقِ الدَّهْر. . فاعتبروا بحال ولد إسماعيلَ وبني إسحاقَ وبني إسرائيلَ. . تأمّلوا أمرهم في حال تشتُّتِهِمْ وتفرُّقِهِمْ، ليالِيَ كانت الأكاسرةُ والقياصرةُ أرباباً لهم، يَحتازونَهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق، وخُضرة الدنيا، إلى منابت الشِّيح، ومَهافي الرِّيح، ونَكَدِ المعاش، فتركوهم عالةً مساكينَ إخوان دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أذلّ الأمم داراً، وأجْدَبَ بَهُمْ قَراراً. .»[1]. بهذه الرؤية النابضة بالتحرّك والحيوية يلقّن

(١) باب الخطب، رقم ١٩٢. (القاصعة) المقطع الثامن (العبرة بالماضين) والمقطع الرابع عشر (الاعتبار بالأمم). المثلاث - بفتح فضم -: العقوبات. مثاوي - جمع مَثْوى -: بمعنى المنزل. ومنازل الخدود: مواضعها من الأرض بعد الموت. مصارع الجُنُوب: مطارحها على التراب. لواقح الكبر: محدثاته في النفوس.أرباباً: أي ملوكاً. يحتازونهم: يبعدونهم عن الأراضي الخصبة. بحر العراق: دجلة والفرات. =

المؤمنين دروس التاريخ ويطالبهم بأخذ العِبَر من الأمم السالفة، في النهوض لتحمّل المسؤولية الإسلامية. ومراده من المستكبرين هم حكّام «الأمم كفرعون موسى ونمرود إبراهيم، وغيرهما من طغاة الأكاسرة والقياصرة، أما الكثرة العاملة فكانت تصنع للكبار القصور والأهرامات، وتبني الحصون والسدود.. وقد أخذ سبحانه بصواعقه المستكبرين والتابعين لهم من المستضعفين، أخذ أولئك بظلمهم، وهؤلاء بنومهم على الضيم والظلم.. [كأنه] يقول للمستضعفين: اتعظوا بمن سبق، وكافحوا العدوان قبل أن ينزل عليكم العذاب بغتة، ويعم الظالم والساكت عنه»[١]. ثم خصّص الاعتبار بولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل، «إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام من هاجر، وإسحاق ابنه من سارة، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.. ولإسرائيل هذا ١٢ ولداً.. وهؤلاء وأولادهم وأحفادهم كلهم ما عدا يوسف مجرمون وقتلة الأنبياء.. والمدهش أنهم كانوا يقتلون أنبياء الله تقرباً إلى الله..»[٢]. فطلب الاعتبار منهم جميعاً - المقهورين والقاهرين - «أما المقهورون فبنوا إسماعيل، وأما القاهرون فبنو إسحاق وبنو إسرائيل، لأن الأكاسرة من

---

= منابت الشيّح: أرض العرب، الشيّح: نبْت معروف. المهافي: المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب. النكد - بالتحريك -: أي الشدة والعسر. الدّبَر: القرحة في ظهر الدابة. الوَبَر: شعر الجمال. والمراد أنهم رعاة. وأجد بهم قراراً: لعدم وجود الزرع والشجر والنخل. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٤٧٥، ٤٨٦.

(١) مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج٣، ص١٢٢.

(٢) المرجع ذاته، ج٣، ص١٤٢.

بني إسحاق.. والقياصرة من ولد إسحاق أيضاً،.. وعلى هذا يكون الضمير في «أمرهم»، و«تشتتهم» و«تفرقهم» يرجع إلى بني إسرائيل خاصةً.. لأن بني إسرائيل لمّا كانوا ملوكاً بالشام.. حاربوا العرب من بني إسماعيل غير مرّة، وطرودهم عن الشام، وألجأوهم على المقام ببادية الحجاز... فجاء بهم في صدر الكلام على العموم، ثم خصّص فقال: الأكاسرة والقياصرة، وهم داخلون في عموم ولد إسحاق، وإنما لم يخصص عموم بني إسرائيل لأن العرب لم تكن تعرف ملوك ولد يعقوب، فيذكر لهم أسماءهم في الخطبة، بخلاف ولد إسحاق فإنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بني ساسان [الفرس] ومن بني الأصفر [الروم]»[1]. وبهذا الدرس البليغ يضع الإمام عموم المسلمين أمام مقاربة تاريخية تشابه مصير أولئك الذين تفرّقوا، فأصبحوا أذلةً مشردين، وفقراء مساكين تحت سلطة الجبابرة الحاكمين.

إن بلاغة خطب الإمام جاءت متناسبة مع شجاعته المتميزة في ميادين الجهاد، فالذي يقرأها، وهو يعرف شخصية الإمام، لا يمكن أن يتصور غير عليّ على المنبر، يوجّه ويربّي ويعاتب وينتقد ويعارض ويدير، فمنطقُه نافذ إلى الأعماق، يمسك أوتار القلوب بنسائم الكلمات، ونبراتُه المؤثرة تهيمن على العقول بوعي وبصيرة، وتنحني أمام كلماته هامات الرجال، لجمال الألفاظ، وعذوبة المعاني، وإحكام النظم، وكان يستخدم قليلاً من السجع المطبوع والعفوي لترسل جرسها الموسيقي إلى الأذهان. يصف محمد طاهر

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج٧، ج١٣، ص١١٩.

درويش الإمام علياً بأنهُ: «أول من عالج الفنون الأدبية معالجة فنية، فخرج عن سُنة الإبلاغ ومحض الأداء إلى صناعة التعبير وفن الأداء، فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع ظهرت فيه آثار دراسة القرآن واقتفاء نهجه وسياقه»[١].

ويقول الدكتور الموسوي: «قفز فن الخطابة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام قفزة نوعية، وتطور تطوراً كبيراً على يد الإمام حتى إنّه أصبح يعدّ صاحب مدرسة جديدة في الخطابة، صار لها روّادها وتلامذتها الذين كانوا يستورثون هذا الفن جيلاً بعد جيل»[٢].

● **أنواع الخطب عند الإمام:**

يمكن تقسيم خطب الإمام الواردة في النهج على ضوء أغراضها إلى عدة أنواع، اكتفي بالإشارة إليها دون تفصيل وذكر شواهد وذلك لأننا سنتحدث عن أهمها ضمن المطالب الأخرى من هذا المبحث وغيره، وللعلم أن بعض الخطب تحتوي على عدة أغراض، يشار إليها في عنوان الخطبة، وقد وضعت عناوين جانبية تتناسب مع كل مقطع في غرضه، وذلك في الخطب الطويلة عادة، مثل خطبة الغرّاء والقاصعة وغيرهما[٣]. أما أهم تلك الأنواع فهي:

---

(١) درويش، محمد طاهر: الخطابة في صدر الإسلام، ج١، ص٣٣٤.

(٢) الموسوي، د. محسن باقر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص ٢٤.

(٣) راجع الخطبة العجيبة التي تسمى (الغرّاء)، رقم ٨٣. جاء في عنوانها: «وفيها نعوت الله جل شأنه، ثم الوصية بتقواه، ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الأعراض. ثم فضله عليه السلام في التذكير». وكذلك الخطبة القاصعة رقم ١٩٢. فقد ورد في عنوانها: «وهي تتضمن ذم إبليس لعنه الله على استكباره.. وتحذير الناس من سلوك طريقته».

١• الخطب الفكرية، وهي التي تعنى بشؤون العقائد والفكر الإسلامي.

٢• خطب الوعظ والإرشاد، وهي التي تعنى بشؤون التربية والأخلاق، والحذر من حب الدنيا، وأحاديث الموت.

٣• خطب العتاب والتقريع، وذلك لتقويم الإداريين في الدولة ومحاسبتهم، وكذلك إصلاح الأمة.

٤• خطب الحث والتحريض، على الجهاد، ضد هوى النفس والأعداء.

٥• خطب الملاحم والفتن، التي وقعت في عهده، وتطوراتها في المستقبل[١].

٦• خطب الاستسقاء، طلباً للأمطار أيام انقطاعها أو ندرتها[٢].

٧• الخطب السياسية، وهي التي تعنى بشؤون الوعي والتوجيه السياسي، وكذلك شؤون النظام القائم، والواجبات والحقوق المتبادلة بين الدولة والأمة.

٨• الخطب الإدارية، وهي التي تتناول شؤون إدارة البلاد، ومتابعة الولاة والعمّال والموظفين والإداريين بشكل عام.

٩• الخطب الحربية، في ساحات المعارك ومواقع القتال.

---

(١) باب الخطب، رقم ١٠١، من خطب الملاحم.

(٢) خطبة رقم ١١٥، في الاستسقاء.

١٠• الخطب القضائية، وهي التي تخص السلطة القضائية، وأساليب القضاة وتوجيههم وانتقادهم[١].

١١• الخطب العبادية، التي تخص شؤون العبادة كالصلاة والحج وكذلك الدعاء[٢].

١٢• الخطب الوصفية[٣].

---

(١) خطبة رقم ١٨، في ذم اختلاف العلماء في الفتيا..

(٢) في الخطبة رقم ١، وهي من الخطب التي اشتملت على أكثر من غرض، منها في ذكر الحج.

(٣) في الخطبة رقم ٥٦، وصف لأصحاب رسول الله ﷺ. وفي الخطبة رقم ١٥٥، يصف فيها بديع خلقة الخفاش. ولم أشر في هذا الهامش إلى أمثلة لبقية الخطب لوضوحها وكثرتها في خطبه، وسوف نتناول قسطاً منها بالتفصيل في مواقعها. وهنالك خطب بمناسبة الأعياد الإسلامية، وخطب قرآنية كما في خطبه ٢٢١ بعد تلاوته ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾. التكاثر ١٠٢/١، وغيرها.

# المطلب الثاني

## الوعظ والإرشاد الشخصي والمحاسبة المباشرة

هذه الوسيلة من الوسائل التربوية التي اعتمدها الإمام علي ﷺ في تربيته الجهادية، فقد اتبع الأسلوب الفردي في التوجيه والإرشاد والمتابعة والنصح والعتاب والمحاسبة، مع خواصّ أصحابه وولاته وعموم الإداريين، ومع القادة العسكريين ومراتب المجاهدين، وكذلك القضاة، بل مع أفراد المجتمع في حالة احتياجهم لهذا الأسلوب الشخصي المباشر.

ومما لا يخفى إن هذا الأسلوب التربوي يستبطن اهتمام الإمام بالمتلقي، في ظاهرته السلوكية المحدّدة، في شتى مجالات الحياة، كالعمل والعبادة والتعليم، والقضاء، والإدارة، والجهاد. ممّا يدفعه إلى تحمل مسؤولية التغيير والإصلاح بهمته الشخصية، فالإنسان الذي يتحمل الأعباء بذاته حسب تشخيص الوالي الإمام، يشعر بأن دوره هو المطلوب في إنجاز الهدف المنشود، وعليه سوف يستنفر كل طاقاته وقواه لإتمام مسيرته وللبلوغ إلى قمة العطاء والتضحية. بالإضافة إلى أن الأحاديث الخاصة تعالج حالات شخصية في ذات المتلقّي بالخصوص، أو لتحصينه من العدوى، أو لدفعه لمعالجة

الآخرين ضمن دائرة نفوذه. وبالنتيجة هي معاناة الإنسان المؤمن في ظروف معينة. فتأتي تلك الموعظة أو المحاسبة المباشرة كبلاسم الشفاء، لحالته المرضية، وبالفعل تخترق الحجب لتستقر في قلب المتلقي مباشرة، وبذلك يكون وجهاً لوجه، بينه وبين ربّه، فإمّا أن ينتصر لمبادئه وهذا هو المطلوب، وإما أن يميل نحو الباطل، ومعنى هذا إنه سيحسم أمره وينتهي من حالة التذبذب والتأرجح من الأساس، حسب إرادته وتوفيق الله سبحانه له. فمثلاً قال الإمام: «احذرْ أنْ يراك اللهُ عند معصيته، ويَفقدَكَ عند طاعتِه، فتكونَ من الخاسرين، وإذا قَويتَ فاقْوَ على طاعة الله، وإذا ضَعُفْتَ فاضْعَفْ عنْ معصيةِ الله»[1]. وبالفعل إن الإنسان بشكلٍ عام هو في محضر الرقابة الإلهيّة، أكان في حالة الطاعة أم المعصية، يحذّره الإمام من حضوره في مواقع المعصية كالغيبة وارتكاب الآثام وإثارة الأحقاد، ومن فقدانه في مواطن الطاعة كالصلاة والحج والجهاد. وعلى الإنسان المؤمن أن يفجّر طاقات قوّته وعطائه في سبل الطاعة والخير، ويعرض عن معصية الله حينما يُريد إظهار الأعراض والضعف في عدم الإتيان بشيء. ومصداقاً لهذه الفكرة، يعالج الإمام ظاهرة اجتماعية سلبيّة في صفوف بعض الشباب، عبر توجيه الطاقة في الاتجاه المشروع، فقد «روي أنه - عليه السلام - كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأةٌ جميلةٌ، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: «إنَّ أبْصار هذه الفُحُول طوامِحُ، وإنّ ذلك سَبَبُ هَبابها، فإذا نَظَرَ أحدُكم إلى امْرَأةٍ تُعجبُهُ فَلْيُلامِسْ أهَلَهُ، فإنّما هي امْرأةٌ كامْرأته». فقال رجلٌ من الخوارج:

(١) باب الحكم، رقم ٣٨٣.

«قاتله الله كافراً ما أفقهه»، فوثبَ القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: «رُوَيْداً إنّما هو سَبٌّ بِسَبٍّ، أو عَفْوٌ عن ذَنْبٍ!»[١]. هكذا يحاسب الإمام أصحابه ويرشدهم. بل يوجّه حتى الكلمة إذا قيلت في محضره، نطقاً باللسان ومن دون وعي، فيبيّن لوازمها وشرائطها وأبعادها السلوكية المطلوبة فمثلاً قال عليه السلام لقائل قال بحضرته: «استغفر الله»: «ثكلَتْك أمُّك، أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفارُ درجةُ العليّين، وهو اسْمٌ واقعٌ على ستّة معانٍ: أولُّها النَّدمُ على ما مضى، والثاني العَزْمُ على ترك العوْدِ إليهِ أبداً، والثالثُ أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقَهم حتى تلقَى الله أملَسَ ليس عليك تبعةٌ، والرابعُ أن تعْمِدَ إلى كلِّ فريضةٍ عليك ضيّعتَها فتؤدّي حقَّها، والخامسُ أنْ تعمدَ إلى اللّحْم الذي نَبَتَ على السُحْتِ فتذيبه بالأحزانِ، حتى تُلصِقَ الجلدَ بالعظم، ويَنْشأ بينهما لحمٌ جديدٌ، والسادسُ أن تُذيقَ الجسمَ ألمَ الطاعة كما أذقتَه حلاوةَ المعصية، فعند ذلك تقول: (استغفرُ الله»[٢].

والآن، نبحث هذه الوسيلة ضمن المحاور التالية، وسنتقيّد بقلة الأمثلة وربما بشاهد واحد لكل محور:

١• في التربية الأخلاقية، والنظرة إلى الدنيا.

٢• في الشؤون العبادية، وذكر الموت.

---

(١) باب الحكم، رقم ٤٢٠. طوامح: جمع طامح أو طامحة. وتقول طمح البصر، إذا ارتفع، وطَمَحَ: أبعد في الطلب. هبابها -بالفتح-: أي هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى، رويداً: أي مهْلاً. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٧٢٨، رقم ٤٩٧٠-٤٩٧٢.

(٢) باب الحكم، رقم ٤١٧. (نبتَ على السّحت): أي على الحرام، يقال: سُحْت، بالتسكين، وسُحُت بالضم. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٨٥٥.

٣• في الشؤون القضائية.
٤• في اقتحام ميادين الجهاد.
٥• الشؤون الإدارية للولاة والأمراء.

● **في التربية الأخلاقية، والنظرة إلى الدنيا:**

تقوم التربية الأخلاقية في الإسلام على أساس نهي النفس عن الهوى، والحرام والمعاصي، قولاً كالشتم والغيبة والنميمة، وفعلاً بارتكاب بواطن الآثام وظواهرها، من تجاوز حدود الشريعة وإلى الاعتداء على حقوق الآخرين. فمن كلام الإمام - وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين -: «إنّي أكرَهُ أنْ تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وَصفْتم أعمالَهم، وذكرتُم حالَهم، كان أصْوَبَ في القول، وأبلَغَ في العُذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهمَّ احْقِنْ دماءنا ودماءهَم، وأصْلح ذاتَ بيننا وبينهم، واهدْهِمْ من ضَلالتِهم، حتى يعرفَ الحقَّ من جهِله، ويرعوي عن الغيّ والعدوانِ من لَهِجَ بِهِ»[1]. فالإمام عليه السلام يطالب أتباعه المجاهدين بتحكيم العقل والحكمة في صراعهم مع العدو، باعتبار كون الأولوية لأسلوب الوصف والكشف عن أحوالهم وأعمالهم، وبذلك سيمتلكون العذر الواضح لقتالهم. كما طالبهم بالدعاء لحقن دماء الطرفين، والإصلاح والهدى لذوي الضلالة من الجاهلين والأعداء. بهذه القيم الأخلاقية الرفيعة يُربّي الإمام أصحابه على آداب الاختلاف والصراع حتى في أيام الحرب والقتال.

---

(١) باب الخطب، رقم ٢٠٦. الارعواء: النزوع عن الغي، والرجوع عن وجه الخطأ. لهج به: أولع به. عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٨٦.

### أساس الابتلاء حب الدنيا:

إن من أكبر الدواعي لارتكاب الآثام، الركون إلى إغراءات الدنيا على حساب الالتزام بالدين والسعي لبناء الآخرة، فلذلك احتلت هذه المسألة في تربية الإمام موقعاً مهماً، خصوصاً لو عرفنا الظروف السائدة في عهده كانت متوجهة نحو الماديات والتعلق بالحياة وحب الدنيا. ففي خطبه ورسائله وحكمه العامة، الكثير من التحذير والذم والتصغير للدنيا، لكي يستمر المسلمون في استقامتهم وصبرهم أمام محاولات إسقاطهم في وحل حب الدنيا[١]. وفي مواعظه الشخصية وتوجيهه الخاص ومحاسبته المباشرة، نلاحظ صلابته أمام خواص أصحابه في هذه المسألة الخطيرة. فمن كتاب له إلى الأسود بن قُطبة صاحب جند حُلْوان، قال فيه: «.. واعلم أن الدنيا دارُ بليّة، لم يفرُغ صاحبها فيها قط ساعةً إلّا كانت فَرْغَتُهُ عليه حسرةً يوم القيامة..»[٢].

---

(١) راجع الخطبة رقم ١١١، عنوانها (في ذم الدنيا). وخطبة ١٣٢ (يعظ فيها ويزهد عن الدنيا). وخطبة رقم ١١٣ (في ذم الدنيا).

(٢) باب الرسائل، رقم ٥٩. حُلْوان: في اللغة بمعنى الهبة. وحُلوان في عدة مواضع: حُلوان العراق: وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وكانت مدينة كبيرة عامرة، ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرّ من رأى أكبر منها، وأكثر ثمارها التين، وهي بقرب الجبل، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج، بل على جبالها دائماً، وحواليها عيون كبريتية ينتفع منها صحياً لبعض الأمراض، وهي مشهورة بالرمّان الفريد من نوعه. فتحها المسلمون صلحاً مع أهلها بقيادة جرير بن عبد الله، ثم أقام بها والياً إلى أن قدم عمار بن ياسر، فكتب إليه من الكوفة أن الخليفة عمر قد أمره بالالتحاق بأبي موسى الأشعري بالأهواز، فسار حتى التحق به سنة ١٩ هـ. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٩٠-٢٩٤. والأسود بن قطبة، هو من أصحاب الإمام، وهو صاحب =

يعني في حالة خلو الوقت في الدنيا من العمل الصالح والنافع سيعقب ذلك حسرةً يوم الحساب. و«يندم على أن لم يعمل في تلك الساعة ما يوجب ثوابه ورفعة درجته»[١].

وقال في وصيّته لولده الإمام الحسن عليه السلام: «..أحي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولةَ الدهر وفُحش تقلّب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب مَنْ كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم، .. وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك، ولا تبعْ آخرتك بدنياك..»[٢]. ويروى عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه- إنه قال: «دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها! فقال عليه السلام: والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم، إلّا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً، ثم خرج فخطب الناس..»[٣].

---

= جند حُلوان، وأغلب الظن إنه الأسود بن زيد بن قطبة بن تميم الأنصاري. الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، مج٣، ص٤٤٢.

(١) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٤، ص٢١٧.

(٢) باب الرسائل، رقم ٣١. قرّره بالفناء: ثبّته وسكّنه بالموت. البستاني، الشيخ عبد الله: البستان معجم لغوي مطوّل، باب القاف، ص٨٦٧.

(٣) باب الخطب، رقم ٣٣. يخصف نعله: يطبق عليها مثلها ويخرزها. البستاني، عبد الله: البستان، باب الخاء، ص٣٠٩.

● في الشؤون العبادية، وذكر الموت:

حينما تصدر الكلمات من الإمام الحاكم في خصوص شخص بذاته، وفيها تأكيدات على العبادة والاستعداد للموت، تكون لها دلالات تربوية عميقة في ذات المتلقّي، فتقف شاخصةً أمام تصرفاته وسلوكه، لذلك كان يبعث الكتب والرسائل إلى ولاته وخواص أصحابه، بهذه الشؤون، فمثلاً جاء في كتاب له إلى الحارث الهمْداني[1] - صاحب أمير المؤمنين وكان من الفقهاء -: «وتمسّكْ بحبل القرآن واسْتنصحْه، وأحِلَّ حلالَه، وحرِّم حرامهَ، وصدّقْ بما سلف من الحق، واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها، فإنّ بعضها يشبه بعضاً، وآخرَها لاحقٌ بأوَّلها: وكُلّها حائلٌ مفارقٌ. وعظّم اسْمَ الله أنْ تذكره إلّا على حقٍّ، وأكثر ذكرَ الموت وما بعد الموت.. واحذرْ كلَّ عملٍ يُعمل به في السِّرِّ، ويُستحَى منه في العلانية، واحذرْ كلَّ عمل إذا سُئل عنه صاحبُهُ أنكره أو اعتذرَ منه.. واكظمْ الغيظَ، وتجاوزْ عند المقدَرة، واحْلُمْ عندَ الغَضَب، واصْفَحْ مع الدَّوْلة، تكن لكَ العاقبةُ.. وآالمْ.. فإنك ما تقدّمْ من خير يبقَ لك ذُخْرُهُ، وما تؤخّرْهُ يكنْ لغيرك خيْرُهُ.. ولا تسافرْ في يوم جمعة حتّى تشهدَ الصّلاةَ إلّا فاصلاً في سبيل الله، أو في أمرٍ تُعذَرُ به، وأطع الله في

(١) الحارث بن عبد الله، أبو زهير الأعور الهمْداني الكوفي، نسبة إلى همْدان - بسكون الميم- القبيلة المعروفة باليمن، وهو صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن خواصّه وثقاة أصحابه، المعروف بالحارث الأعور، وهو من كبار العلماء التابعين، ومن فقهاء عصره البارزين، والقرّاء المعروفين. توفي سنة ٦٥ هـ على المشهور، أيام ولاية عبد الله بن يزيد الأنصاري من قبل عبد الله بن الزبير. الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، مج٤، ص٣٦٥-٣٧٠. طبع دار التعارف.

جميع أمورك، فإن طاعة الله فاضلةٌ على ما سواها. وخادِعْ نفسك في العبادة، وارْفُقْ بها ولا تَقْهَرْها، وخُذْ عفوها ونشاطها، إلّا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنّه لا بد من قضائها وتَعاهُدِها عند محلِّها. وإيّاك أن يَنْزلَ بك الموتُ وأنت آبقٌ من ربّك في طلب الدنيا..»[1]. ونلاحظ في رسالة الإمام دعوة صريحة لصاحبه الهمداني، ولكل إنسان مؤمن، أن يتصالح مع نفسه، ويتكاشف مع ذاته في طريق تزكية النفس بالارتباط الوثيق بالقرآن الكريم، وتطبيق أحكامه، والإكثار من ذكر الموت، وعندها سترتفع حالة التباين والتناقض ما بين باطن الإنسان وظاهره، في سرّه وعلانيته. هذا الوضوح الصعب يجعل الإنسان أكثر واقعيةً في تعامله الإنساني مع غيره، مهما كان موقعه الإداري والسياسي، فيكون منهجهُ في الحياة العفو عند المقدرة، والحلم عند الغضب، وكظم الغيظ، ويفكر ببناء آخرته، عبر طاعته المخلصة لله، وعبادته الواعية، والحضور في الصلوات جماعةً، خصوصاً يوم الجمعة لكثرة فوائدها الروحية والاجتماعية، ويشدّد في حضور الجمعة إلّا لتقديم الأهم على المهم كالخروج للجهاد في سبيل الله، ويشير الإمام إلى مسألة في غاية الأهمية في أداء العبادات، بأن تكون متناسبة مع إقبال النفس عليها إلّا في الواجبات المفروضة، لأن إكثار العبادة إلى حدّ الإفراط

(١) باب الرسائل، رقم ٦٩. اعتبر: قِسْ، أي قس الباقي بالماضي. حائل: زائل. أصفح مع الدولة: أي عندما تكون لك السلطة. فاصلاً: أي خارجاً ذاهباً. خذ عفوها: أي وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة. آبق: أي هارب منه متحول عنه إلى طلب الدنيا. عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٢٩-١٣١.

«موجب لكبت النشاط وعدم الإقبال وحضور القلب»[١]. لذلك أوصى بالرفق مع النفس دون قهرها، وقد قال الرسول المصطفى ﷺ: «إن هذا الدين متين، فأوغلْ فيه برفقٍ، ولا تبغّض إلى نفسك عبادةَ ربّك..»[٢].

ونتوقف عند رواية كميل بن زياد النخعي، وهو من خواص أصحاب الإمام علي عليه السلام، لنتعرف على أسلوب الإمام في تربيته الفردية المباشرة، وما له من تأثير في نفسية المتلقي، من أخذ الإمام بيد كميل والانطلاق به للصحراء والتحدث معه على انفراد وفي النهاية طلب منه الانصراف.

«قال كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخرجني إلى الجبّان، فلمّا أصحر تنفّس الصعداء، ثم قال: يا كميلُ ابنُ زياد، إنَّ هذه القلوبَ أوعيةٌ، فخيرُها أوعاها فأحفظ عنّي ما أقولُ لك:

الناسُ ثلاثةٌ: فعالمٌ ربّانيٌّ، ومتعلّمٌ على سبيل نجاةٍ، وهَمَجٌ رعاعٌ أتباع كلِّ ناعقٍ، يميلون مع كلّ ريح.. يا كميل، العلمُ خيرٌ

---

(١) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٤، ص٢٥٠.

(٢) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، ج٣، ص٤٠، رقم ٥٣٧٩. والعجلوني في كشف الخفاء ٢/٢١٧/٢٣٣٩ قال: رواه البزّار والحاكم في علومه، والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم عن جابر مرفوعاً - بلفظ الخطاب «ولا تبغّض إلى نفسك..». ورجح البخاري في تاريخه الإرسال. كما وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٦٢ المقطع الأول منه بصيغة الجمع عن أنس بن مالك، وقال: رواه أحمد ورجاله موثوقون إلا خلف بن مهران. وأورد الحديث الشيخ الكليني في الكافي ٢/٨٦ باب (الاقتصاد في العبادة) رقم ١ عن أبي الجارود عن الإمام الباقر بصيغة الجمع أيضاً.

من المال، العِلمُ يحرُسُكَ وأنت تحرُسُ المال، والمالُ تنقصُهُ النّفقة، والعِلْمُ يزكو على الإنفاق، وصنيعُ المال يزولُ بزواله.. يا كميل هَلَكَ خُزّانُ الأموال وهَمْ أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بقي الدهر: أعيانُهُم مفقودةٌ، وأمثالهُم في القلوب موجودةٌ. [حتى قال عليه السلام]. لا تخلوا الأرضُ من قائم لله بحُجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطُلَ حُجَجُ الله وبيّناتُهُ. وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك - والله - الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله قدْراً.. وصَحبُوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمحلِّ الأعلى. أولئك خلفاءُ الله في أرضه، والدُّعاةُ إلى دينه. آه آهٍ شوقاً إلى رؤيتهم! انصْرفْ يا كميلُ إذا شئتَ»[1]. وهنا نلاحظ أن الإمام قد أعدّ صاحبه كميل لتلقي هذه التوصية الخاصة نفسياً، ليتبصّر طريقه في الحياة، ويختار موقعه اللائق منها. وليكن قلبه بمستوى الطموح في الاستيعاب للعلوم والمعارف، كما أنّ اللمسة اليدوية المباشرة من قبل الإمام له تعني الكثير من الخصوصية والإحاطة المعنوية به. وقد قسّم الناس إلى ثلاثة أقسام، وجعل لكلّ قسمٍ صفته المطلوبة إسلاميّاً، فالعالِم وصفه بالربّاني، أي العارف بالله تعالى، حتى يكون في إطاره المشروع، والمتعلّم وصف هدفه على سبيل الخلاص والنجاة في الحياة خصوصاً الآخرة. وطبقة الهمج الرعاع الذين لا إرادة مستقرة لديهم، ولا اعتبار لهم بين الناس.

---

(١) باب الحكم، رقم ١٤٧. الجبّان: كالجبّانة: المقبرة. أصحر: أي صار في الصحراء. أوعية: جمع وعاء وهو الإناء وما أشبهه. أوعاها: أشدّها حفظاً. الهمج -محركةً-: الحمقى من الناس. الرَعاع - كسَحَاب - الأحداث الطَّغام الذين لا منزلة لهم بين الناس، يزكو: يزداد نماءً. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٧١٧. رقم ٤٦٢٦-٤٦٣٥.

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: كيف يصف الإمام خزّان الأموال بالهلاك في الدنيا؟ والحال أنّ أصحاب الأموال نراهم يتمتعون بحياتهم بانبساطٍ وفرح بالغيْن، بينما يعيش بعض المؤمنين حياة الحرمان والاستضعاف. وللإجابة يمكن القول بأن خزّان الأموال قد بلغ لهاثهم المادي ذروته لديهم، فهم لا يروْن الحياة إلّا من خلال المزيد من تكديس الأموال، ممّا أفقدهم الحالة المبدئية في الالتزام بالإسلام، ونمّى لديهم أحاسيس الكبرياء والعجب، فمنعتهم من إنفاقها في سبيل الله ﷻ، وهذا الأمر هو الهلاك بعينه. يقول الشيخ مغنية: «. . هلكوا لأنهم تنازلوا عن إنسانيتهم لأعداءِ الإنسانية، ونفّذوا كل ما يراد منهم على حساب دينهم ووطنهم وأمنهم»[١].

أما بيانه بعدم خلو الأرض من حجة دالّة على دين الله، فهو ينطلق من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]، وذلك في كل الظروف، «والآية تدل على أن الأرض لا تخلو من هادٍ يهدي الناس إلى الحق إما نبيّ منذر، وإما هادٍ غيره يهدي بأمر الله»[٣]» وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[٤] يقول العلّامة الطباطبائي في تفسيره: «والآية، تفيد أن الإمام لا يخلو عنه زمان من الأزمنة، ومصر من الأمصار، لمكان قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾[٥]

---

(١) مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج٤، ص٣١٤.

(٢) سورة الرعد، ١٣/ ٧.

(٣) الطباطبائي، السيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، مج١١، ج١٣، ص٣٠٥.

(٤) سورة الاسراء، ١٧/ ٧١.

(٥) الطباطبائي، المرجع ذاته، مج١، ج١، ص٢٧٣.

ولكن هذا الإمام القائم بالحجة الإلهية يخضع لحكمة الله تعالى ولظروفه الموضوعية في تحديد ظهوره وشهرته بين الناس بالعلم والعمل، وقد يكون خائفاً مغموراً بينهم للأسباب ذاتها، فهو الولي الحجة الذي لا تخلو الأرض منه، وهذا ما يذهب إليه الشيعة الإمامية، الاثنا عشرية، فهم يؤمنون بوجود الإمام المهدي المنتظر[١]، وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّ الظروف السياسية والأمنية التي كانت سائدة في العصر العباسي، حيث لغة المطاردة والسجن والقتل لأئمة أهل البيت عليهم السلام، جعلته يكون خائفاً من الظالمين المتآمرين على روح الإسلام، وقد ستره الله عن الأعين لحكمته حتى يأذن بظهوره في ظروف مناسبة، كما خاف النبي موسى عليه السلام من فراعنة عصره، يقول سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[٢]. «عن ابن عباس يعني أنه خاف من فرعون وقومه أن يكونوا عرفوا أنه هو الذي قتل القبطي..»[٣]. يقول الشارح البحراني: «.. قالت الشيعة: هذا تصريح منه عليه السلام بوجوب الإمامة بين الناس في كل زمان ما دام التكليف باقياً، وأن الإمام قائم بحجة الله على خلقه، ويجب بمقتضى حكمته. وهو إما أن يكون ظاهراً

---

(١) للتفاصيل راجع: الصدر، الشهيد السيد محمد محمد صادق: موسوعة الإمام المهدي، الكتاب الأول (تاريخ الغيبة الصغرى)، والكتاب الثاني (تاريخ الغيبة الكبرى). والموسوعة من أربعة كتب، طبعت أكثر من مرة، وبين يديّ طبعة جديدة، توزيع مكتبة الصدر في قم وبغداد، ٢٠٠٤م.

(٢) سورة القصص، ١٨/٢٨.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، مج٥، ج٢٠، ص٢٧٦.

معروفاً كالذين سبقوا إلى الإحسان، ووصلوا إلى المحل الأعلى من ولده الأحد عشر، وإما أن يكون خائفاً مستوراً لكثرة أعدائه وقلة المخلص من أوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[1].

● **في الشؤون القضائية:**

لأهمية السلطة القضائية وضرورة نزاهتها واستقامتها، كان الإمام شديد المحاسبة للقضاة، -باعتبارهم وكلاء عنه في ردّ الحقوق، وفضّ المنازعات، وكان -أيضاً - يأمر بتوفير احتياجاتهم ليكتفوا في معيشتهم، ويقضوا بين الناس دون تأثيرات الرشاوى أو الضغوط السياسية والاجتماعية. وكان في الوقت نفسه يحاسبهم على تصرفاتهم مباشرة، فمثلاً، «روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام، قد اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً وقال له: بلغني أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وكتبتَ لها كتاباً وأشهدْتَ فيه شهوداً. فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين. قال: فنظر إليه نظر المغضِب ثم قال له: يا شُرَيْحُ، أما إنّه سيأتيك من لا ينظرُ في كتابك، ولا يسألك عن بيّنتك، حتى يُخرجك منها شاخصاً، ويُسلمَك إلى قبرك خالصاً. فانظرْ يا شريحُ لا تكونُ ابْتعتَ هذه الدار من غير مالِكَ، أو نَقَدْتَ الثّمن من غير حلالك! فإذا أنت قد خسِرْتَ دارَ الدنيا ودارَ الآخرة! أمَا إنَّك لو كنتَ أتيتني عند شرائك ما اشْتريت لكتبتُ لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغبْ في شراء هذه الدار بدرْهَم فما فوق. [وورد في

(١) البحراني، كمال الدين ابن ميثم: شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٣٠٣-٣٠٤.

النسخة هذه]. . . اشترى هذا المغترُّ بالأمل، من هذا المُزعَج بالأجَل، هذه الدار بالخروج منْ عزِّ القَناعة، والدُّخول في ذُلِّ الطَّلَبِ والضَّراعة. . شهد على ذلك العقلُ إذا خرج من أسْر الهوى، وسَلِمَ من علائق الدنيا»[١].

فنلاحظ أن الإمام قد أملى على القاضي «كتاباً زهدياً وعظياً، مماثلاً لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الأملاك»[٢]. ومن البداية نظر إليه نظر مغضب استنكاراً لشرائه للبيت في تلك الظروف، التي يفترض على الولاة والأمراء والقضاة أن يكونوا من الزاهدين عن الدنيا، ويبدو لي أن الإمام كان يخشى من تطوّر هذه الظاهرة لدى المسؤولين والقضاة بالتحديد مما يفقدهم النزاهة والاستقامة.

وحينما سئل عليه السلام: أيهما أفضل: العدل، أو الجود؟ فقال: «العدلُ يضع الأمور مواضعها، والجودُ يُخرجها من جهتها، والعدل سائسٌ عام، والجود عارضٌ خاص، فالعدلُ أشرفهما وأفضلهما»[٣]. ومراده من «العدل سائس عام» «أي مدير للأمور، يشمل كل فضيلة، فالعدل في العمل، وفي الأكل، وفي القضاء، وفي الشجاعة وهكذا»[٤]. فهو «أساس ونظام للحياة بشتى جهاتها، فالقوة بلا عدل استبداد، والحرية بلا عدل فوضى، والعلم بلا إنصاف ضلال وفساد،

---

(١) باب الرسائل، رقم ٣. شاخصاً: من شخّص الشيء، إذا عيّنه وميّزه عمّا سواه، بمعنى أبعده بذاته. البستاني، عبد الله: البستان، باب الشين، ص٥٤٦.

(٢) التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص ٥٩١.

(٣) باب الحكم، رقم ٤٣٧.

(٤) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٧٢.

وبالتالي فلا حياة بلا عدل «والجود عارض خاص» لا يشمل جميع نواحي الحياة. وهي تتم وتستقيم بلا جود»[١].

● **في اقتحام ميادين الجهاد:**

فإنه يمثل الذروة، في عمليات التربية الجهادية، حيث يعبّر عن الشجاعة النابعة من القناعة بالمبدأ والقائد، ونجاح الرياضة النفسية على أسس الجهاد. فالمقتحم المتصدي للعدو، يضع أمامه أهداف الرسالة الحقة ويسعى بكل جهده لتحقيقها، فهو يدخل في صفقة تجارية مصيرية مع الله سبحانه وتعالى فيبيع نفسه وماله مقابل رضوان الله وجنانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٢]. إن هذه الصفقة لا يبرمها كل إنسان مسلم بسهولة، بل حتى المقاوم المجاهد الذي قد تنتابه حالات الضعف الإنساني، فيخاف أو يتقهقر أمام جيوش الأعداء.

إن الإمام في تربيته الجهادية المكثفة، يعتمد أحياناً على الأسلوب الشخصي في التعبئة الروحية والتزود بالمعنويات العالية ليصل بالمسلم المقاتل في توكله التام على الله - جلّ وعلا - إلى درجة الترقب في المعركة لإحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة. وهذه الحالة المتقدمة لدى الإنسان المؤمن في تفاعله مع مبادئه الإسلامية تجعله يعيش انتعاشة روحية لا يحسّ بلذتها وقيمتها سواه. فينظر بإيمانه الخالص، إلى حياته وعدمها في الدنيا كشيء واحد، بل

---

(١) مغنية، الشيخ محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٦٩.

(٢) سورة التوبة ٩ الآية ١١١.

أكثر من ذلك يرى موته في ظروف الظلم والقهر والاستبداد، سعادةً له. كما قال سبط الرسول المصطفى ﷺ، الإمام الحسين بن علي، وقد انتهل تربيته من جدّه وأبيه وذلك في كربلاء: «إني لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما»(١).

نعم، إن علياً عليه السلام بشجاعته المعهودة، وإقدامه المعروف، وتفانيه التام في سبيل الله، إنما هو - لا سواه - الأقدر على خوض غمار هذه التربية الصعبة - بعد رسول الله ﷺ - لعمق إيمانه، وسعة تجاربه، وقد ظهرت نتائج تربيته في عهده، واستمرت تؤتي أكلها كل حين على مرّ العصور وإلى يومنا هذا. وعلى ضوء هذه الطريقة الشخصية في التربية والتوجيه، انصب اهتمامه عليه السلام بأولاده وأصحابه، ومن يسير على خطاه ويستلهم رؤاه في التربية الجهادية، فكانوا في المواقع المتقدمة في خنادق المقاومة والجهاد. وللمثال، قال الإمام لأصحابه في ساحة الحرب بصفّين: «. . إنّ الموت طالبٌ حثيثٌ لا يفوته المقيمُ، ولا يُعجزُهُ الهاربُ. إن أكرم الموت القتل! . . [ثم يضعهم أمام الامتحان الصعب، وجهاً لوجه، حيث تتوقف لغة الكلام]. . قد خُلّيتُمْ والطّريقَ، فالنّجاةُ للمُقْتحِمِ، والهَلَكَةُ للمُتَلَوِّمِ»(٢). ففي هذه الجملة الهادفة ما يكفي لإثارة المتلقي - المجاهد- ليفجّر طاقاته القتالية دون توقّف أو انتظار، لأن الإمام من خلالها يضعه في زاوية الفرصة المواتية، فإمّا الإقدام وتحقيق الغلبة،

---

(١) ابن طاوس الحسيني، علي بن موسى: اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٤. برِم - بَرَما: سئم وضجر. معلوف لويس: المنجد في اللغة، حرف الباء، ص٣٥.

(٢) باب الخطب، رقم ١٢٣. المتلوّم: المنتظر لقضاء حاجته، بمعنى المتوقّف عن أداء دوره. معلوف، لويس: المنجد في اللغة، حرف اللام، ص٧٤٠.

وإما الإحجام فالهزيمة والهلاك، وذلك لأن «المقدّم على خصمه يرتاع له خصمه، وتخذل عنه نفسه، فتكون النجاة والظفر للمقدَّم، وأما المتلوِّم عن خصمه، المحجم المتهيّب له، فإن نفس خصمه تقوى عليه، ويزداد طمَعه فيه، فيكون الظفر له، ويكون العطب والهلاك للمتلوِّم الهائب»[١].

- **الشؤون الإدارية للولاة والأمراء:**

هذه المتابعة الشخصية والمحاسبة المباشرة للولاة وأمراء الجيش والإداريين، تجعلهم يحسبون حساباً جدياً للتساؤل والاستجواب، فهم - ومهما بلغوا في مواقعهم السياسية والإدارية والعسكرية - تحت سقف القانون الشرعي الذي يتساوى الجميع لديه. وهم لصدارتهم وتصديهم في إدارة النظام، يُسألون عمّا يفعلون، ويُحاسبون أيضاً، بل يُعزلون عن مواقعهم عند إثبات فسادهم أو عدم كفاءتهم. وبذلك يشعر المواطنون أنّ الدولة الإسلامية هي الأم الحنون، التي تسهر لتوفير الأمن والراحة لهم، وترعى شؤونهم، وتقضي حوائجهم. يقول الإمام عليه السلام في عهده إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، حين قلّده مصر: «فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يُسائلكم معشَر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة..»[٢]. فالإمام عليه السلام

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٢٠٦.

(٢) باب الرسائل، رقم ٢٧. آس: أمر من آسى - بمد الهمزة -أي سوّي. يريد: اجعلْ =

يضع الوالي في صورة المحاسبة الإلهية الدقيقة التي تنتظره غداً يوم القيامة، عن الأعمال الصغيرة والكبيرة، العلنية والمخفية، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١]. لذلك طالبه أن يساوي بين الرعيَّة في المعاملة، فهم سواسية في ظل الإسلام، والوالي الحاكم يمثل نموذج المؤمن المطبّق لرسالة الله، وعليه ألّا يفضّل «بعضهم على بعض في اللّحظة والنظرة فضلاً عن العطاء والإنعام والتقريب»[٢]. وبالفعل إنّ تساوي النظرة والابتسامة والاهتمام النفسي للجميع، يمنع طمع ذوي المال والجاه والمترفين في المجتمع من توجيه الظلم لعامة النّاس من أجلهم، «فإنهم إذا رأوا من الوالي زيادة عناية طمعوا في أن يجرّوه إلى جانبهم فيما يريدون فعله من ظلم الضعفاء»[٣].

وفي هذا الاتجاه كتب إلى عثمان بن حنيف الأنصاري - وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها - قوله: «أمّا بعدُ، يا بْن حُنيفٍ: فقد بلغني أنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدُبة فأسرعتَ إليها تُستطابُ لك الألوان، وتنقل إليك الجِفانُ. وما ظننْتُ أنَّك تجيبُ إلى طعام قومٍ، عائلُهم مجْفوٌّ،

---

= بعضهم أسوة بعض، أي مستوين. وحيفك لهم: أي ظلمك، لأنهم يطمعون في ذلك إذا خصصتهم بشيء من الرعاية. عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٧.

(١) سورة الكهف، ١٨/ ٤٩.

(٢) التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٦٢١.

(٣) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٤، ص٢٢.

وغنيّهم مدعُوٌّ. فانظر إلى ما تقضَمُهُ من هذا المقضَم، فما اشتبهَ عليك علمُهُ فالْفظْه، وما أيقنتَ بطيب وجوهِهِ فَنَلْ منه..»[1]. يشير الإمام في عتابه وتوبيخه للوالي إلى سرعة إجابته لتلك المأدبة، المتميّزة بأصناف الأطعمة وكثرتها، والخاصّة بالأغنياء دون الفقراء، ونلاحظ -هنا- التفاتة تربوية لطيفة في قوله: «وما ظننتُ أنك تجيب..»، «أي كان ظنّي فيك من الورع أنك تنزّه نفسك عن الإجابة إلى طعام قوم لا يلتفتون إلى فقرائهم، ويقصرون الدعوة والكرامة على أغنيائهم وأمرائهم.. إنما يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى، ومن كان كذلك فإجابته موافقة له على ذلك ورضىً بفعله،

---

(١) باب الرسائل، رقم ٤٥. تستطاب لك: يطلب لك طيبها. الألوان: المراد هنا أصناف الطعام. الجفان - بكسر الجيم جمع جفنة - وهي القصعة. عائلهم: محتاجهم. مجفو: مطرود. قضِم - كسمع - أكل بطرف أسنانه، والمراد الأكل مطلقاً. والمقضم - كمقعد-: المأكل. الفظه: اطرحه. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٩١-٦٩٢، الرقم ٣٨٦٤-٣٨٧٠. عثمان بن حنيف الأنصاري ثم الأوسي، هو أحد السابقين الأشراف الثقاة، ولّاه الخليفة عمر مساحة الأرضين وجبايتها بالعراق، وضرب الخراج والجزية على أهلها. وولّاه الإمام علي على البصرة، وفي عهد ولايته وقعت معركة الجمل، وقد عانى من أصحاب الجمل التعذيب الشديد والإيذاء وقد قتل من أصحابه على أيديهم قبل المعركة، سكن الكوفة بعد شهادة الإمام ومات في عهد معاوية. الحسيني، صدر الدين علي خان المدني الشيرازي: الدرجات الرفيعة، ص٣٨١-٣٨٨. وأخوه سهل بن حنيف، الصحابي الجليل المعروف، وهو من البدريين، وقد أبلى بلاءً حسناً في أُحد. وهو من السابقين الذين رجعوا إلى علي عليه السلام مع أخيه عثمان. كان عامله على المدينة، وقد شهد صفين معه، وكان من أحب الناس إليه، توفي بالكوفة بعد رجوعه من صفين عام ٣٨هـ. الحسيني، صدر الدين: الدرجات الرفيعة، ص٣٨٨-٣٩١.

وذلك خطأ كبير خصوصاً من أمراء الدين المتمكنين من إنكار المنكرات»[١]. إن هذه الالتفاتة تزوّد الوالي وعياً تربوياً مكثّفاً، وتدعوه للنظر في حسابات حركته، وذلك لإرجاع رصيده النزيه في ظن الإمام به. وعملياً رسم له الإمام الطريقة الفضلى للابتعاد عن مواضع الشبهات - مكاناً وتناولاً- ليبقى نقياً في إيمانه، صافياً في علاقاته، ملتصقاً بهموم الناس، معالجاً لأزماتهم، وذلك بالابتعاد عن الاحتكاك بالمترفين والتأثر بهم، وتجنب الأكل المختلط حلاله بحرامه.

بهذه المتابعات الدقيقة المباشرة كان يشخّص نقاط الضعف ويوجه أصحابه لتجنبها، ويبيّن نقاط القوة لتكريسها فيهم.

---

(١) البحراني، كمال الدين ابن ميثم: شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٩٧.

# المطلب الثالث

## الرسائل والحِكم

إن هذه الوسيلة التربوية لا تقل أهمية من الخطابة العامة والمواعظ الخاصة، حيث إنّ الرسائل المكتوبة التي بعثها الإمام إلى أعداء الإسلام بشكل عام والمناهضين لدولة الإسلام خصوصاً، وكذلك الرسائل التي صدرت عنه إلى ولاته على الأمصار وأمراء الجيش وإلى أهله وأصحابه أيضاً، وما تضمنت من عهود ووصايا عامة أو خاصة، هي من الأهمية الكبيرة التي تشكل منها وسيلة مهمة من وسائل التربية الجهادية عند الإمام علي عليه السلام، وذلك لظهور مواقفه الشرعية والعملية من خلالها وما تتطلب من إعداد وسلوك.

**نبحث هذا المطلب ضمن المحاور التالية:**

١• معنى الرسائل وأهم الفوارق والمشتركات بين الخطب والرسائل.

٢• باب الرسائل في نهج البلاغة.

٣• أنواع الرسائل والوصايا.

٤• العهود والأحلاف والأدعية.

٥• باب الحِكم والمواعظ الكبار في الكلمات القصار في نهج البلاغة.

## ● معنى الرسائل وأهم الفوارق والمشتركات بين الخطب والرسائل:

الرسالة نوع من الكلام المنثور الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إلى جانب المحادثة والخطابة، فالكلام المنثور هو: «إمّا حديث يدور بين بعض الناس وبعضٍ في إصلاح شؤون المعيشة واجتلاب ضروب المصالح والمنافع.. وإما خطاب من فصيح نابه الشأن يُلقيه على جماعة في أمر ذي بال.. وهذا ما يسمى (الخطابة). وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ. أو لحفظه للخَلَف. أو لبعد الشّقة بين المتخاطبيْن. وذلك ما يسمى (الكتابة»)[١].

وإن الرسائل والمكاتبات تعني معنىً واحداً، يقول أحمد الهاشمي: «المكاتبة وتُعرف أيضاً بالمراسلة، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم، وفائدتها أوسع من أن تُحصر، من حيث إنّها تُرجمان الجَنان ونائب الغائب في قضاء أوطاره ورباط الوداد مع تباعد البلاد. وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، والنسبة بينهما»[٢]. من هنا نفهم العلاقة المتداخلة بين الخطابة والرسالة، فإذا كانت الخطابة صناعة فنية لإلقاء الكلام لغرض إقناع الناس وتوجيههم وتربيتهم عبر السمع والبصر، فإن كتابة الرسائل هي كذلك صناعة فنية لأداء الأفكار، عبر كتابتها للغاية ذاتها.

فإذن الخطابة والرسالة تشتركان في كونهما صناعة فنيّة للكلام، وإنهما يقصدان هدفاً مشتركاً في التربية والتوجيه، إلّا أنّ الفوارق الرئيسية تتركز في كون الخطابة تُلقى شفوياً على الأسماع، والكتابة

---

(١) الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ط١٣، ص٣٣٣.

(٢) الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب، المرجع ذاته، ص ٣٩.

تكتب على الألواح والورق. ومن الطبيعي أن نقول، هنالك خصوصية في تفاصيل أصول الأداء وقواعده لكلّ منهما. يقول أبو هلال العسكري: «واعلم أن الرسائل والخطب مشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل. فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتّاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلّا أن الخطبة يشافه بها والرسالة يكتب بها. والرسالة تجعل خطبة، والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة، ولا يتهيأ مثل ذلك في الشعر في سرعة قلبه وإحالته إلى الرسائل إلّا بكلفة، وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعراً إلّا بمشقة..»[١].

ومن المعلوم أن الكتابة تكون أكثر تركيزاً في انتقاء المفردات والعبارات، للتعبير عن الأفكار بدقة، ولدعمها بالأدلة والبراهين، لأن الكاتب يتناول موضوعه بعيداً عن أنظار الناس، فيتعمق بالتفكير ضمن جوّ نفسي أكثر ملائمة من الخطيب، ففرصته للإعداد والمراجعة أكبر من الخطيب، لوضع أفكاره في صياغة لفظية مكتوبة. بينما تكون صياغة الخطبة في الهواء الطلق - كما يقال - أمام أنظار ومسامع الناس مباشرة، فيقع تحت تأثير الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة به. صحيح أنّه يحضّر أفكاره واستدلالاته عليها، قبل الإلقاء، لكنه في حالة الأداء يتأثر بمحيطه ويتفاعل مع الأجواء السائدة. وعليه تكون «الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة، والترغيب في

(١) العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين، ص ١٣٦.

الطاعة والنهي عن المعصية، سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة، تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب»[١].

### رسائل وخطب الإمام علي عليه السلام:

لا تختلفان في متانة سباكتهما، وقوة ألفاظهما، وجودة عباراتهما، ووضوح المعاني وانسياب الكلام فيهما، وإنهما تعبّران بدقة عن أفكار الإمام وأهدافه، فالمتلقّي حينما يقرأ رسالة الإمام أو خطبته ينشدّ بكل جوارحه نحو مطالبها. يقول الدكتور محسن الموسوي: «نحن لا نجد [فرقاً] بين ما يكتبه أمير المؤمنين وبين ما يخطبه، وهذا إن دلّ على شيءٍ فهو دليل على بلاغته عليه السلام، أما مسألة الطول والقصر والإيجاز فهي مرتبطة بطبيعة الرسالة والموضوع الذي كتب من أجلها، وطبيعة المرسل إليه»[٢].

### أركان كتابة الرسائل:

تبدأ بالمقدمة التي توضح المقصود، ثم تُعرض الفكرة مع أدلتها، ومن ثمّ الخاتمة - كالخطابة - إلّا أن المتلقّي للرسالة، هو بنفسه يستنطق الكلمات الصامتة، فيعيها ويعرف مراد الكاتب. وبعبارة أخرى تكون هذه الألفاظ المكتوبة في الكتاب جسراً موصلاً للمعنى المقصود، وكلما كان الكتاب دقيقاً واضحاً، فإنه يعبّر عن أهميته وموقع الكاتب والموضوع، وبذلك يكون أثره كبيراً، لذلك وضعت مواصفات للكتاب تضمن سلامته ونجاحه «أولها: أن يكون مطلع

---

(١) العسكري - المرجع ذاته - ص ١٩٠.

(٢) الموسوي، د. محسن باقر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص ١٠٠.

الكتاب عليه جدّة ورشاقة فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع. أو أن يكون مبنياً على مقصد الكتاب.

الثاني: أن يكون خروج الكاتب من معنىً لمعنىً برابطة، لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض، ولا تكون مقتضبة.

الثالث: أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال.. أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً غريباً، يظن السامع أنها غيرها في أيدي الناس، وهي ممّا في أيدي الناس»[1]. وسنجد تطابق هذه المواصفات وغيرها، في كتب الإمام علي عليه السلام، لذلك احتفظت رسائله بالحيوية الهائلة والقدرة على التأثير والقوة التغييرية للمتلقّين إلى الآن.

- **باب الرسائل في نهج البلاغة:**

إن باب المختار من كتب الإمام علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده، وما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه ضمن هذا الباب: ٦٣ كتاباً، ١٠ وصايا، عهدان، حلف واحد، دعاء واحد، قول واحد، وكلام واحد. فمجموع الرسائل الواردة وما شابهها وادخل معها في باب الرسائل يساوي ٧٩.

وبالإجمال اعتمد الإمام على هذه الوسيلة في تربيته الجهادية، كإحدى الوسائل المهمة في توجيه ومحاسبة خواصّ أصحابه والولاة وأمراء الجيش وأبنائه، للحفاظ على الروح الجهادية والإيمانية لديهم، وضمان انعكاساتها في الأمة، بل لتنميتها وتطويرها لمصلحة

(١) الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب - مرجع سابق - ص ١٨.

الإسلام والمسلمين. وبالفعل نرى صفة الشمولية لبعض الرسائل والوصايا والعهود، حيث تناول الإمام فيها إلى جانب الأوامر والتذكير بالعواقب والمحاسبة الإلهية على التقصير، وضّح فيها خططاً إدارية، وأساليب تنظيمية، ونصائح كافية، كل ذلك لضمان سير المتلقّين لرسائله على خطى الإسلام والإيمان. فكان عليه السلام يضع النقاط على الحروف بشكل واضح مبيّناً نقاط القوة والضعف في الإنسان والمجتمع، وأسلوب توجيه القوة ومعالجة الضعف، مراعياً في ذلك الظروف الموضوعية للمجتمع، وشخصية المخاطَب الذي يُطلب منه التنفيذ، أو يلومه على الأخطاء أو أي غرض آخر يتناوله الإمام. للتوضيح نذكر من كتاب له إلى معاوية قال فيه: «وكيف أنتَ صانعٌ إذا تكشّفتْ عنك جلابيبُ ما أنتَ فيه من دُنيا قد تبهّجتْ بزينتها، وخدَعتْ بلذّتها. دعتْك فأجَبْتَها، وقادتك فاتبَّعْتها، وأمَرَتْك فأطعتَها. وإنَّه يوشِكُ أن يَقفَك واقفٌ على ما لا يُنجيك منه مِجَنٌّ، فاقْعَسْ عن هذا الأمر، وخُذْ أهْبَةَ الحساب، وشمّرْ لما قد نزل بك، ولا تمكّنْ الغُواةَ من سمْعك..

ومتى كنتم يا معاويةُ ساسةَ الرَّعية، ووُلاة أمر الأمّة؟ بغير قدَم سابق، ولا شرفٍ باسقٍ، ونعوذُ بالله من لزوم سوابق الشَّقاء، وأحذِّرُكَ أن تكون متمادياً في غِرّة الأمْنيّة، مُختلفَ العلانية والسَّريرة.

وقد دعوتَ إلى الحرب، فدع النّاس جانباً واخرُج إليّ..»[1].

---

(١) باب الرسائل، رقم ١٠. الجلابيب - جمع جلباب - وهو الثوب فوق جميع الثياب كالملحفة. تبهّجت: تحسنت. المجن: التُرس. أي يوشك أن يطلعك الله على مهلكة لك لا تتقي منها بِتُرس، ورويت (مُنْج بدل مجَن). قَعَسَ: تأخر. الأُهبة - بضم الهمزة- العُدّة. الغُواة: جمع غاوٍ، قرين السوء الذي يزيّن لك الباطل ويغريك =

طلب الإمام عليه السلام من معاوية أن يتراجع عن أهوائه وطموحاته الدنيوية، ويحقن دماء المسلمين من فتنته. والملاحظ في جواب الإمام، إنه جاء ردّاً مناسباً لرسالة معاوية التي بعثها إليه. يقول ابن أبي الحديد: «وإنما قال أمير المؤمنين - عليه السلام - لمعاوية هذه الكلمة، لأن معاوية قالها في رسالة كتبها، ووقفْتُ عليها من كتاب أبي العباس يعقوب بن أبي أحمد الصَّيْمري الذي جمعه من كلام علي - عليه السلام - وخُطبه، وأولها: أما بعد، فإنك المطبوع على قلبك، المغطّى على بصرك، . . فشمِّرْ للحرب، واصبر للضرب. .»[1].

## • أنواع الرسائل والوصايا:

يمكننا تقسيم الرسائل والوصايا في نهج البلاغة إلى عدة أنواع، حسب أغراضها، سنذكر مثالاً لكل نوع، وسنشير إلى المزيد من الأمثلة في الهامش. وأنواعها هي:

### أ- الرسائل السياسية العامة:

وهي التي كان يبعثها الإمام إلى بعض البلدان لتوضيح الرؤية السياسية، وتحليل الوقائع السياسية الداخلية والخارجية، وتحديد الموقف الشرعي المطلوب من مجريات الأحداث، وهذه الرسائل

---

= بالفساد. ساسة: جمع سائس. الباسق: العالي الرفيع. الغرّة - بالكسر - الغرور. الأمنية - بضم الهمزة -: ما يتمناه الإنسان ويؤمل إدراكه. المنهاج: هو هنا طريق الدين الحق. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٧٦، رقم ٣٣٥٧-٣٣٦٧.

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، المجلد الثامن، ج ١٥ ص ٥٩.

هي أشبه ما تكون بالبيانات السياسية الصادرة عن موقع الخلافة. مثلاً، كتب إلى أهل الكوفة: «من عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، جبهة الأنصار، وسنام العرب. أما بعدُ، فإنّي أخبركم عن أمر عثمانَ حتى يكون سمعُهُ كعيانه. إنّ الناس طعنوا عليه، فكنتُ رجلاً من المهاجرين أكثرُ استعتابه وأقلُّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهونُ سيْرهما فيه الوَجيفُ، وأرفقُ حِدائهما العنيفُ. وكان من عائشة فيه فَلْتَةُ غَضَبٍ، فأتيحَ له قومٌ فقتلوهُ، وبايعني الناسُ غيرَ مُستكرهَين ولا مُجبرَين، بل طائعين مخيَّرين.

واعلموا أنَّ دارَ الهجرة قد قلعتْ بأهلها وقلعُوا بها، وجاشَتْ جيشَ المِرْجَل، وقامت الفتنةُ على القُطْبِ، فأسرِعوا إلى أميرِكم، وبادروا جهاد عدوّكم، إن شاء اللهُ ﷻ»[1]. وفي هذه الرسالة المهمّة يبين الإمام موقفه الايجابي ودوره الاسترضائي إبّان الفتنة على الخليفة عثمان، محاولاً تقريب الخليفة من مطالب المسلمين المشروعة، وذلك لردم الهوّة الحاصلة بين الطرفين، وإخماد نار الفتنة، وكأنه يقول لأهل الكوفة: «كنت أكثر طلب رضاه، وأقلّ عتابه وتعنيفه على الأمور، وأما طلحة والزبير فكانا شديديْن عليه.. وجملة «أهون سيرهما الوجيف» خبر كان، أي أنهما سارعا لإثارة الفتنة عليه»[2].

---

(١) باب الرسائل، رقم ١. عيانه: رؤيته. استعتابه: استرضاؤه. الوجيف: ضرْب من سير الخيل والإبل سريع. الحداء: زجل الإبل وسوْقها. دار الهجرة: المدينة. قلع المكان بأهله: نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم. جاشت: غلت. المرجل: القدر. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٧٥، رقم ٣٣٠٢-٣٣٠٩. للمزيد من الأمثلة راجع، باب الرسائل، رقم ٥٩، ٥٧، ٥٨، ٦٢.

(٢) التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٥٨٧.

وهكذا كانت أم المؤمنين عائشة مستاءة منه، وقد حرّضت الناس على قتله بقولها: «اقتلوا نعثلاً، تشبهه برجلٍ معروف»[١]. وبالنتيجة قتل الخليفة لهذه التحريضات التي أشعلت نار الفتنة. ثمّ طالبهم بالخروج لحرب مثيري الفتنة -أصحاب الجمل- وذلك إلى جانب أهل الهجرة والنصرة في المدينة المنورة، وبقيادته الشرعية.

### ب- الرسائل السياسية الخاصة بالأعداء:

وهي رسائل احتجاج ومحاكمة وتحدّي بعثها الإمام إلى معاوية وطلحة والزبير وغيرهم، بعضها إجابات لرسائلهم، ردّ فيها على حججهم وكشف عن غاياتهم الدنيوية، وما كانت تخلو أحياناً من التهكم والسخرية على رسائلهم، والإحراج لهم، فمثلاً كتب إلى معاوية جواباً، جاء فيه: «وأمّا طلبُك إليّ الشّامَ فإني لم أكن لأعطيك اليومَ ما منعتُك أمس. وأمّا قولُك: إنّ الحربَ قد أكلتِ العربَ إلّا حُشاشات أنفس بقيتْ، ألا ومن أكلَهُ الحقُّ فإلى الجنّة، ومن أكلَهُ الباطلُ فإلى النّار. وأمّا استواؤُنا في الحربِ والرجال فلسْتَ بأمضى على الشَّكِّ منّي على اليقين، وليس أهلُ الشام بأحرصَ على الدنيا من أهلِ العراق على الآخرة. وأمّا قولُك: إنّا بنو عبد مناف، فكذلك نحنُ، ولكن ليس أميّةُ كهاشم، ولا حربٌ كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطّليق، ولا الصّريح كاللّصيق، ولا المحقّ كالمُبْطل، ولا المؤمن كالمُدْغل. ولبئس الخَلْفُ خلْفٌ يتْبعُ سَلَفاً هوى في نار جهنم..»[٢].

---

(١) عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٣.

(٢) باب الرسائل، رقم ١٧.«كتب معاوية إلى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه =

يقول ابن أبي الحديد: «فإن قلت: فما معنى قوله: «ولا الصريح كاللّصيق»، وهل كان في نسب معاوية شبهة ليقول له هذا؟ قلت: كلا إنه لم يقصد ذلك، وإنما أراد الصريح بالإسلام، اللّصيق بالإسلام، فالصريح فيه هو من اسلم اعتقاداً وإخلاصاً، واللصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبةً في الدنيا.. فإن قلت: فما معنى قوله: «ولبئس الخلف..»؟ وهل يعاب المسلم بأن سلفه كانوا كفّاراً! قلت: نعم، إذا تَبع آثار سلفه واحتذى حذوهم، وأمير المؤمنين عليه السلام ما عاب معاوية بأنّ سلفه كفّار فقط، بل بكونه متّبعاً لهم»[1].

### ج- رسائل ووصايا للاداريين:

وكان عليه السلام يتناول فيها أمور الولاة والإداريين للدولة بشكل

---

= للشفقة على العرب.. الذين أكلتهم الحرب.. فأجابه أمير المؤمنين بما ترى». الطليق: الذي أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية. وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح. الصريح: صحيح النسب في ذوي الحسب.واللصيق من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم. المُدغل: المفسد. عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٦-١٧. وحول إسلام أبي طالب يقول العلّامة الطباطبائي في تفسيره الميزان مج٩ ح١١ ص٤٠٦: «وقد اتفقت الرواية عن أئمة أهل البيت -عليهم السلام - انه كان مسلماً غير متظاهر بإسلامه ليتمكن بذلك من حماية النبي صلى الله عليه وآله، وفيما روي بالنقل الصحيح من أشعاره شيء كثير يدل على توحيده وتصديقه النبوة». للمزيد من الاطلاع راجع كتاب -صدر حديثاً بعنوان - (ظلامة أبي طالب تاريخ ودراسة) للسيد جعفر مرتضى العاملي طبع بيروت - المركز الإسلامي للدراسات ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. وغيره من الكتب المعينة.

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، المجلد ٨، ج ١٥ ص ٨٢-٨٣. للمزيد من الأمثلة راجع باب الرسائل رقم: ٦، ٧، ٨، ٩، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٦٤.

خاص، فيضمّنها أوامره ونواهيه، وتعليماته الإدارية، ونصائحه وتوجيهاته وتحذيراته وتوقعاته وأخباره أيضاً. بالإضافة إلى محاسبته لهم وتأنيبه إياهم -إن استوجب الأمر- كل تلك الإجراءات الإدارية لغرض استمرار عملية التربية للولاة والإداريين عموماً، ولكي لا تغريهم المواقع الإدارية، والإمكانيات المتوفرة لهم، فتضعف قيم الجهاد والمقاومة في نفوسهم خصوصاً في مثل ظروفهم التي تتوافر من خلالها فرص أكبر لابتسامة الدنيا وطول الأمل. فمن كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري - وكان عامله على البصرة - وبعد أن عاتبه على استجابته إلى مأدبة الأغنياء ذكرّه في ختام رسالته بصفات المؤمن المجاهد، وسلوك أبناء القرآن وحزب الله حيث قال: «طُوبى لنفسٍ أدّتْ إلى ربِّها فَرْضَها، وعركَتْ بجنبها بؤسَها، وهجَرتْ في الليل غُمضَها، حتى إذا غلبَ الكرى عليها افترشتْ أرضها، وتوسّدتْ كفّها، في معشرٍ أسْهَرَ عيونَهم خوفُ مَعادِهم، وتجافتْ عن مضاجعهمْ جنوبُهمْ، وهمهَمَتْ بذكر ربهم شفاهُهُمْ، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبُهم، ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فاتَّقِ اللهَ يا بْنَ حُنَيْفٍ، وْلتَكْفُفْ أقراصُكَ، ليكون من النّار خلاصُك»[1].

---

(١) باب الرسائل، رقم ٤٥. والآية الكريمة من سورة المجادلة ٥٨/ ٢٢. البؤس: الضر. وعرك البؤس بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه. الغُمض - بالضم -: النوم. الكَرَى - بالفتح -: النعاس. افترشت أرضها: لم يكن لها فراش. توسّدت كفها: جعلته كالوسادة. تجافت: تباعدت ونأت. مضاجع، جمع مضجع: موضع النوم. الهمهمة: الصوت الخفي يتردد في الصدر. تقشعت جنوبهم: انحلّت وذهبت كما يتقشع الغمام. ولتكفُفْ أقراصُك: المراد أمر ابن حنيف بالكف عنها استعفافاً. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٩٤، رقم ٣٩٤٢-٣٩٥١. للمزيد من أمثلة هذه الرسائل راجع باب الرسائل، رقم٥، ١٨، ١٩، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٥١، ٧١، وغيرها.

وفي هذا المقطع، وهو الأخير من رسالته، بيّن الإمام ثلاث صفات لحزب الله: «فالأولى: القيام بواجب طاعة الله وما افترضه عليها. الثانية: قوله «وعركت بجنبها بؤسها»، كناية عن الصبر على نزول المصائب. يقال: عرك فلان بجنبه الأذى، إذا أغضى عمّن يؤذيه وصبر على فعله به. ويلازم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ.. الثالثة: أن تهجر بالليل غمضها، وهو كناية عن إحياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها بذكره، حتى إذا غلب النوم عليها افترشت أرضها وتوسدت كفّها، أي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وساد..»[1]. هذه الحالة الفردية تكون ضمن معشر متجانس في السلوك الهادف والعبادة الواعية، ممّا يجعل هذه الجماعة متماسكة فكرياً ومصيرياً، همهّم الخلاص والفوز يوم الحساب.

### د- رسائل ووصايا في الشؤون العسكرية:

أي القضايا العامة للجيش، والحربية الخاصة لأمراء الجيش، وكانت تدور حول مسائل إعداد الجند بالتجهيزات المادية، والأهم من ذلك تعبئتهم بالروح المعنوية العالية وتحريضهم على الاستجابة لأمر الجهاد المقدس والصبر أثناء المقاومة والقتال. وبذلك تتكامل التربية الجهادية في جيش المسلمين من الجانب المادي والجانب الروحي، لتسود حالة الانضباط والطاعة للقيادة، في الإقدام على جهاد العدو ومواصلة القتال. كما وكانت تتضمن أوامره العسكرية، وتوجيهاته الخاصة إلى الأمراء، لتنتظم صفوف الجند وتوزّع المهام

(١) البحراني، كمال الدين بن ميثم: شرح نهج البلاغة، ج٥، ص١١١، طبع دار الثقلين.

ضمن الخطة المرسومة. فمن كتاب له إلى أمرائه على الجيش: «من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح:

أما بعدُ، فإنّ حقّاً على الوالي ألا يُغيّره على رعيّته فضلٌ نالَهُ، ولا طَوْلٌ خُصَّ به، وأنْ يزيدَه ما قسمَ الله له من نعمه دُنُوّاً من عباده، وعطفاً على إخوانه.

ألا وإنَّ لكم عندي ألّا أحتجزَ دونَكم سرّاً إلّا في حربٍ، ولا أطوي دونكم أمراً إلّا في حُكمٍ، ولا أؤخر لكم حقّاً عن محلّه، ولا أقفُ به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلتُ ذلك وجَبتْ لله عليكُمُ النّعمةُ، ولي عليكم الطاعة، وألّا تنكُصُوا عن دعوة، ولا تفرّطُوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق..»[1]. فالأمر الذي يؤكده الإمام هنا هو المزيد من الاقتراب نحو العباد كلما تحقق النصر والتقدم. وبذلك يتحقق التلاحم الفعلي بين عناصر الجيش والقائد، مع احتفاظ الأخير بمساحة خاصة من السّريّة العسكرية المطلوبة.

### هـ - رسائل النصح والإرشاد والتوجيه:

وهي تمتاز بالإثارة الوجدانية مع خواص أصحابه، وبذلك

(١) باب الرسائل، رقم ٥٠. المسالح - جمع مسْلحة: أي الثغور، لأنها مواضع السلاح، وأصل المسْلحة: قومٌ ذوو سلاح. الطوْل: عظيم الفضل. أحتجز: أستر. طواه عنه: لم يجعل له نصيباً فيه. دون مقطعه: دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم. لا تنكصوا: لا تتأخروا إذا دعوتكم. الغمرات: المشاق العظمية والشدائد. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٦٨٥. للمزيد من الأمثلة راجع باب الرسائل رقم ١١، ١٢، ١٣، ١٦، ٧٩.

يشخص الإمام مواضع الاهتمام لدى المؤمنين حقاً، وذلك في جهاد النفس والعدو الخارجي معاً، وبهذا الأسلوب تردم الفجوات وترمّم النواقص في حياتهم لتبقى نقية - بالتمام - في محراب العبادة والطاعة. كما وقد تأخذ هذه الرسائل والوصايا طابعاً توجيهياً عاماً لتشمل عموم الإداريين في الدولة والحياة الاجتماعية. ومن هنا تمتاز هذه الرسائل بقوة هائلة في التأثير على المتلقين لا في زمن الإمام مباشرة فقط بل على مر العصور، لأنها تتناول الحالة الواقعية والمصيرية للإنسان، بالحديث الوجداني والمحاسبة الذاتية والنصيحة القلبية، فهي تبلغ غاية الأهمية في العملية التربوية حينما تستنزل إلى المعالجة المباشرة -وجهاً لوجه- في احتكام صريح مع ثوابت السلوك الإيماني، وبذلك تأخذ مفعولها التغييري نحو الإصلاح والجهاد.

فمثلاً كتب إلى الحارث الهمْداني رسالة مهمة ذكرنا قسماً منها في المطلب السابق بالمحور الثاني فيما يخص الشؤون العبادية وذكر الموت، وهنا نذكر منها ما يخص الإرشادات الاجتماعية والارتباط بالناس، فيقول: «واحْذَرْ صحابة من يَفيلُ رأيُهُ، ويُنكَرُ عملُهُ، فإنَّ الصاحبَ معتبرٌ بصاحبه. واسْكُنِ الأمصارَ العظامَ فإنَّها جِماعُ المسلمين، واحْذَرْ منازلَ الغفلةِ والجفاءِ وقلّة الأعوان على طاعة الله، واقْصُرْ رأيك على ما يعَنيك، وإياك ومقاعِدَ الأسواق، فإنّها محاضرُ الشيطان، ومعاريض الفتن.. وإياك ومصاحبةَ الفُسّاقِ، فإنَّ الشَّرَّ بالشَّرِّ ملحقٌ، ووقّر اللهَ، وأحببْ أحباءهُ، واحْذَرْ الغضبَ فإنّه جندٌ عظيم من جنود إبليس، والسلام»[1]. ومما لا يخفى فإن في هذا

(١) باب الرسائل، رقم ٦٩. فال الرأي يفيلُ: أي ضعُف. المعاريض: جمع معراض - =

الكتاب دروساً اجتماعية تستمد استقامتها من وعي الاحتكاك بعناصر المجتمع، فيحذره الإمام - كما يحذرنا - من مرافقة ضعفاء الرأي وفساده. قال طرفه: [الطويل]

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه فإنّ القرين بالمُقارن يقتدي

كما ويحذره من مقاعد الأسواق لكونها «مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي مبدؤها الشيطان. ومعاريض: جمع معرض وهو محل عروض الفتن»(١). وبالفعل هي مواطن إثارة اللذات والشهوات، ومنها تنطلق الآفات الاجتماعية والانحرافات السلوكية، فالابتعاد عنها إلّا للعمل والضرورة أسلم لتقوى الإنسان.

وقوله عليه السلام: «وإياك ومصاحبة الفسّاق، فإن الشر بالشّر ملحق» أي: «إن الطباع ينزع بعضها إلى بعض، فلا تصحبن الفسّاق فإنه ينزع بك ما فيك من طبْع الشرِّ إلى مساعدتهم على الفسوق و المعصية، وما هو إلّا كالنار تقوى بالنار، فإذا لم تُجاورْها وتُمازجْها نارٌ كانت إلى الانطفاء والخمود أقرب»(٢).

ومن شدّة تحذيره من الغضب يصفه بأنه «جند عظيم من جنود

---

= كمحراب- سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط، يصيب بعرضه دون حدّه. عبده، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٣٠. للمزيد من الاطلاع على هكذا رسائل، راجع رسالة رقم ٧٢، إلى عبد الله بن العباس. ورقم ٤٦، إلى بعض عمّاله.

(١) البحراني، كمال الدين ابن ميثم: شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٢٠٩، طبع دار الثقلين.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، المجلد ٩، ج١٨، ص ٢٣٢.

إبليس»، يقول ابن أبي الحديد في شرحه: «لأنه أصلُ الظلم والقتل وإفساد كلّ أمر صالح، وهو إحدى القوتين المشؤومتين اللّتين لم يخلق أضرّ منهما على الإنسان. وهما منبع الشر: الغضب والشهوة»[١].

● **العهود والاحلاف والأدعية:**

يحتوي نهج البلاغة على خمسة أدعية وثلاثة عهود وحلف واحد، جعلها السيد الرضي ضمن باب الرسائل إلّا أربعة من أدعيته عليه السلام أوردها في باب الخطب[٢].

**عهود الإمام:**

حينما يبعث الإمام - الخليفة - باعتباره الحاكم الأعلى للدولة الإسلامية أحداً من رجاله لأداء مهمة إدارية، يزوّده بكتاب عهد له مع تعيينه بهذا المنصب الإداري والسياسي، يثبت من خلاله المسؤوليات والواجبات والوصايا الخاصة والعامة -على الإداري المعيّن وعلى الأمة أيضاً- وذلك لضمان تطبيق الإسلام، وتوثيق الروابط بين المسلمين على أسس الإيمان والتقوى، فيوضح الإمام في عهده الخطوط العريضة للسياسة والإدارة ضمن أسس الإيمان والأخلاق والآداب، ليتم حفظ حقوق العباد وحماية البلاد تحت لواء الخلافة

(١) المرجع ذاته، ص ٢٣٢.

(٢) راجع أدعية الإمام في باب الخطب، رقم ٧٨، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٧، والدعاء الخامس في باب الرسائل رقم ١٥. أما عهوده فهي في باب الرسائل رقم ٢٦، ٢٧، ٥٣. أما الحلف المذكور فهو في باب الرسائل رقم ٧٤.

الشرعية. وقد اختار الشريف الرضي ثلاثة عهود: العهد الأول إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة، جاء في ختامه «.. وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأفظع الغش غش الأئمة»[١]. وذلك لأنها خيانة جميع المسلمين وليس خاصة بأحدهم، «ومستلزمة لغشّ الإمام الذي هو أفضل الناس وأولاهم بالنصيحة، فإذا كان مطلق الخيانة ولو في حقّ أقلّ الخلق وأحقر الأشياء منهيّاً عنها ويستحق العقاب والخزي عليها، فبالأولى مثل هذه الخيانة العظمى. وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالأمانة»[٢].

والعهد الثاني: كتبه لمحمد بن أبي بكر - رضي الله عنه - حين قلده مصر[٣]. والعهد الثالث كتبه لمالك الأشتر[٤] -رضي الله عنه- عندما ولّاه

(١) باب الرسائل، رقم ٢٦.

(٢) البحراني، كمال الدين: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٣٦٩.

(٣) باب الرسائل، رقم ٢٧.

(٤) هو مالك بن الحارث.. النخعي وهو من ثقاة التابعين وكان رئيس قومه، شهد معركة اليرموك فشترت عينه والشتر هو انقلاب في جفن العين الأسفل فلقّب بالأشتر. عرف عنه إنه خطيب بليغ، وقائد عسكري شجاع، وكان من أشد الناس إخلاصاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام، اشترك في معركة الجمل، وشهد صفين، وكان على ميمنة الجيش، ولما عاد الإمام من صفين، عيّنه والياً على مصر، وزوّده بتعاليمه الإدارية القيّمة في عهده المشهور، ولكنه استشهد مسموماً في طريقة إلى مصر، في القلزم -مدينة السويس حالياً- وذلك بتدبير من معاوية بن أبي سفيان.
راجع الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سيرُ أعلام النبلاء، ٥/٧٩-٨٠. والمسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب، ٢/٤٢٠-٤٢١. وشمس الدين، محمد مهدي: عهد الأشتر، ص١٧-١٩. ولقد صدر حديثاً كتاب جدير بالمطالعة لأستاذنا الكبير العلامة السيد محمد تقي الحكيم بعنوان: مالك الأشتر، حياته وجهاده، طبع المؤسسة الدولية، بيروت لبنان ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

مصر وأعمالها، بعد محمد بن أبي بكر، وقد وصف الشريف الرضي هذا العهد بقوله: «وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن»[١]. وإنه «بحق أعظم وثيقة سياسية صدرت عن أمير المؤمنين عليه السلام بل لا نجد لها مثيلاً في جميع أحقاب التاريخ الإسلامي، وقد كتب عنها المفكرون والعلماء وأشاد بها السياسيون والإداريون لما تضمنت من قواعد وأساليب في الحكم والإدارة»[٢]. فمثلاً يوصي في عهده هذا بطبقة العمّال والذين لا يستطيعون أداء العمل فيقول عليه السلام: «ثم الله اللهَ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلَةَ لهم، من المساكينِ والمحتاجينَ..»[٣]. وفي هذا المقطع من هذا العهد الجليل يقول الشيخ شمس الدين: «ولا أظن أن حكومة من الحكومات الحديثة بلغ فيها التشريع العمالي، والتأمين الاجتماعي من النضوج والوعي للمسؤولية الاجتماعية إلى حدّ أنْ تؤلف هيئة تبحث عن ذوي الحاجة والفاقة فترفع حاجتهم بأموال الدولة، كما نرى ذلك في عهد الإمام. ولا أظن أن قلوب المتشرعين وعقولهم اجتمعت على أن تخرج للدنيا تشريعاً عملياً فأفلحت في أن تخرجه أنبض من تشريع الإمام بالشعور الإنساني العميق»[٤].

### أحلاف الإمام:

ذكر السيد الرضي حلْفاً واحداً في نهج البلاغة يعدّ نموذجاً

---

(١) باب الرسائل، رقم ٥٣. تعليق الشريف الرضي في عنوان الرسالة.

(٢) المرسوي، د. محسن باقر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص ١٢٢.

(٣) باب الرسائل، رقم ٥٣ - عهد الأشتر -

(٤) شمس الدين: الشيخ محمد مهدي: دراسات في نهج البلاغة، ص ٢٤٧.

لأعماله الإصلاحية داخل الأمة. وبهذا الحلف أنهى صراعاً مريراً بين أهل اليمن وقبيلة ربيعة، حيث تمت اتفاقية الصلح بين الطرفين المتنازعين، تضمن إنهاء الأزمات وحالات طلب الثأر والانتقام، على ضوء أسس التعاون والتآلف ونبذ الفرقة، وذلك تحت راية الإسلام ونعمة الإيمان. كل ذلك بأسلوب أدبي رصين وقوالب بيانية متينة، واضحة الدلالة، عميقة المعاني. فقد جاء فيه: «هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها، وربيعة حاضرها وباديها، أنهم على كتاب الله يدعون إليه، ويأمرون به، ويجيبون من دعا إليه وأمر به..»[1].

### أدعية الإمام:

ذكر السيد الرضي خمسة أدعية في نهج البلاغة بشكلٍ مستقل، أربعة منها في باب الخطب، ودعاء واحد في باب الرسائل. ولعل أسلوب الدعاء إلى الله سبحانه عند الإمام عليه السلام من الرقة والعذوبة وطلب العفو والتسديد ما يمكن احتسابه ضمن الكلام والخطب، وكذلك ضمن الرسائل والكتب. وقد تضمنت بعض أقوال الإمام ورسائله أدعية خاصة على ضوء المناسبة، كما وان هنالك مجموعة من الأدعية المأثورة للإمام علي عليه السلام مذكورة في كتب الأدعية المعتبرة مثل دعاء الصباح، ودعاءه المشهور الذي يرويه الصحابي كميل بن زياد النخعي[2].

---

(١) باب الرسائل، رقم ٧٤.

(٢) القمي، الشيخ عباس: مفاتيح الجنان، فيه الكثير من الأدعية المنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام.

وأسلوب الدعاء عند الإمام يمتاز بدقة اختيار الألفاظ الأدبية المؤثرة في واقع النفس الإنسانية وانعكاساتها على الحياة عموماً، وبذلك تعرج الروح إلى قمم النبل والإنسانية، وتتصاغر في الوقت ذاته أمام عظمة الخالق ونعمه وآلائه، بكل خشوع وخضوع تتوسل إليه بصفاء النية وطهارة القلب بقبول الأعمال والمغفرة من الخطايا والنجاة من العذاب. فالذي يقرأ أدعية الإمام يعيش أجواءاً روحانية متميّزة تسرح روحه من خلال الكلمات البليغة التي يتلفظها بلسانه لتلامس قلبه فيرق لها، ليحلّق في عالم الرحمة الإلهية والهيمنة الربانية، وحينها تنشدّ العاطفة والمشاعر والأفكار لتسيل الدموع بوعي وبصيرة طلباً للعفو، لوذاً للمغفرة، رحمةً للعطاء الإلهي. فلنتأمل هذا الدعاء - كمثال من نهج البلاغة حيث يقول الإمام فيه: «.. اللهم اغفر لي رمزاتِ الألحاظ، وسَقَطاتِ الألفاظ، وشهواتِ الجنانِ، وهفواتِ اللسانِ»[1]. بهذه الدقة يدعونا الإمام لتوثيق الارتباط بالخالق الغافر، الذي هو مصدر العفو والصفح، وذلك ليتجاوز عن تفاصيل أخطاء الحواس، التي تعتبر بوابة لنفوذ وسوسة الشيطان نحو قلب الإنسان، بهدف تنقية الذات تماماً من دقائق الآثام المستحصلة من أخطاء النظر ولغو الكلام وكثرة الشهوات، وذلك للتعجيل بتطهير الساحة الداخلية للإنسان قبل استفحال المعاصي وتعقيد التلوث بها. ومن دعاء له عليه السلام إذا لقي العدو

(١) باب الخطب، رقم ٧٨. رمزات الألحاظ: الإشارة بها، والألحاظ جمع لحظ، وهو باطن العين. سقطات الألفاظ: لغوها. شهوات الجنان: القلب واللب. وشهواته: ما يكون ميل منه إلى غير الفضيلة. هفوات اللسان: زلّاته. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٥٨٨، رقم ٦٩٤-٦٩٧.

محارباً: «اللهم إليك أفْضَتِ القلوب، ومُدّت الأعناقُ، وشخَصَتِ الأبصارُ، ونُقِلتِ الأقدامُ، وأنْضِيَتِ الأبدانُ، اللهمَّ قد صَرَّحَ مكنونُ الشّنآن، وجاشتْ مراجلُ الإضغان. اللهم إنّا نشكو إليكَ غيبةَ نبيِّنا، وكثرةَ عدُّونا، وتشتُّتَ أهوائنا ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[1]. وبالفعل «لما كان مراده عليه السلام جهاداً خالصاً لله وعبادة له، ومن كمال العبادات أن تشفع بذكر الله وتوجيه السرّ إليه.. فأشار بإفضاء القلوب إلى الإخلاص له في تلك الحال، وبمدّ الأعناق وشخوص الأبصار إلى ما يستلزمه الإخلاص من الهيئات البدنية، وبنقل الأقدام وإنضاء الأبدان إلى أنّ ذلك السفر وما يستلزمه من المتاعب إنما هو لوجهه وغاية الوصول إلى مرضاته. وأشار إلى علة قتالهم له في معرض الشكاية إلى الله تعالى، وهي تصريحهم بما كان مستقراً في صدورهم في حياة الرسول صلى الله عليه وآله من العداوة والبغضاء، ولجيش إضغانهم السابقة مما فعل بهم ببدرٍ وأُحد وغيرهما من المواطن. فلفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليان دماء قلوبهم عن الأحقاد كغليان المراجل، ولفظ الجيش ترشيح. ثم لمّا كانت غيبة النبي صلى الله عليه وآله وفقده هو السبب الذي استلزم تصريح الشنآن وظهور الإضغان وكثرة العدو وتفرّق الأهواء لا جرم شكى إلى الله من تحقّقها وما يستلزمه من هذه

(١) باب الرسائل، رقم ١٥. الآية الكريمة من سورة الأعراف ٧/ ٨٩. أفضت: أي دنت وقربت، وانتهت ووصلت، وقد يراد بها أفضت سرّها. انضيْتُ: أبليت بالهُزال والضعف في طاعتك. صرّح مكنون الشنآن: أعلن القوم بما يكتمون من البغضاء. جاشت المراجل: تحركت واضطربت وغلت القدور. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٦٠٦.

الشرور»[١]. ثم اقتبس من القرآن الكريم ما يُطمئن القلوب بأحقيّة جبهته القتالية .

● **باب الحكم والمواعظ الكبار في الكلمات القصار:**

مجموعة كلمات قالها الإمام عليه السلام في مناسبات معينة، وقد تكون إجابات لمسائل وجهت إليه، أو عبارات اقتطعت من خطب أو رسائل أو وصايا الإمام، وذلك لجمال صياغتها الأدبية، وسبك ألفاظها البلاغية، حسب اختيار السيد الرضي - رحمه الله - لكي يسهل حفظها وتداولها بين الناس كمعالم مضيئة في الحياة. هذا وقد استفاد منها كبار الأدباء والشعراء أمثال المتنبي وأبي تمام وأبي العتاهية والطغرائي، حيث تحولت لديهم إلى مادة شعورية خصبة، ومصادر بيانية غنيّة بالصور والمفردات، ظهرت في أشعارهم[٢] .

وقد جمع السيد الرضي من هذه الكلمات القصار ٤٨٠ حكمة وموعظة[٣]، بمفردات لفظية قليلة العدد، لكنها تحمل دلالات معنوية كبيرة الأمد، ولأهميتها البالغة يقول ابن أبي الحديد في بداية شرحه

---

(١) البحراني، كمال الدين: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٣٣٨-٣٣٩، طبع دار الثقلين.

(٢) الموسوي، د. محسن باقر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص ١٢٩.

(٣) حسب ضبط الدكتور صبحي الصالح لنصوص نهج البلاغة، كما وتضمّن باب الحكم فصلاً صغيراً يحتوي على تسعة مقاطع، ذكر فيه شيئاً من غريب كلامه عليه السلام المحتاج إلى التفسير - حسب اختيار السيد الرضي - وقد وضع هذا الفصل بين الرقم ٢٦٠و٢٦١. وبإضافة التسعة يكون العدد الإجمالي ٤٨٩. ويذكر ابن أبي الحديد المعتزلي بعد شرحه لحكم الإمام في نهج البلاغة ما لم يذكره السيد الرضي في تدوينه تحت عنوان: (الحكَم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ويجمعها في ٩٩٨ حكمة يلحقها في نهاية شرحه بالمجلد العاشر.

لهذا الباب: «اعلم أن هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن، والسواد من العين، وهو الدرة المكنونة التي سائر الكتاب صدَفها»[١].

هذا، وبالرغم من أن بعض المفكرين يوضح إشكالية في إظهار معاني العبارات المقتنصة من محلها الطبيعي في نسيج الكلام، إلّا أن هذه الملاحظة نادرة التحقيق[٢]. بل أن أغلب تلك الحكم جرت على ألسن الناس مجرى الأمثال يستضيئون منها معاني الأخلاق والقيم النبيلة، والمثل الإسلامية الرفيعة والعلوم الإنسانية الحيّة، وذلك لأنها تعبّر عن خلاصة معارف وتجارب وعِبر تاريخية واجتماعية وتطبيقّية في الحياة. نذكر بعض الأمثلة من تلك الحكم والمواعظ. يقول الإمام علي عليه السلام:

١• «كن في الفتنة كابن اللّبون، لا ظهرٌ فيرُكب، ولا ضَرْعٌ فيُحلب»[٣]. يقول ابن أبي الحديد في شرحه: «وأيام الفتنة

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين: شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٨، ص٢٤٩.

(٢) يقول الدكتور محسن الموسوي: (وربما كان هذا المنهج على حساب فقدان الخطبة لنسيجها المنطقي في المعنى، أو إعطاء الحكم معانٍ لم يقصدها الإمام مثال ذلك.. (غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان) وهذه العبارة اقتطعها السيد الرضي من وصية الإمام أمير المؤمنين إلى ولده الحسن، وإذا أرجعناها إلى مكانها لكان لها معنىً آخر.. فمكان هذه العبارة من الخطبة هو: (واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وأن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل فإن غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان). فمعناها وهي في داخل النص الأصلي يختلف عن معناها وهي مستقلة). الموسوي، د. محسن باقر: المدخل إلى نهج البلاغة ص ١٢٩-١٣٠. مثاله هذا نادر مع أنه لم يوضح مراده.

(٣) ابن اللّبون: ولد النّاقة الذّكر إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة، ولا يقال =

هي أيام الخصومة والحرب بين رئيسيْن ضالّين يدعوان كلاهما إلى ضلالة. . أما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما، بل يجب الجهاد مع صاحب الحق. .»[١].

٢• «صدرُ العاقل صندوق سرّه، والبشاشة حبالةُ المودة، والاحتمال قبرُ العيوب». ومعنى الاحتمال قبر العيوب، «أي إذا احتملت صاحبك وحلمت عنه، ستَرَ هذا الخلق الحسن منك عيوبك، كما يستر القبر الميت»[٢].

٣• «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضَيّعَ من ظفر به منهم».

٤• «امش بدائك ما مشى بك».

٥• «كن سَمَحَاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدّراً ولا تكن مقتّراً».

٦• «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه».

٧• «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة».

٨• «قيمة كُلّ امرئ ما يحسنه». قال الرضي: «وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة».

---

= للأنثى: ابنة اللّبون، واللبون من الإبل والشاة: ذات اللبن، وابن اللبون لا يكون قد كمل وقويَ ظهره على أن يركب، وليس أنثى ذات ضرعٍ فيُحلب، وهو مطرّح لا ينتفع به. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٧٥٣.

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، المجلد التاسع، ج١٨، ص٢٥٠.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٦٠.

٩• «شتان ما بين عمليْن: عَمَلٍ تذهب لذّتُه وتبقى تبعتُهُ، وعملٍ تذهبُ مؤونتُهُ ويبقى أجرُهُ».

١٠• «آلةُ الرئاسةِ سَعَةُ الصدر».

١١• «بئس الزادُ إلى المعادِ، العدوانُ على العبادِ»[١].

(١) باب الحكم والكلمات القصار، رقم ١، ٦، ١٢، ٢٧، ٣٣، ٤٠، ٥٦، ٨١، ١٢١، ١٧٦، ٢٢١ على التوالي. وكلام الرضي في مثالنا الثامن بعد ذكره للحكمة رقم ٨١.

# المطلب الرابع

## القدوة الحسنة
## في الممارسات الشخصية

من الوسائل التربوية المهمة للتوعية الجهادية، معرفة الأبعاد السلوكية والنفسية للقدوة الحسنة، خصوصاً في إدارة الشؤون الذاتية، من علاقته مع نفسه وعائلته وأصدقائه، وكيفية تعامله مع الإنسان والطبيعة، ونظرته إلى الأزمات، وأسلوبه في حلّ المشكلات، وطريقة التفكير والعبادة والعمل، والنظرة إلى الدنيا. وذلك لكي تطبع هذه السيرة الذاتية عبر القراءة التفصيلية في الممارسات الشخصية في أذهان المتلقين، فتتمّ عملية المحاكاة والتقليد، بل أكثر من ذلك لتنقدح شرارة السعي والجهد في تصعيد الهمّة وتفجير الطاقات الذاتية وإزالة الركام عن الوسائل العملية المقرّبة لسلوكيات واهتمامات وطموحات القدوة الحسنة. وبهذه الوسيلة الميدانية لا يبقى الإسلام نظرية فكرية محفوظة في الكتب والأذهان يعتني بزوايا الحياة الروحية فقط، بل يأخذ الإسلام طابعاً عملياً حياتياً عاماً يمارسه الأنبياء والأوصياء والصالحون من الأصحاب الكرام والتابعين لهم بإحسان، في كل مجالات الحياة وتعقيداتها.

هذا الأسلوب التربوي في رسم معالم القدوة الحسنة والتذكير بها وترسيخها في الذهن، اتبعه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إتماماً لمشروعه التربوي والجهادي في حياة المسلمين. وبذلك أغلق الأبواب والنوافذ أمام شخصيات غير مؤهلة إيمانياً وجهادياً، قد تتوافر لها فرص القفز إلى أذهان بعض المسلمين، لتحتل فراغات مهمة في حياتهم فيتخذوها قدوات لحياتهم بدوافع تتعلق في ظواهر قشرية وساذجة للدين وهي بعيدة عن روح الإسلام. خصوصاً في أيامنا هذه حيث تشتد خطورة هذه المسألة بتطور وسائل الاتصال بين الناس وانفتاح مجال التأثير والتأثر على الجيل الإسلامي الصاعد. ومما لا يخفى إنّ الأعداء يمتلكون وسائل الإعلام المؤثرة في إظهار رموزهم ضمن هالات التقدم العلمي والمحبة والسلام، بينما يعيش جيلنا النامي - أحياناً - وكأنه غريب لا يمتلك تاريخاً ناصعاً وشخصيات بلغت الذروة في الإخلاص والعلم والإيثار والتفاني في سبيل الله والإنسان وبناء الحياة.

إن الإمام عليه السلام أكد قبل حوالي أربعة عشر قرناً على هذه المسألة المهمة من الناحية التربوية، ولقّن المسلمين سلوكيات واعية، وصوراً حيّة من القدوات الصالحة وهي تتحرك في أعمالها وعبادتها وعطائها وكسبها وجهادها، في عملية تربوية تتكامل من خلالها الرؤى الفكرية بالمنهاج التطبيقي العملي لدى المسلمين. ففي نهج البلاغة نلاحظ تأكيدات الإمام عليه السلام على هذه الوسيلة التربوية، وأهم توجهاته تتركز حول بياناته التالية:

١• تقديم تجارب مهمة من التاريخ الشخصي والجهادي للأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

٢• بيان سلوكيات ومواقف القدوة الأولى في حياتنا، الرسول المصطفى محمد ﷺ.

٣• منزلة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم.

٤• سيرة الأصحاب الكرام رضي الله عنهم وأعمالهم.

٥• سلوكياته عليه السلام وتصرفاته الشخصية.

سنتناول كل فقرة بما يتيسر من شواهد مناسبة، في كلامه عليه السلام.

## • تقديم تجارب مهمة من التاريخ الشخصي والجهادي للأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة الأشباح[1]: «.. فلمّا مهَدَ [الله سبحانه] أرضَهُ، وأنْفَذَ أمرَهُ، اختار آدمَ عليه السلام، خيرةً من خلقه، وجعله أوّلَ جِبِلَّته، وأسكنَهُ جنّتَهُ، وأرَغَدَ فيها أُكُلَهُ، وأوْعزَ إليه فيما نهاهُ عنه، وأعلمهُ أنّ في الإقدام عليه التعرّضَ لمعصيته، والمخاطَرَةَ بمنزلته، فأقدَمَ على ما نهاهُ عنهُ - موافاةً لسابق علمه - فأهبطهُ بعد التوبة ليَعْمُرَ أرضه بنسْلِهِ، وليُقيمَ الحجّةَ به على عباده، ولم يُخْلهِمْ بعد أنْ قَبَضَهُ، ممّا يؤكِّدُ عليهم حجّة ربوبيّته، ويَصِلُ بينهم وبين معرفته، بل تعاهَدَهُمْ بالحُجَج على ألْسُنِ الخيرَةِ من أنبيائه، ومتحمّلي ودائع رسالاته، قَرْناً فَقَرْناً، حتى تمّتْ بنبيّنا محمّدٍ ﷺ حجّتُهُ، وبلغَ المقْطَعَ عُذْرُهُ ونُذُرُهُ..»[2]. «أي أن الحجة قد تمت على الخلق

---

(١) الأشباح: بمعنى الأشخاص، والمراد بهم ها هنا الملائكة. لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة. ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج٣، ج٦، ص٤٤٥.

(٢) باب الخطب، رقم ٩١. في منتصف فقرة (ومنها في صفة الأرض ودحوها على =

أجمعين ببعثِهِ محمداً ﷺ وبلغ الأمر مقطعه، فلم يبق بعده رسولٌ يُنتظر وانتهت عُذُر الله تعالى ونُذُره، ما بيّن للمكلفين من الأعذار في عقوبته لهم إنْ عصوه، ونُذره: ما أنذرهم به من الحوادث»[١]. ويقول عليه السلام أيضاً في وصف الأنبياء: «فاسْتودَعَهم في أفضل مُستودَع، وأقرَّهُمْ في خير مُستَقرٍّ، تناسختْهُمْ كرائمُ الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام، كلَّما مضى منهم سلَفٌ قام منهم بدينِ الله خَلَفٌ»[٢]. وبذلك يؤكد الإمام على الجامع المشترك بين الأنبياء والمرسلين، بأنهم مبعوثون من قبل الله سبحانه، يبلغون الناس شريعته، وقد اختارهم لهذه المهمة، فهم طاهرون أنقياء، تجتمع فيهم مكارم الأخلاق. وربّ سائل يسأل، لماذا الاختلاف في الشرائع المساوية؟ ففي الحقيقة إنها متفقة في الأساسيات والأصول كالتوحيد والنبوة والمعاد يوم القيامة، إنما التفصيلات التشريعية جاءت متناسبة مع ظروف الناس ومصالحهم في زمن الرسول المبعوث، حتى بعث خاتم الأنبياء والرسل المصطفى محمد ﷺ. فجميعهم في أفضل مستودع «فيه حظائر قدسه ومنازل ملائكته وهو خير مستقر أقرّهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وتناسخ الأصلاب لهم إلى مطهرات الأرحام نقلهم إليها نُطَفاً. . ويحتمل أن يريد بأفضل مستودع وخير مستقر في مبدئهم أصلاب الآباء وأرحام الأمهات»[٣]. وهذا

---

= الماء) - تقريباً .- جبلّته: خلقته. المقطع: النهاية التي ليس وراءها غاية. الصالح، د. صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٠٦. رقم ١١٩٢، ١١٩٣.

(١) التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص ٢٢٧.

(٢) باب الخطب، رقم ٩٤. تناسختهم: تناقلتهم، أي تحوّلت من حال إلى حال، وتغيّرت أحوالهم. البستاني، عبد الله: البستان، باب النون، ص١٠٩٣.

(٣) البحراني، كمال الدين: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٤١٣.

المعنى نراه الأقرب لإشارته إلى قيام الخلف مقام السلف في تبليغ دين الله.

وفي بيان سيرة بعض الأنبياء عليهم السلام، -بخصوص زهدهم وتواضعهم وأكلهم من كدّ يدهم- قال الإمام عليه السلام في موسى وداوود وعيسى عليهم السلام بعد ذكر النبي المصطفى ﷺ: «وإن شئتَ ثنيتُ بموسى كليم الله - ﷺ - حيث يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. والله، ما سأله إلّا خبزاً يأكلُهُ، لأنه كان يأكُلُ بقلةَ الأرض، ولقد كانتْ خُضْرَةُ البَقْل تُرى من شفيفِ صِفاقِ بطنه، لهُزاله وتشذُّب لحمِه.

وإنْ شِئْتَ ثلّثْتُ بداوود - ﷺ - صاحب المزامير وقارئ أهل الجنّة، فلقد كانَ يعملُ سفائفَ الخوص بيده.. وإنْ شِئْتَ قلتُ في عيسى ابن مريمَ عليه السلام، فلقد كان يتوسَّدُ الحَجَرَ، ويلْبَسُ الخَشنَ، ويأكُلُ الجَشِبَ، وكان إدامُهُ الجوع، وسراجُهُ بالليل القمرَ، وظِلالُهُ في الشتاء مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، وفاكهتُهُ ورَيْحانُهُ ما تُنْبتُ الأرضُ للبهائم، ولم تكن له زوجةٌ تفْتنُهُ، ولا وَلَدٌ يَحزُنُه، ولا مالٌ يَلفتُهُ، ولا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دابتُهُ رجلاهُ وخادمُهُ يداهُ!»[1]. وفي توضيح ذلك يقول السيد الشيرازي: «وقد قال موسى عليه السلام ذلك حين ما جاء إلى (مدين) هارباً من فرعون، ولم يكن عنده زاد ولا مركب ولا مأوى.

---

(١) باب الخطب، رقم ١٦٠. الآية الكريمة من سورة القصص ٢٨/ ٢٤. شفيف: رقيق، يستشف ما وراءه. الصِّفاق: على وزن -كتاب - الجلد الباطن الذي فوق الجلد الظاهر من البطن. تشذّب اللحم: تفرقه. السفائف - جمع سفيفة - وصف من (سفّ الخوص) إذا نسجه. أي منسوجات الخوص. ظلاله - جمع ظل - بمعنى الكنّ والمأوى. ومن كان كنّه المشرق والمغرب فلا كنّ له.الصالح، د. صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٢٣، رقم ١٩٦٧-١٩٧١.

«والله ما سأله إلا خبزاً يأكله» فكان سؤاله عليه السلام لشبع بطنه «لأنه كان يأكل بقلة الأرض» في سفره من مصر إلى مدين. «ولقد كانت خضرة البقل» أي العشب «ترى من شفيف صفاق بطنه» الصفاق الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، وشفيفه كونه ممتلئ حتى يكون كالزجاج رقة (لهزاله) عليه السلام «وتشذب لحمه» أي تفرقه وتحلله، حتى لم يبق له لحم كثيف يحول بين ما في البطن وبين نفوذ النظر في الداخل، فلو كانت الدنيا ممدوحة لم تزو عن مثل موسى عليه السلام [أما في شأن عيسى عليه السلام]، «فلقد كان يتوسد الحجر» أي يجعله وسادته فيضع رأسه عليه.. «ويأكل الجَشب» أي الغليظ من الطعام، «وكان إدامه» هو الشيء الذي يؤكل مع الخبز «الجوع» هذا كناية عن أنه لم يكن له إدام، بل كان يأكل قَدَراً من الخبز، ويجوع عوض الإدام، فالجوع كان يملأ بعض بطنه عوض الإدام، وهذا من بليغ العبارة.. «وظلاله في الشتاء» أي ما يظله من البرد «مشارق الأرض ومغاربها» ففي الصباح كان يأوي نحو الشرق حتى تشرق عليه الشمس، وفي العصر نحو الغرب حتى لا يحرم من الشمس.. «دابته رجلاه» فكان يسير من مدينة إلى مدينة راجلاً بغير دابة «وخادمه يداه» لا خادم له يخدمه.. لتعديل جانبي الدنيا والآخرة، فإن الناس مغرقون في الدنيا..»[1].

وفي بيانه لشجاعة النبي موسى عليه السلام قال الإمام عليه السلام: «لم يوجسْ موسى عليه السلام خيفةً على نفسه، بل أشفقَ من غلبةِ الجُهّالِ ودُوَل الضَّلال!..»[2].

---

(١) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٢، ص ٤٤٨-٤٥١.

(٢) باب الخطب، رقم ٤. لم يستشعر خوفاً، أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ =

فلما قال الإمام قبل ذكره لموسى عليه السلام: «ما شككتُ في الحق مذ رأيته»، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «وكأن سائلاً يسأل: كيف لا يشك الإمام في الحق إطلاقاً، ومن قبله نبي الله موسى خاف من السحرة مع أن الله سبحانه قال له ولأخيه: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾[1]. فهل الإمام أقوى إيماناً وأثبت جناناً من الأنبياء؟ فأجاب عليه السلام بأن موسى عليه السلام لم يخف على نفسه، وإنما خاف أن يلتبس الأمر على الناس، وينخدعوا بأباطيل السحرة، وأن يتغلب عليهم فرعون وأعوانه»[2].

- **بيان سلوكيات ومواقف القدوة الأولى في حياتنا الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله:**

يتناول الإمام علي عليه السلام في كثير من خطبه ورسائله وحكمه ووصاياه شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كاشفاً عن كثير من مواضع عظمة الرسول وهديه مطالباً المسلمين بالاقتداء التام به، كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

سنذكر بعض كلمات الإمام في هذا الصدد، فقد قال عليه السلام: «ولقد كان في رسول الله - صلى الله عليه وآله - كافٍ لك في الأسْوَة، ودليلٌ لك على ذمِّ الدنيا وعيبها، وكثرةِ مخازِيها ومساويها، إذْ قُبِضَتْ عنهُ

---

= ﴿خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ سورة طه ٢٠ آية ٦٧.

(١) سورة طه٢٠، آية ٤٦.

(٢) مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج١، ص ١٠٥.

(٣) سورة الأحزاب، ٣٣ آية ٢١.

أطرافُها، ووُطِّئتْ لغيرهِ أكنافُها، وفُطِمَ عن رَضاعِها، وزُوِيَ عن زخارفها.. فتأس بنبيّك الأطيب الأطهر - ﷺ - فإنَّ فيه أُسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى. وأحبُّ العباد إلى الله المتأسِّي بنبيّه، والمقْتَصُّ لأثَره،.. ولقد كان - ﷺ - يأكلُ على الأرض ويجلِسُ جلْسَةَ العبد، ويخصفُ بيده نعلَهُ، ويَرْقَعُ بيده ثوبَهُ، ويركبُ الحمارَ العاريَ ويُردفُ خلفَهُ، ويكون السّتْرُ على باب بيته فتكونُ فيه التصاويُر فيقول: «يا فلانةُ -لإحدى أزواجه- غيّبيه عنّي، فإنّي إذا نظرتُ إليه ذكرتُ الدنيا وزخارفَها». فأعْرَضَ عن الدُّنيا بقلبِهِ، وأماتَ ذكرَها من نفسه، وأحبّ أن تغيب زينتُها عن عينه، لكيلا يتَّخذَ منها رياشاً، ولا يعتقدَها قَراراً، ولا يرجو فيها مُقاماً، فأخْرَجَهَا من النَّفس، وأشْخَصَها عن القلب، وغيبّها عن البَصَر.. فإن الله جعل محمداً - ﷺ - عَلَماً للسّاعة، ومبشِّراً بالجنّة، ومُنذراً بالعقوبة. خرج من الدُّنيا خميصاً، وَوَرَدَ الآخرةَ سليماً. لم يَضَعْ حَجَراً على حَجَرٍ، حتى مضى لسبيله، وأجابَ داعيَ ربّه، فما أعظمَ منّةَ الله عندنا حينَ أنعمَ علينا به سَلَفاً نتّبعُهُ، وقائداً نطأ عَقِبَهُ!..»[1]. يقول ابن أبي الحديد: «وكان ﷺ

---

(١) باب الخطب، رقم ١٦٠. مقطع (رسول الله)، ومقطع (الرسول الأعظم). الأُسوة: القدوة. الأكناف: الجوانب. وزوى: قبض. زخارف: جمع زخرف، وهو الذهب. تأسّ: أي اقْتَد. المقتصّ لأثره: المتّبع له. خصف النعل: خرزها. الحمار العاري: ما ليس عليه بَرْذعة ولا أكاف. أردف خلفه: أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد وجعله خلفه. الرياش: الزينة واللباس الفاخر. أشخصها: أبعدها. العَلَم - بالتحريك - العلامة، أي أن بعثته دليل على قرب القيامة إذ لا نبي بعده. خَميصاً: أي خالي البطن، كناية عن عدم التمتع بالدنيا. العقِب - بفتح فكسر -: مؤخر القدم. ووطء العقب مبالغة في الإتباع والسلوك على طريقه، نقْفوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٣٧٤-٣٧٧.

يأكل على الأرض، ويجلس جلوس العبيد.. وركوبه الحمار العاري آية التواضع وهضْم النفس. وإرداف غيره خلفه أكد في الدلالة على ذلك»[١]. فإذن يكون الاقتداء بالرسول ﷺ في زهده وتواضعه وأخلاقه وسائر شؤونه بما يمكن، فهو قدوتنا في حياتنا، وهو أعظم المنن والنعم الإلهية للبشرية جمعاء. «سلفاً نتبعه وقائداً نطأ عقبه»، أي: «نتبعه في أعماله وأفعاله (وقائداً) يقود الناس إلى الخير (نطأ عقبه) العقب: مؤخر القدم، ووطئها كناية عن الاقتفاء التام حتى أنّ رجلنا تتصل برجله، كأنها تطأ عقبه ﷺ[٢].

وقال الإمام علي عليه السلام في بيان شجاعة النبي ﷺ: «كُنّا إذا احْمَرّ البأسُ اتقيْنا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحدٌ منّا أقربَ إلى العدوِّ منه». قال السيد الرضي: «إذا احمرّ البأس» كناية عن اشتداد الأمر، وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها: أنه شبه حمْيَ الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها»[٣]. وقوله عليه السلام: «اتقينا برسول الله ﷺ»: «أي لذنا به حذراً من العدو.. «فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه» لشجاعته الفائقة ﷺ»[٤].

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج٥، ج٩، ص١٥٧.

(٢) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٢، ص٤٥٧.

(٣) باب غريب كلامه المحتاج إلى التفسير، رقم ٩.

(٤) الشيرازي، السيد محمد: توضيح نهج البلاغة، ج٤ ص ٣٩٣.
يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «علي يلوذ بمحمد ﷺ إذا حمي الوطيس، وهو القائل: والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها.. علي يتقي برسول الله إذا احمر البأس، وهو الذي أطاح برؤوس الأبطال عن أجسادها حتى استسلمت الجبابرة.. أجل، وأي عجب! وهل في البشرية من حلّق في آفاق الكمال، وكان هدىً للسائرين ومناراً للعالمين - كمحمد بن عبد الله؟.. حاول أعداء الدين أن =

وقال الإمام عليه السلام في وصفه النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: «سيرتُهُ القَصْدُ، وسنّتُهُ الرُشْدُ، وكلامُهُ الفَصْلُ، وحُكمُهُ العدْلُ»(١). لذلك أمرنا بالاقتداء الدائم بهديه وسنته، فقد قال: «واقْتَدُوا بِهَدْي نبيِّكُمْ فإنّه أفضلُ الهَدْيِ، واسْتَنُّوا بسُنّته فإنّها أهْدى السَّنَن»(٢).

## ● منزلة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم:

ورد في نهج البلاغة الكثير عن منزلة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم، نذكر من أقواله عليه السلام في حقهم: «هم [أهل البيت] موضعُ سرّه [أي سرّ محمد صلى الله عليه وآله.. والمراد بالسّرّ هنا العلم]، ولَجَأ أمْره، وعَيْبَةُ علْمِهِ، ومَوْئلُ حُكْمه، وكُهُوفُ كُتُبه، وجبالُ دينه، بهم أقامَ انْحناءَ ظهْره، وأذْهَبَ ارْتعادَ فرائصِه.. هم أساسُ الدِّين، وعمادُ اليقين. إليهم يفيءُ الغالي، وبهم يُلْحَقُ التّالي..»(٣). «يريد أن سيرتهم صراط الدين المستقيم، فمن غلا في دينه وتجاوز بالإفراط حدود الجادة،

---

= يغمزوا بمقام محمد صلى الله عليه وآله فأعطوا علياً من الصفات بأسلوب أو بآخر - ما يساوي صفات محمد صلى الله عليه وآله أو يزيد.. لا حبّاً بعلي وشيعته، بل كيداً للإسلام ونبي الإسلام.. ونعوذ بالله من هذا الدس والتدجيل، والكفر والتضليل». مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج٤، ص ٣٧٤-٣٧٥. ونعم ما قاله الشيخ -رحمه الله-.

(١) باب الخطب، رقم ٩٤. القصد: الاستقامة. والعدل المؤديان إلى الحق. البستاني، عبد الله: البستان، باب القاف، ص٨٨٤.

(٢) باب الخطب، رقم ١١٠.

(٣) باب الخطب، رقم ٢. راجع: مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة ج١، ص ٧٩. اللّجأ - محركة - الملاذ وما تلتجئ وتعتصم به. العيبة - بالفتح -: الوعاء. الموئل: المرجع. الغالي: المبالغ الذي يجاوز الحد بالإفراط. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، رقم ٨٠، ٨٢،٨٥، ٨١.

فإنما نجاته بالرجوع إلى سيرة آل النبي، وتفيّؤ ظلال أعلامهم. وقوله (وبهم يلحق التالي) يقصد به أن المقصر في عمله المتباطئ في سيره.. إنما يتمنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم»[١].

وقال عليه السلام: أيضاً: «.. عترتُهُ خيرُ العِتَر، وأسرتُهُ خير الأسرَ، وشجرَتُهُ خيرُ الشَّجَر..»[٢]. «ونشهد أنْ لا إلهَ غيرُهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بأمره صادعاً، وبذكره ناطقاً، فأدّى أميناً، ومَضى رشيداً، وخَلَّفَ فينا رايةَ الحقِّ، مَنْ تقدّمَها مَرَقَ، ومنْ تَخَلّفَ عنها زَهَقَ، ومن لزمهَا لحقَ»[٣]. «نحنُ شجرةُ النُّبوة، ومَحطُّ الرّسالة، ومختَلَفُ الملائكة، ومعادنُ العِلْم، وينابيعُ الحُكْمِ..»[٤]. وقال في بيان فضلهم: «أيْنَ الذين زعَمُوا أنَّهُمُ الرّاسخونَ في العلْم دوننا، كذِباً وبَغْياً علينا، أنْ رَفعَنا اللهُ ووضَعَهم، وأعطانا وحَرَمَهُمْ، وأدْخلَنا وأخرجَهُمْ، بنا يُستعطى الهُدى، ويُستجْلى العَمَى. إنّ الأئمة من قريش غُرسُوا في هذا البطن من هاشم، لا تُصْلُحُ على سواهم، ولا تصْلُحُ الوُلاةُ منْ غيرهمْ»[٥]. ويطالب المسلمين في خطبة أخرى بالسير على هدى أهل البيت، حيث يقول: «انْظُروا أهلَ بيت نبيّكم فالزموا سمْتهم، واتّبعوُا أثَرَهم، فلنْ يُخْرجوكمْ منْ هُدىً، ولنْ يُعيدوكم في

---

(١) التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص ٤٢.

(٢) باب الخطب، رقم ٩٤. مقطع (رسول الله وآل بيته).

(٣) باب الخطب، رقم ١٠٠. صادعاً: قالقاً به جدران الباطل فهادِمها بمعنى مظهراً ومجاهراً للمشركين. مَرَقَ: خرج عن الدين. زهق: اضمحل وهلك. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٤) باب الخطب، رقم ١٠٩. آخر مقطع (أهل البيت).

(٥) باب الخطب، رقم ١٤٤. مقطع (فضل أهل البيت).

ردىً، فإنْ لَبَدوا فالْبُدُوا، وإن نَهَضُوا فانْهَضُوا، ولا تَسْبِقوهم فتَضلُّوا، ولا تَتأخروا عنهم فَتَهْلكوا»[١]. وهكذا يوضح الإمام عليه السلام ضرورة الاقتداء بسيرة أهل البيت، ومنهجهم في الحياة، لأنهم امتداد السّنة المحمديّة. فيوجب الالتزام بهداهم، على مستوى إعلان الحركة والنهضة أو السكون، يقول العلامة ابن ميثم البحراني في شرحه: «وأشار إلى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم إلى ردى الجاهلية والضلال القديم.. ثم نهاهم عن أن يسبقوا فيضلوا.. فإن متقدم الدليل شأنه الضلال عن القصد، وأن لا يتأخروا عنهم فيهلكوا، أي لا يتأخروا عن متابعتهم في أوامرهم وأفعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين في تيه الجهل وعذاب الآخرة»[٢]. وبذلك تكون سيرة أئمة أهل البيت هي ضمانة الاستقامة والنجاح في الدارين.

- **سيرة الأصحاب الكرام رضي الله عنهم وأعمالهم:**

كان الإمام عليه السلام يتذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في كثير من المواطن، ويشير إلى سيرتهم وأعمالهم وتضحياتهم، وقد ذكرهم في

---

(١) باب الخطب، رقم ٩٧. السّمت - بالفتح -: طريقهم أو حالهم أو قصدهم. لَبَدَ: أقام، ولبد الشيء بالأرض، يلبُدُ - بالضم - لبوداً: التصق بها. أي أن أقاموا فأقيموا. التميمي، أركان: المرجع ذاته، ص٢٤٣. وكلام الإمام بهذا الوضوح يدلل على عصمة أئمة أهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وآله - وبهذا الفهم العَقَدي يتأكد معنى حديث الثقلين: «وأنهما لن يفترقا..». للمزيد من الاطلاع في تحليل هذه المسألة راجع كتاب: الأصول العامة للفقه المقارن للسيد الأستاذ محمد تقي الحكيم. ص١٦٨ وما بعدها.

(٢) البحراني، كمال الدين: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٤٢٥.

كثير من أقواله منها: «لقد رأيْتُ أصحابَ محمَّد ﷺ، فما أرى أحداً يُشْبِهُهُمْ منكم! لقد كانوا يُصبحون شُعْثاً غُبْراً، وقد باتوا سُجّداً وقياماً، يراوحونَ بين جباههمْ وخدودهمْ، ويَقفُونَ على مثل الجَمْر من ذكر معادهم! كأنّ بين أعيُنهم رُكَبَ المعْزى من طول سجودهم! إذا ذُكرَ اللهُ هَمَلَتْ أعينُهُمْ حتى تَبُلّ جيوبَهم، ومادوا كما يميدُ الشَّجرُ يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاءً للثواب!»[1]. وهنا نلاحظ الإمام يستنهض أصحابه بإثارة الحميّة والغيرة في ذواتهم، ليركّزوا عبادتهم، ويعمقوا إخلاصهم، ويكثفوا تقواهم، عسى أن يتشابهوا بأصحاب رسول الله ﷺ في إيمانهم وسلوكهم. وحينما يقول لأصحابه «فما أرى أحداً يشبههم منكم» إنما يريد أن يحفّزهم للصعود إلى مستوياتهم في العبادة والتضحية والجهاد، لذلك ذكر لهم في هذا المقطع من الخطبة ست صفات مهمة لغرض الاقتداء بهم. وهي بالإجمال: «أحدها: الشعث والاغبرار، وهو إشارة إلى قشفهم وتركهم زينة الدنيا ولذاتها. الثاني: بياتهم سجداً وقياماً، وأشار به إلى إحيائهم الليل بالصلاة.. الثالث: مراوحتهم بين جباههم وخدودهم، وقد كان أحدهم إذا تعبت جبهته من طول السجود راوَحَ

(١) باب الخطب، رقم ٩٧. مقطع (أصحاب رسول الله). شعثاً: جمع أشعث: وهو المغبر الرأس. والغُبرُ جمع أغبر، والمراد أنهم كانوا متقشفين. المراوحة بين العملين: أن يعمل هذا مرة، وهذا مرّة.. وبين جباههم وخدودهم، أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض خضوعاً لله وسجوداً. رُكب - جمع رُكبة - مَوْصِلُ الساق من الرّجل بالفخذ. وإنما خص رُكَبَ المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة. مادوا: اضطربوا وارتعدوا. الصالح، د.صبحي: فهرس الألفاظ الغريبة، ص٦٠٩، رقم ١٣٠٦-١٣٠٩.

بينها وبين خديه. الرابع: وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم، وأشار به إلى قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد وأهوال يوم القيامة.. الخامس: كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم.. السادس: أنهم كانوا إذا ذكر الله هملت أعينهم..»[1].

● **سلوكياته عليه السلام وتصرفاته الشخصية:**

ويمكن أن نعبّر عن هذه الفكرة بقولنا: «عليٌّ يتحدث عن علي»، فيقول: «.. ألا وإنَّ لكلِّ مأموم إماماً، يَقتدي به ويَستضيءُ بنورِ علمِهِ، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دُنياهُ بطِمْرَيْه، ومن طُعْمه بقُرْصَيْه، ألا وإنّكم لا تقْدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجْتهادٍ، وعفّةٍ وسَدادٍ، فو الله ما كَنَزْتُ من دُنياكم تبْراً، ولاَ ادّخَرْتُ من غنائمها وِفْراً، ولا أعْدَدْتُ لبالي ثوبي طِمْراً، ولا حُزْتُ من أرضها شبراً.. وإنّما هي نفسي أروضُها بالتقوى لتأتَي آمنةً يوم الخوف الأكبر، وتَثْبُتَ على جوانب المَزْلَقِ. ولو شئْتُ لاهتديتُ الطَّريق، إلى مصفّى هذا العَسَل، ولُبابِ هذا القَمْح، ونسائج هذا القزّ. ولكن هيهات أنَ يغلبنَي هوايَ، ويقودَني جشعي إلى تخيُّر الأطعمة - ولعلّ بالحجاز أو اليمامة مَنْ لا طَمَعَ له في القُرْص، ولا عَهْدَ له بالشِّبع - أوْ أبيتَ مبْطاناً وحَوْلي بطونٌ غَرْثَى، وأكبادٌ حَرّىَ، أو أكونَ كما قال القائلُ: [الطويل]

وحسبُك داءً أن تَبيتَ ببطْنَةٍ وحولَكَ أكبادٌ تحَنُّ إلى الْقدِّ

أأقنعُ من نفسي بأنْ يُقالَ: هذا أميرُ المؤمنين، ولا أشاركُهُم في

(١) البحراني، المرجع ذاته، ج٢، ص٤٢٦.

مكارهِ الدَّهر، أو أكون أسْوةً لهم في جُشُوبة العيش! فما خُلقْتُ ليَشغَلَني أكلُ الطَّيباتِ، كالبهيمة المربوطة، همُّها علفُها.. [حتى يقول].. وأنا منْ رسول الله كالضوء من الضوء، والذِّراع من العَضُد، والله لو تظاهرت العَرَبُ على قتالي لما ولَّيْتُ عنها..»[١].

وفي موقع آخر يقول عليه السلام: «.. والله لقدْ رقَّعتُ مِدْرعَتي هذه حتى اسْتَحْيَيْتُ من راقعها»[٢]. يقول ابن أبي الحديد في شرحه: «وجاء في أخبار علي عليه السلام التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله.. قيل لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لِمَ ترقّع قميصك؟ قال: ليخشع القلب، ويقتدي بي المؤمنون»[٣].

وقال الإمام في نهاية خطبة له وهي في ذكر الملاحم: «.. إنّما مَثَلي بينَكم كَمَثَل السّراج في الظُّلْمة، يَسْتضيءُ به مَنْ وَلَجَها. فاسْمعوا

---

(١) باب الرسائل، رقم ٤٥. (إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة). الطمر - بالكسر -: الثوب الخلق البالي. قرصيْه: تثنية قرص، وهو الرغيف. السداد: التصرف الرشيد. التبْر - بكسر وسكون - فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ. الوَفر: المال. أروضها: أذلّلها. المزلق: موضع الزلل والمراد هنا الصراط. القزّ: الحرير. الجشع: شدة الحرص. مبطاناً: أي ممتلئ البطن. بطون غرثى: جائعة. أكباد حرى - مؤنث حرّان - أي عطشان. البطنه - بكسر الباء - البطر والأشر والكظّة، وذلك أن يمتلئ الإنسان من الطعام امتلاءً شديداً. القِدّ - بالكسر-: سير من جلد غير مدبوغ، أي أنها تطلب أكله ولا تجده. الجشوبة: الخشونة. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٦٧٣-٦٧٥.

(٢) باب الخطب، رقم ١٦٠. نهاية المقطع الأخير. المدرعة - بالكسر - والدرّاعة، ثوب أو جبّة من صوف مفتوحة المقدّم. البستاني، عبد الله: البستان، باب الدال، ص٣٤٦.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج٥، ج٩، ص ١٥٨.

أيّها الناس وَعُوا، وأحْضروا آذان قلوبكم تَفْهَمُوا»[١]. فهو عليه السلام ضمانة الهدى والاستقامة خصوصاً حينما تحتاج الأمة إلى ضوء الحق في وسط ظلمات الباطل، «والإمام علم الهدى والحق، ومنار الخير والعدل، من استرشد به فهو المهتدي، ومن ضل عن سبيله فهو من الخاسرين»[٢].

(١) باب الخطب، رقم ١٨٧.

(٢) مغنية، محمد جواد: في ظلال نهج البلاغة، ج٣، ص ٨٢.

# المطلب الخامس

## مظاهر الأداء

تمتاز خطب ومواعظ ودروس الإمام بمقومات الأداء الناجح، فكانت تبلغ الذروة في قوتها التأثيرية على نفوس ومشاعر المتلقين، وذلك لعدة عوامل أهمها: صدق الإمام عليه السلام في إيمانه وإخلاصه لمبدئه ورسالته وحبّه لأمته، فكانت نواياه القلبية وطموحاته الشرعية متطابقة مع سلوكياته الشخصية ومشروعاته العملية، فما يقوله بلسانه، يؤمن به في جنانه، ويؤديه في ميدانه. كما وكانت لبلاغة بيانه وفصاحة لسانه وطريقة إلقائه وأسلوب أدائه ونبرات صوته ودقة علومه وسعة معارفه وموضوعيته في تناول الأحداث والأزمات والمسائل العامة والخاصة بما يهمّ الإسلام والمسلمين، كل هذه الأمور كانت تمنح أداءه الأدبي، والخطابي بشكل خاص قوةً ورصانة، وقدرة فائقة في التأثير.

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: «وهذه القدرة على تأدية الكلام المعبر بلهجاته ونغماته ونبراته شرط أساس لنجاح الخطيب، إذ بذلك يستطيع أن يمتزج بأرواح المستمعين ويبادلهم العواطف ويجذبهم إليه..»[1].

---

(١) المظفر، الشيخ محمد رضا: المنطق، ص٣٩٨.

وإلى جانب ذلك كله، كان الإمام يهتم بمظاهر أدائه بما يتناسب مع الوضع النفسي العام، ولمادة حديثه، وللزمان والمكان وللظروف الموضوعية المحيطة في تشخيصه للمصلحة الإسلامية العليا. فكان يتخذ أشكالاً متنوعة لمظهره الخارجي وهيئته الشخصية، وحركات يده وقسمات وجهه ونظرات عينيه بما يتناسب مع المواقف المطلوبة. وبذلك تتكامل مرتكزات الأداء البليغ لتبلغ القمة في التأثير على المتلقين مباشرة في زمانه، أو بشكل غير مباشر في زمانه أيضاً حيث كان يوصي بكتابة بعض خطاباته لتُتلى نيابة عنه من قبل أصحابه وولاته في مواقعهم[1]. وهكذا تستمر قوة التأثير لما بعد زمانه وعلى مر العصور. إن هذه المرتكزات لفن الخطابة كانت معروفة لدى العرب منذ القدم، خصوصاً حينما برز شأن الخطابة لدى القبائل. «وما عُني الرّواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلّا عندما حلّت الخطابة بعدُ منزلةً أسمى من الشعر.. واشتهر بها الأشراف وكان لكل قبيلة خطيب، كما كان لكل قبيلة شاعر.

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال، والتحكيم في الخصومات، وإصلاح ذات البيْن. وفي المفاخرات والمنافرات والوصايا وغير ذلك. وكان من عادة الخطيب في غير خطب الأملاك والتزويج أن يخطب قائماً أو على نشزٍ ومرتفع من الأرض أو على ظهر راحلته، لإبعاد مدى الصوت وللتأثير بشخصه وإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه، ولا غنى له على لوْث وعَصْب العَمامة

(١) كان عليه السلام يخطب أحياناً بالمسلمين، ولأهمية موضوعات الخطبة، كان يطلب من أصحابه كتابتها ويأمرهم بقراءتها على المسلمين يوم الجمعة. انظر الموسوي: الدكتور محسن: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص ٨٩-٩٠.

والاعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو قوس وربما أشار بإحداها أو بيده»[١].

نتناول مجمل مظاهر أدائه الخطابي في الأمور التالية:

١• أماكن وقوفه وظهوره أمام المستمعين.

٢• تنوع مظهره الخارجي.

٣• في هيئة خروجه للقتال.

● **أماكن وقوفه وظهوره أمام المستمعين:**

كان يختار الإمام عليه السلام الموقع المناسب - حسب الظروف المتاحة - ليرتقيه ويخطب بالمسلمين، وكان المنبر في المسجد هو الوسيلة العامة للخطباء والمبلغين، خصوصاً في خطب الجمعة، والمنبر هو المكان المرتفع في المسجد إلى جانب المحراب مخصص للخطيب، يرتقيه أثناء الخطابة، ليشاهده المسلمون وجهاً لوجه وبذلك يتم التأثير بالصوت والصورة على المتلقين. لذلك نقرأ في بداية بعض خطب الإمام التي ذكرها السيد الرضي في نهج البلاغة قول الراوي: (فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد)[٢]. «.. وهو [علي عليه السلام] على منبر الكوفة يخطب..»[٣]. و«.. خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة [خطبة الأشباح] على منبر الكوفة..»[٤]. وكان أحياناً يقف على ربوة، أي المكان المرتفع

---

(١) الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٢) باب الخطب، رقم ٢٥.

(٣) باب الخطب، رقم ١٩.

(٤) باب الخطب، رقم ٩١.

من الأرض، ليخطب بالمجاهدين والجيش الإسلامي العام ليشاهدوه ويسمعوه وهم في ساحة مفتوحة تستوعب أعدادهم الكبيرة.

روى أبو العباس المبرّد في (الكامل): «إنه انتهى إلى علي عليه السلام أنّ خيلاً وردت الأنبار [١] لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان ابن حسان، فخرج مغضباً يَجُرّ رداءه، حتى أتى النُخيلة [٢]، واتبعه الناس، فرقي رُباوة [أي ربوة] من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه - صلى الله عليه وآله - ثم قال: أما بعد فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه..»[٣]. وتارةً كان يقف الإمام على حجارة كبيرة ليلقي خطابه في صفوف المسلمين، لغرض المشاهدة المباشرة له، وكان هذا الأسلوب قد استخدمه الإمام في المعارك أو في حالات معينة كان يجسد من خلالها الظروف الاستثنائية للحرب والقتال فقد (روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة

---

(١) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد، وقيل: إنما سميت الأنبار، لأن بُخت نصّر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبَس الأسراء فيها. وقيل إنها قرب بابل، سميت به لأنه كان يُجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقتّ والتين، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهْراء، فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت: الأنبار. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٥٧.

(٢) النُخيلة: تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي لمّا بلغه غزو الأنبار ومقتل عامله عليها. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٢٧٨.

(٣) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في الأدب ١/ ١٠٤. وكذلك ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين: شرح نهج البلاغة، المجلد الأول، ج٢ ص ٣٠٩-٣١٠.

ابن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعةٌ من صوف، وحمائل سيفه ليف. .»[١].

وأحياناً كان يلقي خطابه من على الناقة، وهذه الحالة تجعله في حالة من القدرة على الحركة بين المستمعين ليشاهدوه ويسمعوه عن قرب، كما وإن الجلوس على سنام الناقة المرتفع يمكّنه من السيطرة والإشراف على الحاضرين مما يجعل عمليتي الإلقاء والتلقي في غاية التفاعل. «ويذكر لنا التاريخ أن أمير المؤمنين عليه السلام ألقى أطول خطبة له في ذم إبليس وما روّجه من العصبية والحمّية المقيتة، وحذّر الناس من سلوك طريقته، وذلك من فوق الناقة، ويبدو أن الجمع كان كبيراً بحيث استخدم الإمام هذه الوسيلة في إيصال صوته إلى أكبر عدد ممكن من الناس، من خلال ارتفاع الناقة وانتقالها من مكان لآخر. وكانت الناقة تقصع بجرّتها أي تملأ فاهها عمّا في جوفها ثم ترده إلى جوفها، فهي من هذه الناحية أصلح من بقية الحيوانات لأنها لا تحتاج إلى المعلف سيما إذا كانت الخطابة طويلة وتستغرق مدة طويلة، وسميت هذه الخطبة. . بالقاصعة لتلازمها مع تلك الصورة التي بدت فيها الناقة أثناء إلقاء الإمام عليه السلام خطابه وهي تقصع بما في

---

(١) باب الخطب، رقم ١٨٢. نوف بن فُضاله البكالي الحميري، تابعي صاحب أمير المؤمنين علي، ومن خواصّه، بكال - بالكسر - بطن من حميَر. الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، مج١٠، ص٢٣٠، طبع دار التعارف. أمّا جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب المخزومي، فهو ابن أخت أمير المؤمنين، أمه أم هانئ بنت أبي طالب. وكان فارساً شجاعاً فقهياً وولي خراسان لأمير المؤمنين وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح، مع أمه أم هانئ بنت أبي طالب، وكان من أحب الناس إلى عليّ. الأمين: المرجع ذاته، مج٤، ص٧٧-٧٩.

جوفها»[١]. ويجوز أنها سميت بالقاصعة (لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية. [أو] لأن المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته. [أو] لأنها تتضمن تحقير إبليس وأتباعه وتصغيرهم..»[٢].

هذا، ويقرّب العلّامة ابن ميثم في شرحه لنهج البلاغة المعنى الأول، وهو أن الإمام عليه السلام خطب «على ناقته وهي تقصع بجرّتها.. فقيل: خطبة القاصعة»[٣]. ويذكر الرواة بأن الإمام في يوم صفين ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء، وخطب - من عليها - بالمسلمين المقاتلين[٤].

● **تنوّع مظهره الخارجي:**

كان الإمام عليه السلام يغيّر مظهره الشخصي وهيئته الخارجية، على ضوء متطلبات الموضوع، ومناسبة الحديث، وذلك ليتم جلب أنظار المستمعين إليه، ويشد أفكارهم نحوه سمعاً وبصراً، فتتحقق الغاية المطلوبة في أصحابه وأنصاره. وبالمقابل يعكس أثراً بالغاً أيضاً في نفوس أعدائه أو المعارضين لسياسته. فمثلاً عند عودته من حرب الجمل يقول العلامة كمال الدين بن ميثم في شرحه: «لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة إن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غدٍ إن شاء الله، ولا عذر لمن

---

(١) الموسوي، د. محسن: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص٧٩-٨٠.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين: شرح نهج البلاغة، مج٧، ج١٣، ص ٨٩. والخطبة التي تسمى بالقاصعة في باب الخطب رقم ١٩٢.

(٣) البحراني، كمال الدين بن ميثم: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٢٣٤.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب، ج٢، ص٣٩٠.

تخلّف إلّا من حجة أو علّة، ففي اليوم التالي صلى صلاة الغداة في المسجد الجامع، فلما قضى صلاته قام وأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى فخطب..»[١]. فنلاحظ تشديد الإمام على الإعلام للصلاة الجامعة والحضور الملزم إلّا مع العذر الشرعي، ولم يصعد المنبر ليخطب بهم كالعادة، وإنما أسند ظهره إلى حائط القبلة، وبدأ بخطاب توجيهي ونقدي مباشر ممّا أثار تساؤلات لدى بعضهم وفتح المجال للحوار السياسي والثقافي بينه وبين عامة الناس خصوصاً المعارضة. وكان لوقفته بهذه الهيئة الأثر النفسي لدى المتلقين لهذه الخطبة.

وفي خطبه التي أشرنا إليها في النقطة السابقة من هذا المطلب، برواية نوف البكالي، نلاحظ تأثر الراوي بمظهر الإمام في ملبسه وحمائل سيفه وحتى في صفة نعله، حيث يقول: «.. وهو قائم على حجارة.. وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأن جبينه ثَفِنةُ بعير»[٢]. وحينما يتذكر الشهداء الكرام من أصحابه أثناء الخطبة بقوله: «أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق.. [يقول الراوي]: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء ثم قال عليه السلام: أوّه على إخواني

---

(١) البحراني، كمال الدين بن ميثم: المرجع السابق، ج٣، ص١٥. والخطبة أوردها الشريف الرضي في باب الخطب، رقم ١٣.

(٢) المدرعة: ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية. قميص ضيق الأكمام، وتدرّع: لبسها. الثفنة: - بكسر بعد فتح - ما يمس الأرض من البعير عند البروك، ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض. وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٤٢٨.

الذين تلوا القرآن فأحكموه.. يقول الراوي: ثم نادى بأعلى صوته: الجهاد الجهاد عباد الله..»[١].

فإذن للمظهر الشخصي من طريقة وقوفه إلى ملبسه وحمائل سيفه، ونبرة صوته، ودموعه الساخنة على أصحابه الأعزاء، وحركة يده[٢]، الأثر الكبير في بناء الروح الجهادية المطلوبة لدى المستمعين والمتلقين[٣].

● في هيئة خروجه للقتال:

أشرنا إلى أهمية المظهر الشكلي للخطيب أثناء أداء الخطبة، فإذا كانت الخطبة في هيئة الخروج للقتال والتهيؤ للجهاد، كان لا بد من توافر مستلزمات القوة والبسالة أثناء الخطاب. إن الإمام عليه السلام في مثل هذه الحالات - بالخصوص - كان يتقلد سيفه أمام المخاطَبين، والسيف دلالة القوة والصرامة، وكان يتكئ على قوسه مشيراً إلى الاستعداد التام لخوض المعركة، وكان - أيضاً - يضع العمامة المناسبة لظروف الحرب - لوناً وشكلاً - يقول الدكتور الموسوي: «والتوكّؤ على القوس يشير إلى التهيؤ للحرب والمقاومة، ويحمل صورة الاستعداد للدفاع عن الحق، وهو أيضاً يحمل معاني العتاب والتألم على ما يحدث، فالقوس هو تعبير عن المقاومة، والتوكؤ

(١) باب الخطب، رقم ١٨٢.

(٢) راجع مقدمة الخطبة رقم ١٢١. (وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:..).

(٣) راجع المظفر، الشيخ محمد رضا: المنطق، ص ٣٩٨-٣٩٩.

يحمل معنى العتاب، وهذا ما نستطيع أن نتحسس به في إحدى خطبه التي خطبها لما أخبر بخطبة معاوية وعمرو وتحريضهما الناس عليه، فأمر الناس فجمعوا، وقال راوي الخطبة: وكأني أنظر إلى علي متوكئاً على قوسه»[١]. «وروى أبو مخنف عن زيد بن صوحان [من أصحاب الإمام علي عليه السلام] قال: شهدتُ علياً عليه السلام بذي قار، وهو معتمّ بعمامة سوداء، ملتفّ بساجٍ يخطب، فقال في خطبة:

الحمد لله على كل أمر وحال، في الغدوّ والآصال، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه رحمة للعباد، وحياة للبلاد، حين امتلأت الأرض فتنة، واضطرب حبُلها، . . حتى اجتمع عليّ ملؤُكم، وبايعني طلحة والزبير، وأنا أعرف الغدر في أوجههما، والنكث في أعينهما. . فقام إليه الأشتر [من أصحابه الكبار فحمد الله تعالى وألقى كلمة قال في ختامها]: . . فإن سيوفنا في عواتقنا[٢]، وقلوبنا في صدورنا. .»[٣]. وفي رواية ابن عباس عن يوم صفين يقول: «رأيت. . علياً وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراج سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى إليّ وأنا في كثيف من الناس فقال: «يا معشر المسلمين، عموا الأصوات وأكملوا اللّأمة، واستشعروا الخشية، واقلقوا السيوف في الأجفان قبل السلة»[٤].

---

(١) الموسوي، د. محسن: المدخل إلى علوم نهج البلاغة، ص٨٥. و(خطب تلك الخطبة التي أورد السيد الرضي جزء منها. .) باب الخطب رقم ١٩٧.

(٢) العواتق: جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق، موضع نجاد السيف من الكتف. البستاني، عبد الله: البستان، باب العين، ص٦٨٨.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين: شرح نهج البلاغة مج ١، ج١، ص ٢٢٦-٢٢٨.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ج٢/ ٣٨٩.

إنّ اختلاف لون العمامة له دلالة على المجاهدين والأعداء معاً. فالعمامة البيضاء كأنها راية الصفاء والسلام والمحبة، تؤهل المجاهدين إلى درجات الشهادة وكأنهم يرتدون أكفانهم. وبالمقابل يُصاب الأعداء بخيبة أمل من أنهم يقاتلون رجلاً وجيشاً ليس دموياً وإنما فرضت عليه الحرب وهو كاره لها.

وكان الإمام في أثناء المعركة أو في ظروف الإنذار بالحرب، يتقلد سيفه ويخطب بالمسلمين ليُظهر معاني العزّة والقوة والشجاعة في مواقف تتطلب العزم والشدة، وليعزّز موقف المسلمين بفريضة الجهاد والقتال، وليرعب الأعداء أيضاً، ففي بدايات مؤامرة حرب الجمل، بادر الإمام في تهيئة أصحابه للمعركة. وهنا ينقل ابن أبي الحديد في شرحه: «الخطبة التي رواها أبو الحسن علي بن محمد المدائني، عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أريد العراق، في أول إمارة علي عليه السلام، فمررت بمكة. فاعْتمرتُ، ثم قدمتُ المدينة، فدخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج علي عليه السلام متقلداً سيفه فشخصتْ الأبصارُ نحوه، فحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أما بعد، فإنه لما قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد. . . وايمُ الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه. . . وبايعني هذان الرجلان [طلحة والزبير] في أول من بايع، تعلمون ذلك، وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم، ويُلقيا بأسَكم بينكم. .». إلى آخر الخطبة[1]. وهنا تفرض

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين: المرجع ذاته، مج١، ج١، ص ٢٢٥.

عدة تساؤلات نفسها على طاولة البحث الموضوعي، وهي تدور في فلك إمكانية الاستدلال من هذه الخطبة وأمثالها على وصية رسول الله ﷺ بشكل صريح في مسألة الإمارة والخلافة من بعده.

في الحقيقة أنّ الإمام تناول هذه المسألة الحسّاسة، في عدة مواقف له، مبيّناً أحقيّة أهل البيت بالوصيّة، ومطالباً بوجوب الالتزام بها، باعتبارها نصّاً صريحاً من الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. فمثلاً قال الإمام في خطبةٍ له: «.. لا يُقاسُ بآل محمدٍ ﷺ من هذه الأُمّة أحدٌ، .. هم أساس الدين، وعمادُ اليقين.. ولهم خصائص حقِّ الولاية، وفيهم الوصيَّةُ والوراثةُ..»[1]. يقول الشارح البحراني: «وقوله هم أساس الدين»: إشارة إلى أن بهم استقامته وثباته، وتفرعه عنهم كما يقوم البناء على أساسه، .. وقوله «ولهم خصائص حق الولاية» إشارة إلى أن ولاية أمور المسلمين وخلافة رسول الله ﷺ، لها خصائص هي موجودة فيهم، وشروط يتأهل الشخص بها، ويستحقها.. وقوله «وفيهم الوصية والوراثة» إشارة إلى اختصاصه عليه السلام بوصية رسول الله ﷺ واختصاص أهله بوراثته..»[2].

وينقلنا الإمام في مقطع من خطبة له إلى يوم السقيفة بعد وفاة الرسول ﷺ، أو إلى يوم الشورى بعد الخلافة الثانية، بقوله: «وقد قال قائل: إنك على هذا الأمر يابْن أبي طالبٍ لحريصٌ، فقلتُ: بل أنتم والله لأحرصُ وأبعدُ، وأنا أخصُّ وأقربُ، وإنّما طلبتُ حقّاً لي وأنتم تحوُلون بيني وبينه، وتضربون بوجهي دونَه،

(١) باب الخطب، رقم ٢.

(٢) البحراني، كمال الدين: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٠٧.

فلّما قرّعْتُهُ بالحجّة في الملإ الحاضرين هبَّ كأنّه بُهت لا يدري ما يجيبني به!»[١].

ولكن السؤال المهم هو: لماذا اكتفى الإمام بعرضه لحقّه من دون استخدام القوة مثلاً؟ والإجابة واضحة في كلامه الخاص بهذه المسألة، وذلك لما عزموا على بيعة الخليفة عثمان، قال: «.. لقد علمتم أنّي أحقُّ الناس بها من غيري، وَوالله لأسلمنّ ما سلمتْ أمورُ المسلمين، ولم يكن فيها جوْرٌ إلّا عليَّ خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضلِهِ، وزهداً فيما تنافستموه..»[٢]. يقول ابن أبي الحديد: «فإنه أفضل البشرية بعد رسول الله ﷺ، وأحقّ بالخلافة من جميع المسلمين، لكنه ترك حقّه لما علمه من المصلحة، وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة، لحسد العرب له وضغنهم عليه»[٣]. لذلك قال في رسالة لأهل مصر، وهو يتحدث عمّا حدث بعد رسول الله ﷺ: «فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو الله ما كان يُلقى في رَوْعي، ولا يخطُرُ ببالي، أن العَرَبَ تُزْعِجُ هذا الأمرَ من بعده - ﷺ- عن أهل بيته، ولا أنّهم منَحُّوهُ عنّي من بعده!..»[٤].

---

(١) باب الخطب، رقم ١٧٢. ضرْبَ الوجه: كناية عن الردّ والمنع. قرعْته بالحجّة: أي صدمته بها من قَرعه بالعصا ضربه بها. هبّ: من هبيب التيس، أي صياحه، أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنه مخبول لا يدري ما يقول. عبدة، الشيخ محمد: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٨٤-٨٥. الرواية التاريخية المشهورة إن القائل هو سعد بن أبي وقاص يوم الشورى بعد مقتل الخليفة الثاني، وقيل إنه أبو عبيدة ابن الجرّاح يوم السقيفة. التميمي، أركان: صفوة شروح نهج البلاغة، ص٤٠٦.

(٢) باب الخطب، رقم ٧٤.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين: شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص١١١.

(٤) باب الرسائل، رقم ٦٢.

# فهرس المحتويات

# فهرس المجلد الأول


الإهداء ..... ٧

مقدمة الكاتب الكبير جورج جرداق ..... ١١

كلمة المؤلف ..... ١٣

**الفصل الأول: التربية الجهادية** ..... ٣١

**المبحث الأول: معنى التربية الجهادية وأقسامها** ..... ٣٣

**المطلب الأول: معنى التربية، والتربية الجهادية - لغةً واصطلاحاً -** ..... ٣٥

المعنى الاصطلاحي للتربية ..... ٣٨

جولة عامة مع آراء المفكرين في ميدان التربية ..... ٤٠

معنى الجهاد لغةً واصطلاحاً ..... ٥٢

تعريف التربية الجهادية ..... ٥٤

**المطلب الثاني: أهمية التربية الجهادية في حياة المسلمين** ..... ٥٧

مواكبة التحديث مرونة مطلوبة ..... ٦١

**التربية الجهادية تعاليمها ووظائفها** ..... ٦٧

الاكتساب والتكيّف ..... ٧٠

**المطلب الثالث: أقسام التربية الجهادية** ..... ٧٥
التربية النفسية ..... ٧٧
التربية العقلية ..... ٨٢
التربية الجسدية ..... ٩٠
**المبحث الثاني: أسس التربية الجهادية في القرآن الكريم** ..... ٩٥
**المطلب الأول: القرآن الكريم وتربية النفس على الجهاد والمقاومة** ..... ٩٧
**المطلب الثاني: القرآن الكريم وتربية المجتمع على الجهاد والمقاومة** ..... ١٠٩
**المطلب الثالث: حثّ القرآن الكريم على إعداد القوة القتالية** ..... ١١٧
**المبحث الثالث: الرسول الأكرم ﷺ والتربية الجهادية** ..... ١٢٩
**المطلب الأول: جهاد النفس هو الجهاد الأكبر** ..... ١٣١
**المطلب الثاني: الحث على الجهاد، وقتال الكافرين المعتدين** ..... ١٤٥
**المطلب الثالث: شواهد عملية من غزوات الرسول ﷺ** ..... ١٥٣
**الفصل الثاني: وسائل التربية الجهادية وأساليبها عند الإمام علي عليه السلام** ..... ١٦٧
**المبحث الأول: وسائل التربية الجهادية** ..... ١٦٩
**نظرة عامة عن التربية الجهادية** ..... ١٧١
**المطلب الأول: الخطابة العامة** ..... ١٧٣
تعريف الخطابة، وباب الخطب في نهج البلاغة ..... ١٧٣
مكونات الخطبة ..... ١٧٦
أهم أوصاف الخطيب الناجح والمؤثر ..... ١٧٧
المميزات العامة لخطب الإمام ..... ١٨١
أنواع الخطب عند الإمام ..... ١٨٦

**المطلب الثاني: الوعظ والإرشاد الشخصي والمحاسبة المباشرة** ..... ١٨٩
في التربية الأخلاقية، والنظرة إلى الدنيا ..... ١٩٢
في الشؤون العبادية، وذكر الموت ..... ١٩٥
في الشؤون القضائية ..... ٢٠١
في اقتحام ميادين الجهاد ..... ٢٠٣
الشؤون الإدارية للولاة والأمراء ..... ٢٠٥
**المطلب الثالث: الرسائل والحِكم** ..... ٢٠٩
معنى الرسائل وأهم الفوارق والمشتركات بين الخطب والرسائل ..... ٢١٠
باب الرسائل في نهج البلاغة ..... ٢١٣
أنواع الرسائل والوصايا ..... ٢١٥
العهود والاحلاف والأدعية ..... ٢٢٤
باب الحكم والمواعظ الكبار في الكلمات القصار ..... ٢٣٠
**المطلب الرابع: القدوة الحسنة في الممارسات الشخصية** ..... ٢٣٥
تقديم تجارب مهمة من التاريخ الشخصي والجهادي للأنبياء والمرسلين عليهم السلام ..... ٢٣٧
بيان سلوكيات ومواقف القدوة الأولى في حياتنا الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله ..... ٢٤١
منزلة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم ..... ٢٤٤
سيرة الأصحاب الكرام رضي الله عنهم وأعمالهم ..... ٢٤٦
سلوكياته عليه السلام وتصرفاته الشخصية ..... ٢٤٨
**المطلب الخامس: مظاهر الأداء** ..... ٢٥١
أماكن وقوفه وظهوره أمام المستمعين ..... ٢٥٣

تنوّع مظهره الخارجي ..... ٢٥٦
في هيئة خروجه للقتال ..... ٢٥٨
**فهرس المجلد الأول** ..... ٢٦٣

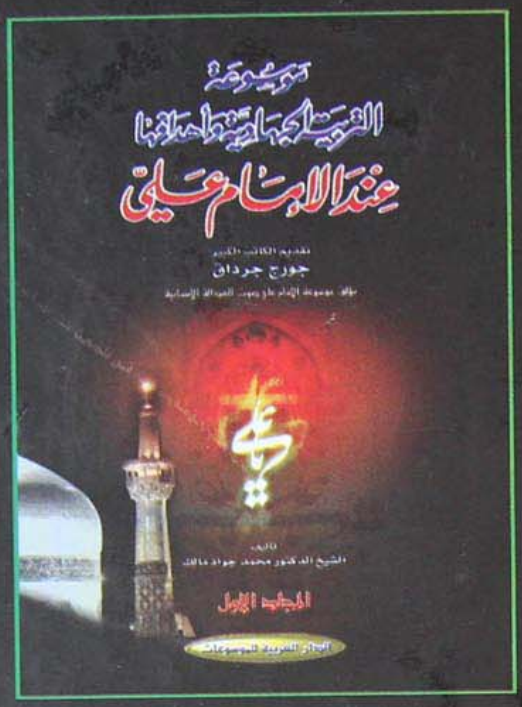


## من أقوال الإمام علي

- الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل.

- أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

- اللهم اغفر لي زلات الألحاظ وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان.

- أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه.

- إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته.

- تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.

ISBN 9786144240267